PETER SWANSON

بيتر سوانسون

تسع أرواح

NINE LIVES

رواية

ترجمة: نورهان كمال



إهداء لـ..

رِهام

لا كُسر لكم خاطر



تسع أرواح

NINE LIVES







- العنوان العربي: تسعُ أرواحٍ
- طُبِع بواسطة:
William Morrow, an Imprint of HarperCollins Publishers

- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: مُهاب هشام
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: مارس/ 2023م
- رقم الإيداع: 2023/4541م
- الترقيم الدولي: 978-977-6972-71-1



PETER SWANSON
بيتر سوانسون

تسع أرواح
NINE LIVES

رواية

ترجمة: نورهان كمال



مُتكوِّمون في أَلَمٍ.
وَدُون وَميض ضَوْءٍ في الظَّلَامِ
ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ عاجلًا أو آجلًا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ فَقَطْ قَلِيلُونَ:
خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ.

وَلَكِنْ إِنْ تَطَلَّبَ الْأَمْرَ جُهْدًا لِلْفَهْمِ:
ثلاثة.

جَدِيرُونَ بِالتَّعَاطُفِ:
تِسْعٌ وَتِسْعُونَ.

هَالِكُونَ:
مائَةٌ مِنْ مائَةٍ،
رَقْمٌ لَمْ يَتَغَيَّرْ قَطُّ بَعْدُ.

- *فيسوافا شيمبورسكا، «كلمة عن الإحصائيات»*

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود



ماثيو بومونت - أب من الضواحي يتعرض لضغوط ناجمة عن تعقيدات الحياة الأسرية، يعيش في دارتفورد، ماساتشوستس.

جاي كوتس - ممثل طموح يعيش في لوس أنجلوس، كاليفورنيا.

إيثان دارت - مغنٍ وكاتب أغانٍ يعيش في أوستن، تكساس.

كارولين جيديس - أستاذة اللغة الإنجليزية في جامعة ميتشجان، تعيش في آن أربور مع قطتين.

فرانك هوبكنز - مقيم منذ مدة طويلة في كينويك بولاية مين، يمتلك منتجع ويندوارد.

أليسون هورن - تعيش حاليًا على سخاء وهبات رجل متزوج في مدينة نيويورك.

آرثر كروز - ممرض أورام يعيش في حزن على فقدان زوجته، في نورثهامبتون، ماساتشوستس.

جاك راديبو- رجل أعمال متقاعد، مطلّق حديثًا، وقد انتقل عائدًا إلى منزل طفولته في ويست هارتفورد، كونيتيكت.

جيسيكا وينسلو - عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي في المكتب الميداني في ألباني، نيويورك.


MOHAMED KHATAB

تسع أرواح



تسعة

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

أليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الأربعاء، 14 سبتمبر، 5:13 مساءً

ما لم يخبرها جوناثان بأنه لن يتمكن من القيام بذلك، فقد كان يذهب لزيارتها دائمًا مساء الأربعاء. كانت زوجته تقضي «سهرة فتيات بالخارج» بشكل دائم أيام الأربعاء، أحيانًا في المدينة، وعادةً في نيوجيرسي، لذلك كان جوناثان يغادر المكتب عند الخامسة ليكون في شقة أليسون المكونة من غرفة نوم واحدة في حي «جرامرسي بارك» بحلول الخامسة والنصف على أقل تقدير.

كانت أليسون هورن جاهزةً عندما دقَّ الحارس ليخبرها أن جوناثان في طريقه.

استقبلته عند الباب، وأهداها زجاجة من نبيذ سانسيري، ووشاحًا من بلغاري[1] لم تعتقد أنها سترتديه قط، وبريد ذلك اليوم الذي كان قد حصل عليه من الحارس. بدأت في تصفح البريد، لكنه أوقفها وقادها إلى غرفة النوم. كانت ترتدي رداءً أبيض من الساتان –هكذا كان يحب أن ترحب به– وانزلقت في فراشها بينما يخلع ملابسه. بدا الأمر رائعًا بالنسبة إلى رجل في أوائل السبعين من عمره، رأسه مملوء بالشَّعر، وشعره مُشَذَّب بشكل ملائم، لكن عضلات صدره وذراعيه كانت قد بدأت في الترهل. انزلق بجانبها في الفراش،

---

(1) شركة إيطالية تنتج السلع الفاخرة، وهي إحدى العلامات التجارية الفاخرة المميزة التي تنتج عدة منتجات وخطوط إنتاج، كالساعات والعطور وملحقات الملابس، فضلًا عن سلسلة فنادق.

بجلد أحمر مرقَّط على وجهه ورقبته، والذي كان مؤشرًا على أنه قد تعاطى نوعًا من أقراص مُنشطة بمجرد مغادرته المكتب. كان يتناولها في بعض الأحيان بعد وصوله مباشرة، وفي هذه الحالة كانا يشربان زجاجة النبيذ أولًا ريثما يبدأ مفعول القرص.

فيما بعد، بينما كان جوناثان نائمًا، أخذت أليسون حمامها الثاني لذلك اليوم، ثم ارتدت ملابسها كما لو كانا سيخرجان لتناول العشاء في وقت لاحق على الرغم من أن ذلك لم يتم تأكيده. فتحت زجاجة النبيذ وسكبت كأسًا لنفسها، ثم أخذت تتصفح بريدها: كتالوجان، فاتورة من شركة أميكس، وظرف من دون عنوان المُرسِل. فضَّتْهُ وهي تشعر بالفضول، وسحبت ورقة واحدة مطوية، وحَدَّقت إلى قائمة أسماء:

ماثيو بومونت.

جاي كوتس.

إيثان دارت.

كارولين جيديس.

فرانك هوبكنز.

أليسون هورن.

آرثر كروز.

جاك راديبو.

جيسيكا وينسلو.

عبس وجهها، وضغطت الورقة بشكل مستوٍ على منضدة القهوة، محدِّثةً نفسها بأنها ستريها لجوناثان. سرت قشعريرة على جلدها، وهزت أطرافها لتوقفها. كان هناك خطر مبهمٌ بشأن تلقِّي قائمة أسماء دون تفسير. خطر لها أن الأمر قد يكون له علاقة بجوناثان. وعلى الرغم من أنها كانت تعرف القليل عنه نسبيًا نظرًا إلى الوقت الذي يقضيانه معًا، فإنها كانت تعلم أن لديه

الكثير من المال، والأشخاص الذين يملكون المال عادة ما يكون لديهم أعداء. جعلها ذلك تتساءل عمَّا إذا كان سيتعرَّف على أيٍّ من الأسماء الموجودة في القائمة، إلى جانب اسمها.

خرج من غرفة النوم في كامل حُلَّتِه، وأبدى قبوله لكأسٍ من النبيذ، ثم نظر إلى الورقة التي سلَّمتها له أليسون.

سألت: «هل يعني هذا أي شيء بالنسبة إليك؟».

هزَّ رأسه: «ما هذا؟».

- لقد تلقيتها للتو، في البريد.

- هل كان هذا كل شيء؟

- نعم. أمر غريب، أليس كذلك؟

- غريب.

أعاد القائمة إلى أليسون، وسألته: «هل نحن ذاهبان لتناول العشاء؟».

- كنت لأفعل لو كان بمقدوري، لكنني مرتبط بموعد عشاء شمال المدينة مع بعض رجال صندوق الاستثمار. آسف آل.

هزت كتفيها. عندما بدأ هذه العلاقة لأول مرة -منذ عام ونصف- اعتادت أن تثير ضجة عندما كان يضطر إلى تركها. لقد فعلت ذلك من أجله على الأغلب، حتى أدركت أنه لا يحتاج إلى هذا النوع من الضمانات. لقد كان في تلك العلاقة من أجل الجنس والرفقة، وكانت فيها من أجل المال والجنس كما يفترض. وقبل مغادرته، أعطاها بطاقة فيزا مسبقة الدفع، وأخبرها أنها هدية الذكرى السنوية، في حال لم يعجبها الوشاح.

سألت: «ما المبلغ الموجود بها؟».

وكان هذا مجددًا أمرًا لم تكن لتسأل عنه عندما كانا معًا في البداية.

- سأدعك تتفاجئين. ومع ذلك، لا تحاولي شراء سيارة بها.

وبعد رحيله، اتصلت أليسون هورن بصديقها المفضل دوج، وسألته عمَّا إذا كان يرغب في تناول العشاء في تلك الليلة على نفقتها.

***

(2)

الخميس 15 سبتمبر، 5:10 صباحًا

كانت الرسالة الأكثر إثارةً للاهتمام التي تلقَّاها آرثر كروز، بعد أن عاد لتوه من العلاج الطبيعي في ذلك الصباح.

فتح الظرف دون أن يتوقع أي شيء يستحق الذكر، ولقد فوجئ بوجود قائمة أسماء قصيرة تتضمَّن اسمه. لم يتعرف على أي من الأشخاص الآخرين في القائمة.

كان لدى آرثر ثلاث ساعات في اليوم قبل أن يحين موعد ورديته كممرض أورام في «مشفى كولي ديكنسون» في مدينة «نورثهامبتون»، وكان قد شرع للتو في قراءة كتاب «عالم مضاء بالنار فقط» بقلم ويليام مانشستر. لقد وجد أنه لا يريد مغادرة العصور الوسطى منذ قراءته «مرآة بعيدة خلال الصيف». شيء ما بشأن تلك الحياة الماضية، المعاناة المستمرة والبحث عن الإله، كان مثل المُسكِّن الوحيد لحالة آرثر العقلية منذ حادث السيارة قبل عام تقريبًا، والذي أودى بحياة زوجته، وكلبتهم ميستي من سلالة كوكر سبانيل، ومعظم وظائف ساق آرثر اليسرى. لم يكن بوسعه التصديق تمامًا بأنه قد مر عام كامل. لقد أخبره جوان –كاهن آرثر وأقرب أصدقائه– بأنه سيستغرق عامين حتى يبدأ بالشعور ببعض مظاهر الحياة الطبيعية والسعادة والعودة إلى حياته، لكن ذلك أثار تعجُّب آرثر. فلقد بدا العام الماضي الأبدي كما لو أنه مستمر إلى ما لا نهاية. ولم يساعد أي شيء. لكن لم يكن ذلك صحيحًا تمامًا،

فقد ساعده تاريخ القرون الوسطى. انزلق بحذر في كرسي القراءة الخاص به وواصل من حيث توقف في كتاب مانشستر، والذي لم يكن بجودة كتاب توكمان تقريبًا، قرأ صفحتين، ثم انجرف بعيدًا واستيقظ قبل ساعة من موعد وصوله إلى المشفى.

كانت ساقه دائمًا في أسوأ حالاتها بعد قيلولة منتصف النهار، ووجد نفسه يعرج إلى المطبخ ليضع الماء الساخن على النار لإعداد كوب من الشاي. وبينما كان ينتظر الماء حتى يغلي، راح يتطلع من النافذة فوق مغسلته وألقى نظرة خاطفة على الثعلب -الذي أطلق عليه اسم رينارد- وهو يلتف حول أطراف ممتلكاته. كان يتحرك بسرعة، وقبل أن يتوارى داخل الأشجار، أدار رأسه واعتقد آرثر أنه رأى شيئًا ما -ربما حيوان قارض صغير- بين فكَّيه. مما جعل آرثر سعيدًا بشكل غير مفهوم في هذه اللحظة، ففي المرة الأخيرة التي شاهد فيها رينارد، شعر بالقلق نحو مظهره الأشعث الهزيل.

***

كان الجو يومها ملبدًا بالغيوم، وكانت شجرة الصفصاف أسفل النهر قد بدأت للتو في إظهار ظِلٍّ مصفر. جلس ليحتسي الشاي بجوار جهاز الحاسوب الخاص به ويفكر في القائمة التي وصلته في البريد، ما الذي كانت تعنيه؟ بعض المراسلات التلقائية الغريبة، جهاز حاسوب يفسد في مكان ما في منتصف البلاد ويرسل بعض الأسماء العشوائية، كان ذلك احتمالًا قائمًا، فمنذ وفاة ريتشارد أخذ يتبرع بمبالغ صغيرة من المال لعدة جمعيات خيرية، مما يضمن أن اسمه كان مدرجًا في نحو مائة قائمة بريدية مختلفة، وربما تم تصنيفه على أنه «صيدٌ سهلٌ»، ولم يكن يمانع في ذلك، فلقد كانت هناك أشياء أسوأ، وكان تلقي البريد في الواقع أمرًا يتطلع إليه. لقد كان أحد هؤلاء الأطفال الذين يتم إرسالهم من أجل استلام الكتالوجات فقط، حتى اكتشف والده الأمر وأوقفه.

أنهى تناول الشاي، وأرسل بريدًا إلكترونيًا إلى جوان ليخبرها أنه متاح لتجهيز الزهور للكنيسة يوم الأحد، ثم استعد للذهاب إلى العمل.

***

(3)

الخميس، 15 سبتمبر، 12:00 صباحًا

سمع إيثان دارت رسالة البريد تهبط عبر الفتحة الموجودة في باب شقته. استطلع الظرف الغامض على الفور وفتحه؛ على أمل أن يكون استجابةً من وكيل ما. لقد مرَّ مؤخرًا بفترة إنتاجية غير مسبوقة وأرسل شرائطه التجريبية إلى ما يقرب من دستة من الوكلاء الذين يمثلون مؤلفي الأغاني. كان يعلم أنها خطوة تنطوي على مغامرة، لكنه اعتقد أنها لن تؤذي. داخل الظرف (كان الختم البريدي من مدينة نيويورك، وكان ذلك واعدًا) كانت مجرد ورقة واحدة بها قائمة أسماء، تسعة أسماء إجمالًا، بما في ذلك اسمه. وقد تساءل عمَّا إذا كانت قد أُرسِلَت إليه عن طريق الخطأ، ربما لأنه كان قد أعدَّ ما يشبه قائمة قصيرة بهدف تقديم عرض توضيحي.

***

أخذ القائمة بالإضافة إلى كوب قهوته، وعاد إلى غرفة نومه وشغَّل حاسوبه المحمول. قام إيثان بتسجيل الاسم الأول على القائمة –ماثيو بومونت– جنبًا إلى جنب مع «كاتب أغاني» لتضييق نطاق نتائج البحث. لم يظهر شيء، على الأقل لا شيء يشير إلى أن ماثيو بومونت كان كاتب أغانٍ آخر يسعى للتمثيل. أخذ يجرب عدة أسماء أخرى، لكنه فقد الاهتمام. من الواضح أنها لم تكن قائمة بكُتَّاب أغانٍ أو فنانين آخرين. وبالرغم من ذلك فقد ألهمه ذلك فكرة

لأغنية، كانت الجوقة شيئًا مثل «أريد أن أكون آخر شخص على قائمتك». أمسك بقلم رصاص، وقلب الورقة، وبدأ في تدوين كلمات أغنية ريفية على عجل، كانت كلمة «*ليست*» (قائمة) تجمع بين كونها كلمة قافية رائعة -حيث العديد من الخيارات- وكلمة رديئة لأن جميع الخيارات كانت مبتذلة: «ميسد» (فَقْد)، «كيسد» (قبّل)، «انسيست» (أصرّ). ومع ذلك فقد كتب ثلاثة أبيات، حتى إنه بدأ في سماع اللحن داخل رأسه. حصل على فنجان آخر من القهوة وجيتاره، وبعد تدخين أول سيجارة في اليوم من الماريجوانا، بدأ يتدبَّر الأمر.

***

لم يفكر مرة أخرى في قائمة الأسماء حتى وقت لاحق من تلك الليلة، عندما كان يجلس في الحانة في كازينو إل كامينو في الشارع السادس بمدينة «أوستن»، محاولًا اختلاق شيء ذكي ليقوله لهانا شارفينبيرج، التي كانت تجلس معه على مدار الساعة الماضية.

- لقد وصلتني قائمة في البريد اليوم. ثمانية أسماء لا أعرفها، بالإضافة إلى اسمي.
- ماذا تعني؟

أخذ إيثان رشفة رغوية من زجاجة لون ستار التي فُتِحَت للتو.

- كما قلتُ بالضبط. لقد وصلني ظرف موجَّه إليَّ، كان بداخله ورقة بها تسعة أسماء مكتوبة بترتيب أبجدي، وكان اسمي أحدها.
- هل كانت مكتوبة باستخدام الآلة الكاتبة؟
- كلا، لم تكن كذلك، ولكنها ليست مكتوبة بخط اليد. لقد تمت طباعتها من جهاز حاسوب.
- أمر غريب.
- أظن ذلك. الشيء الجيد هو أنني قد استوحيتُ أغنية منه. (Last on your list) «الأخير على قائمتك» كتبت كل شيء في غضون ساعة تقريبًا. إنه شيء من نوعية إريك تشيرش.

لم يكن لدى هانا (الصيدلانية والمعجبة المُتَعَصِّبة بــفريق لونجورنز) الكثير من الاهتمام بآمال وأحلام إيثان في كتابة الأغاني، وشاهد عينيها تتألقان عند ذكر أغنيته. ابتاع لها ولنفسه جرعة من نبيذ جورج ديكل، ثم أقنعها بالسماح له بمرافقتها إلى منزلها. كانت أشلي، رفيقتها في المنزل، تزور والديها في «دالاس»، لذلك دعته هانا للداخل.

قاما بتدخين بعض الماريجوانا، ثم شاهدا فيلم «The Royal Tenenbaums» حتى منتصفه، قبل أن يطارحها الغرام على أريكة من طراز فوتون. قالت هانا وهي عائدة من الحمام مرتدية أحد قمصان السوفتبول القديمة الخاصة بها ولا شيء آخر: «علينا أن نتوقف عن فعل هذا».

- لماذا؟
- لأنك تواعد أشلي، وأنا أعيش معها.
- إن علاقتنا ليست حصرية، على الأقل هذا ما تخبرني به.
- لا، لكنني أسكن معها، وإذا اكتشفت أمرنا فسيجعل ذلك الحياة هنا محرجة للغاية.
- أعتقد أنكِ تعجبينني أكثر منها.
- لا يهم ذلك.
- إنه مهم بالنسبة إليَّ.
- صدقني، الأشياء التي تهمك لا تهم أي شخص آخر، أنت لم تتعلم ذلك بعد.

أقنع هانا بالسماح له بالمكوث معها. كان هذا بعد أن صنع لكليهما عجة الجبن وتناولاها على مائدة الإفطار المصنوعة من الفورميكا في المطبخ. في فراش هانا -عبارة عن مرتبة على الأرض، في الواقع- أخذا يعبثان قليلًا حتى أخبرته هانا أن عقار أمبيان قد بدأ يسري مفعوله وكان عليها أن تنام. التفَّت حول نفسها بعيدًا عنه، وفكر إيثان -الذي كان لا يزال يضغط بيديه على ردفها- في يومه متسائلًا عمَّا إذا كانت هانا ترمي لشيء ما عندما أخبرته كيف أن الأشياء التي تهمه لا تهم أي شخص آخر، قد يفسر ذلك الكثير عن

حياته. وقبل أن يغفو أخيرًا، فكر مرة أخرى في القائمة التي حصل عليها في البريد، وراح يتلو سبعة من الأسماء على نفسه (كانت لديه ذاكرة فوتوغرافية قريبة) لكنه لم يستطع تذكُّر الاسم الأخير، ربما لأنه بالكاد نظر إليها. ثم تلا كلمات الأغنية الجديدة، وقرر أنها كانت هراءً، ومن ثم راح يغط في النوم.

***

(4)

الخميس 15 سبتمبر، 1:44 مساءً

كان الاسم الذي لم يستطع إيثان دارت تذكره يعود إلى جيسيكا وينسلو. في يوم الخميس تلقَّت قائمة الأسماء في ظرف كان موجهًا إلى العميلة الخاصة وينسلو في مكتب ألباني الميداني التابع لـ «مكتب التحقيقات الفيدرالي». كان هناك طابع فوريفر واحد في الزاوية اليمنى من الظرف، وقد أشار طابع البريد ذلك إلى أن الرسالة جاءت من مدينة نيويورك، وتم إرسالها بالبريد قبل يومين.

كان من غير المعتاد بالنسبة إليها أن تتلقى أي بريد في المكتب، لا سيما شيئًا كهذا غاية في الغموض؛ مجرد قائمة أسماء. حملت الرسالة بشكل غريزي من أقصى الحواف، ثم أسقطتها بحذر شديد على مكتبها. اتصلت بمديرها المباشر، آرون برلين، طالبة منه أن يعرج على مكتبها.

سألها بعد خمس دقائق، وهو يمعن النظر في الرسالة من فوق كتف جيسيكا: «هل تعرفين الأسماء الأخرى؟»، وعلى الرغم من أنها قرأت الأسماء الموجودة في القائمة عدة مرات، فإنها أعادت قراءتها بصمت لنفسها مرة أخرى.

- آرثر كروز هو الاسم الوحيد المألوف بالنسبة إليَّ، ولكن ذلك فقط لأن والدي اعتاد أن يذكر صديقًا له يدعى آرت كروز، أو ربما كنت أتخيل

ذلك. ورغم ذلك فقد افترضت دائمًا أن الاسم الأخير كانت تتم تهجئته كروز، مثل توم كروز .

- ألم يسبق لك لقاؤه من قبل؟

- لا، كان والدي يتحدث عنه فقط. وكلما أتى شخص على ذِكْر منزل على بحيرة، أو أنه يعيش على بحيرة، كان والدي يقول دائمًا شيئًا مثل: «قديمًا بالجامعة، أمضيت صيفًا في منزل البحيرة الخاص بآرت كروز». اعتدنا أن نسخر منه لذلك، ولهذا أعتقد أنني أتذكر.

- إنه اسم غير معتاد.

- ماذا؟ كروز؟ ليس حقًا. ليس إذا كنت ألمانيًا. لقد بحثت عنه بالفعل على جوجل ووجدت بعض الأشخاص الذين يحملون اسم آرثر كروز لكنهم كانوا جميعًا ألمانًا، ألمان من ألمانيا.

- اممم.

استدارت جيسيكا في كرسيها لتنظر إلى آرون. لم تكن قد رأته حقًا من تلك الزاوية ولاحظت مقدار الشعر الداكن في فتحتي أنفه.

قالت: «ما رأيك؟».

هزَّ كتفيه وقال: «اطلبي فحصها إن أردتِ. قد تكون لا شيء. ربما كان هناك خلل فني بجهاز حاسوب في مكان ما يبعث فيضًا من الرسائل الإلكترونية العشوائية».

- ربما.

بعد أن غادر آرون، وضعت الظرف والرسالة في أكياس بلاستيكية منفصلة، ثم نقلتهم إلى صندوق الصادر الخاص بها. عادت إلى دراسة الملف المتعلق بمحاكمة ويليام براندي في جريمة القتل التي سيتم استدعاؤها من أجلها للإدلاء بشهادتها في الأسبوع التالي. لقد ظلت تنتظر أن تسمع من جهة الادِّعاء أنه سيتم تسويتها قبل التوجه إلى المحاكمة، ولكن يبدو الآن أن ذلك لن يحدث. كان ويليام براندي ضابط دورية في ستارك بـ«نيويورك»، والذي قتل زوجته السابقة عن طريق شن عملية اقتحام على مزرعتها ذات الطابقين، وقد تم إرسال أدلة الدم وصور مسرح الجريمة إلى مكتبهم وتم

تكليف جيسيكا بوظيفة المحقق الرئيسي. لم تكن تمانع بشكل خاص في الإدلاء بشهادتها في المحاكمات، لكن محامي دفاع براندي كان شخصًا لعينًا يُدعى إليوت سكنديريان والذي كان دائمًا ما يتمكَّن من استفزاز جيسيكا بطريقة ما. لو كان بحوزتها لوحة رمي سهام، كانت لتضع صورة لوجه سكنديريان عليها.

قبل أن تغادر المكتب بعد الساعة الخامسة بقليل، ألقت نظرةً أخرى على قائمة الأسماء الغامضة وكتبتها باستخدام تطبيق الملاحظات على هاتفها الذكي. ربما ستكمل مسلسل (The good wife) «الزوجة الصالحة» في تلك الليلة بينما تقوم بالمزيد من البحث. إذا كان هناك صلة بينها وبين هؤلاء الأشخاص، فسوف تجدها، فالإنترنت يحب التخلِّي عن أسراره.

***

لم تتفاجأ برؤية آرون برلين في حانة «كلوب روم» بعد العمل، لكنها فوجئت بأنه لم يكن بمفرده؛ كان يجلس إلى طاولة مع العميل الخاص المكلف والمرح، روجر جونسون. رصدها روجر وهي تدخل الحانة وطلب منها الانضمام إليهم.

- سوف أتناول العشاء مع أنتوني في البار، لكن شكرًا على أي حال.

كان أنتوني (النادل) قد سكب بالفعل كوبًا من نبيذ بينوت نوار وانتظرها حتى انزلقت في المقعد الجلدي المبطن. تساءلت لوهلة عمَّا إذا كان تجنُّبها لزملائها من أجل تناول الطعام بمفردها في البار قد بدا أمرًا سيئًا، ثم تجاهلت الأمر. كان جونسون ينتقل إلى المكتب بمدينة «سكنيكتادي»، وبرلين، حسنًا، تبًا له.

راحت تحتسي نبيذها ببطء، وهي تحل الكلمات المتقاطعة في «جريدة التايمز»، ويساعدها أنتوني عندما لا يكون مشغولًا. طلبت كأسًا آخر بالإضافة إلى نصف الطلب المعتاد من طبق المعكرونة المقصوصة مع صلصة بوتانيسكا وسلطة الخضار كطبق جانبي. عندما أنهت الكلمات المتقاطعة، وهي غير متأكدة بشأن إحدى الإجابات، أدخلت الصحيفة المطوية في حقيبتها، ودفعت الفاتورة، واستعدت للمغادرة.

- كأسان بلفيدير من فضلك أنتوني، مع مكعبات الثلج.

استلقى آرون على الكرسي المجاور لها.

- آه، لا.. شكرًا آرون. كنت على وشك العودة إلى المنزل.

نظرت جيسيكا من فوق كتف آرون ورأت روجر يشق طريقه نحو المخرج.

- كأس واحدة، جيس.. من فضلك.

وافقت، وعلى نحوٍ مفاجئ أخذ يسألها عدة أسئلة حول حياتها مؤخرًا قبل البدء في موضوعه المفضل: علاقتهما وسبب انتهائها.

قالت: «أنت متزوج».

- نوعًا ما، ليس بالضبط. إن لزوجتي علاقات عاطفية، أنا أعلم أنها تفعل ذلك.

- ليست هذه هي النقطة الأساسية.

- إذن ما هو السبب؟

- بصراحة، لا أعرف ما إذا كنتُ أريد أن أكون في علاقة، ولكن إذا كنتُ أرغب بأن أكون في واحدة، فسيكون ذلك مع شخص أقرب إلى عمري، شخص غير مرتبط، شخص دون أطفال، شخص لا أعمل معه، شخص ليس نرجسيًا...

- إنني لا أثق بهذا الشخص منذ الآن.

ابتسمت جيسيكا، على الرغم من أن محاولته للدعابة كانت من النوع الذي كانت تكرهه فيه. عندما ارتبطا لأول مرة، كانت هناك حدة حقيقية بينهما. كان آرون وَغدًا نوعًا ما -كانت تعرف ذلك دائمًا- لكنه أخذ وظيفته على محمل الجد، كان لديه تعاطف، وكان هناك أسبوع في وقت سابق اعتقدت أنهما قد يقعان في الحب خلاله. ارتشفت الفودكا الخاصة بها بشفاه مخدرة قليلًا، وعرفت أنها ارتكبت خطأ بالموافقة على مشروب آخر، وقررت تغيير الموضوع.

- أنت لم تعتقد حقًا أنه كان هناك أي شيء غريب بشأن تلك القائمة التي تلقيتها عبر البريد؟

كان آرون يشير إلى أنتوني بعينيه فقط، محاولًا الحصول على مشروبين آخرين.

- ماذا؟ قائمة الأسماء تلك؟ هل يزعجك هذا؟

- لم يزعجني، كنت فقط مهتمة، لقد كان أمرًا غير عادي.

- أظن ذلك. سوف أطلب من ريك التحقق منها في قاعدة البيانات إذا كنتِ ترغبين في ذلك. على الأرجح هناك صلة، ربما ربحتم جميعًا ثلاثة أيام مجانية في نظام المشاركة بالوقت في «فورتمايرز».

- ربما أنت على حق، مجرد خلل ما في بعض أنظمة البريد الجماعي.

وصلت كأسان أخريان من الفودكا، وأخذت جيسيكا تحدِّق إلى الكأس، وهي تعلم أن الفرق بين احتسائها من عدمه هو الفرق بين النوم لليلة كاملة بارتياح وبين آرون وقد انتهى به المطاف الليلة في فراشها.

انزلقت عن الكرسي وبدأت في ارتداء معطفها.

- آسفة، آرون. فأنا بحاجة للذهاب لأنام مبكرًا.

زم شفتيه، لكنه قال: «حسنًا. هل نذهب للغداء قريبًا؟».

- بالتأكيد.

ألقى أنتوني نظرة سريعة إلى جيسيكا، واعتقدت أنها رأت القليل من الموافقة في عينيه. لم يكن أنتوني معجبًا كبيرًا بآرون، على الرغم من أنه لم يجهر بذلك قط.

سأل النادل وعلى وجهه ابتسامة ملتوية: «هل ستغادرين بهذه السرعة؟».

- أجل أنتوني. أشكرك مجددًا، ولتخبر ماريا أنني أحببت المعكرونة.

كان أنتوني يحاول الوصول إلى الفودكا الإضافية على البار عندما أوقفه آرون.

- لا بأس، تي، سنحتفظ به.

وسكب مشروبها في كأسه بينما كانت جيسيكا تعقد وشاحها حول رقبتها. استدارت وغادرت قبل أن تغير رأيها. إنها حقًّا بحاجة إلى النوم مبكرًا.

***

(5)

الخميس، 15 سبتمبر، 2:00 مساءً

كانت أيام الخميس هي ساعات عمل كارولين جيديس، وكان لديها ساعتان بدأت في الاعتماد عليهما كوقت هادئ للكتابة، بسبب قلة عدد الطلاب الذين كانوا يمرون لرؤيتها. في ذلك الخميس، كانت هناك طالبة واحدة فقط، وهي إيلين تشيونج، التي جاءت دون سابق إنذار، بينما لم يحضر اثنان من الطلاب اللذان سبق لهما ترتيب موعد لمقابلتها. كانت كارولين قد امتهنت التدريس مدة كافية -اثني عشر عامًا حتى الآن- لترى كيف غيَّر البريد الإلكتروني العلاقة بين الطالب والمعلم. لقد بذل طلاب اليوم قصارى جهدهم للقيام بكل شيء عبر البريد الإلكتروني، أو عبر موقع ويكي الذي أعدته لبعض دوراتها التدريبية الأكبر حجمًا، فهم يرسلون أوراقهم المتأخرة، وأعذارهم، وحتى تملقهم طمعًا في علامات دراسية، كل ذلك عبر البريد الإلكتروني. حتى إن أحد طلابها الذكور ربما أرسل لها عرضًا جنسيًا العام الماضي، على الرغم من أنها قضت عشرين عامًا في تحليل النصوص، فإنها لا تزال غير متأكدة مما كان يقصده بعبارة «أتمنى لو كنت مساعد أستاذي، هل تعلمين ما أعنيه؟ أ.ف» لقد استغرق الأمر منها نصف يوم حتى أدركت أن (أ.ف) تعني «أمزح فحسب». أوضحت إيلين لكارولين، والدموع في عينيها، أنها تأخرت عن الصف الثاني من الفصل الدراسي بسبب خطأ ساعة المنبه وهذا

هو سبب تفويتها للامتحان المفاجئ. قالت للمرة الثانية: «ليس من العدل أنني لا أستطيع تصليح الوضع».

- لقد كان اختبارًا سريعًا، سيكون جزءًا صغيرًا جدًا من علامتك النهائية.
- أحتاج إلى الحصول على علامة ممتاز في هذا الصف.
- أتدرين ماذا، إيلين، سأقدم لك امتحانًا مفاجئًا جديدًا الآن.

انتزعت كارولين قطعة من الورق من أحد دفاترها وأخذت تدوّن سريعًا ثلاثة أسئلة جديدة في إحدى قصايد وورد ورث التي لم يتطرقوا إليها في صف ذلك الصباح ولكن كان تم تكليفهم بها. دفعت كارولين بالورقة إلى تلميذتها وأخبرتها أن لديها عشر دقائق.

قالت إيلين: «هذا ليس الامتحان نفسه»، وظهر خطان مميزان على جبهتها التي لا تشوبها شائبة.

- كلا، إنه امتحان مفاجئ جديد.

أخرجت كارولين كتابًا وتظاهرت بقراءته، بينما كانت تشاهد الفتاة وهي تعض شفتها السفلية بشدة لدرجة أنها خلفت آثار أسنان صغيرة عليها.

- لم أكن أعرف أنه من المفترض بنا حفظ التواريخ.
- فقط ابذلي قصارى جهدكِ، وعلى الأقل ستأخذين علامة أفضل من الصفر.

انحنت إيلين على الورقة وراحت تخربش بعض الإجابات، وقبل أن تعلن كارولين انتهاء الوقت، دفعت الورقة عبر المكتب.

قالت: «ما زلت أعتقد أن هذا غير عادل»، قالتها تقريبًا بنبرة منخفضة جدًا لدرجة أن كارولين لم تستطع سماعها.

قالت كارولين: «سأراك في الصف الأسبوع المقبل»، وغادرت إيلين في حنق، وهاتفها في يدها مسبقًا. وراحت كارولين تتخيل أنها تراسل أحدهم لتخبره أي نوع من العاهرات كانت أستاذتها في اللغة الإنجليزية. لا يهم، كانت هناك عشرون دقيقة متبقية في ساعات عملها.

ألقت نظرة خاطفة على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بها ولم يكن هناك أي شيء مُلِحٌّ للرد عليه، لذلك فتحت البريد الإلكتروني الذي تلقته قبل

أسبوعين من ديفيد لاتور، الأستاذ من جامعة ماكجيل الذي التقته كارولين عندما ألقت محاضرتها عن جوانا بيلي في مؤتمر النظريات العلمية في تورنتو خلال الصيف.

كان قد كتب ليخبرها عن مدى استمتاعه بحديثها، وأيضًا لمشاركة قصيدة شعرية للويس ماكنيس بعنوان «الذئاب»، معتقدًا أنها قد تستمتع بها. وكانت عبارتها الافتتاحية تقول: «لا أريد أن أكون عاكسًا بعد الآن»، وكانت هذه العبارة بعينها قد علقت بذهن كارولين منذ أن قرأتها. أعادت قراءة القصيدة الآن، وكادت أن تكتب لديفيد لتخبره مرة أخرى كم أحبت القصيدة لكنها أوقفت نفسها. كان يكفي أنها قد كتبت له مرة، وكان كافيًا أن تعتقد أنها قد تراه مرة أخرى في وقت لاحق حينها ستكون قادرة على إخباره شخصيًا.

***

بعد انتهاء ساعات عملها، عبرت الحرم الجامعي إلى حيث كانت سيارتها البريوس متوقفة، ثم قادت سيارتها إلى كوخها المكون من غرفتي نوم والواقع في قسم ووترهيل بمدينة آن أربور. كانت قد تركت قطها المغامر فيبل بالخارج طوال اليوم، وقد شعرت بالارتياح لرؤيته ينتظرها في الشرفة الأمامية، كما شعرت بالارتياح أيضًا لأنه لم يصطد طائرًا ويقتله تاركًا إياه على ممسحة الأقدام. تبعها إلى الداخل، مثبتًا أذنيه الرماديتين إلى الخلف، وانطلق نحو وعاء الطعام في المطبخ. قفزت إستريلا، قطتها البرتقالية الخجول، على طاولة غرفة الطعام لترحب بها. وراحت كارولين تقلب في بريدها الذي تلقته، ثم سحبت ظرفًا أبيض، وقد كان عنوانها مطبوعًا على ملصق بريدي بنوع من الخطوط يدعى كورير، وكان هناك ختم فوريفر يحمل العلم الأمريكي في الزاوية اليمنى. ولم يكن هناك عنوان للمرسِل.

شيء ما بشأن هذا بدا شخصيًا إلى حد ما، على الرغم من عدم وجود أي شيء شخصي عنه ولو من بعيد. وضعت جانبًا فاتورة ضريبة الاستهلاك، وخطابات الالتماس من أي منظمة غير ربحية لرعاية الحيوان قد حصلت عليها -من الواضح أن متجر «بتسمارت» قد باع عنوانها لقائمة بريدية من نوع ما- وشقت الظرف ذا الصورة المصغرة غير المصقولة لتفتحه.

كانت هناك قصاصة ورقية وحيدة في الداخل، مطبوعة على الحاسوب، وكان الخط من نوع كورير مثل الملصق البريدي.

ماثيو بومونت.

جاي كوتس.

إيثان دارت.

كارولين جيديس.

فرانك هوبكنز.

أليسون هورن.

آرثر كروز.

جاك راديبو.

جيسيكا وينسلو.

نظرت كارولين بداخل الظرف لمعرفة ما إذا كان هناك أي شيء آخر، لكن لم يكن هناك شيء. مجرد ورقة واحدة تحتوي على قائمة أسماء، لم يكن أي منها مألوفًا بالنسبة إليها، باستثناء اسمها بالطبع.

حاولت إستريلا حَكَّ خدها على حافة الورقة، وأخذ فيبل يموء بصوت عالٍ من المطبخ في انتظار الطعام. دارت فكرة مروعة في ذهن كارولين: (إنها قائمة الموت.. شخصٌ ما قد حكم علينا بالموت). فكَّرَت في ذلك تلقائيًا، بنفس الطريقة التي كانت تفكر بها تلقائيًا في كل مرة يرن فيها هاتفها، بأنها ستسمع أخبارًا عن مأساة يعجز اللسان عن وصفها. قرأت القائمة مرة أخرى، ثم ضحكت بداخلها على مدى تشاؤمها. بالطبع، إذا كانت قائمة بأشخاص أحياء، فقد حُكِمَ عليهم جميعًا بالموت عاجلًا أو آجلًا. كان الأمر غريبًا، بغض النظر عن أي شيء، وذكَّرها بكتاب موريل سبارك «تذكرةُ الموت». بالطبع، لقد كانت تحاول فَهْمَ أكثر مما يحتمله النَّص لما كان على الأرجح قائمة عديمة الأهمية. لكن كان هذا ما فعلته في حياتها، كانت تلك مهنتها: تحليل الأشياء.

تلت على نفسها: «لا أريد أن أكون عاكسًا بعد الآن، حاسدًا محتقرًا الأشياء غير العاكسة». كان ماكنيس يرمي لشيء ما هناك، على الرغم من أنه ربما كان يتحدث عن الوضع السياسي في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، وليس عن ميل إلى الإفراط في التحليل. لكن في حياتها الخاصة، وإن لم يكن ذلك بالضرورة في فصلها، فقد سمحت بتأويلات شخصية للأعمال الأدبية. ماذا كان السطر التالي في القصيدة؟ هل كانت عبارة «لا أريد أن أكون جوقة تراجيدية أو فلسفية»، ثم شيئًا، شيئًا ما، ثم «وبعد ذلك دع البحر يتدفق فوقنا»؟ ربما ستقوم الليلة بحفظ القصيدة بأكملها. وكان هذا هو الشيء الجيد الوحيد الذي علّمتها والدتها أن تفعله، حفظ الشعر وتلاوته.

أخذت كارولين تفرك أسفل ذقن إستريلا، مستشعرة ذبذبات خرخرتها على أصابعها، ثم دخلت إلى المطبخ لكي تطعم فيبل.

***

(6)

الخميس 15 سبتمبر، 12:33 مساءً

ألقى نظرة خاطفة على القائمة، لم يفكر فيها كثيرًا وألقى بها في سلة مهملات المطبخ. كان لدى جاي كوتس تجربة أداء من أجل إعلان تجاري في ذلك اليوم، وكان يشعر بالتفاؤل إلى حدٍّ ما حيال فرصته تلك. لقد كان إعلانًا عن أرز سريع التحضير، وكان سيلعب دور الطاهي المتغطرس الذي تفوَّق عليه أرزٌ مُعَالجٌ تافهٌ في علبة. كان موعد مقابلته في الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم في مدينة «بوربانك»، مما منحه ساعتين قبل حاجته لأن يكون في طريقه في سيارته من طراز بيمر.

على الرغم من أنه ذهب للركض لفترة قصيرة بعد أن استيقظ مباشرةً، فإنه سحب جهاز التجديف وتمرن عليه لمدة ساعة كاملة، وهو يشاهد أخيرًا حلقة من مسلسل (NCIS) التي ظهرت فيها صديقته ماديسون. لقد كانت على جهاز تسجيل الفيديو الرقمي (دي.في.آر) الخاص به لأسابيع، وكانت تسأل ما إذا كان قد شاهدها، على أمل الحصول على ملاحظات منه. *ملاحظات! بربك، إنه (إن.سي.آي.إس)!* كان لديها مشهدان وثلاثة أسطر حوارية في المجمل. وكانت تلعب دور مدربة شخصية في صالة ألعاب رياضية، وقد حرص المخرج على أن يتم تصوير ثدييها -على الأرجح كان يعتقد أنهما حقيقيان- بشكل بارز في كلا مشهديها. وبعد مشاهدة الحلقة بأكملها، شعر جاي بالارتياح لأن (أ) كان دورًا سيئًا، و(ب) كان أداء ماديسون به سيئًا. كان

السبب الحقيقي وراء تأجيله لمشاهدة انطلاقتها الكبرى هو الخوف من أنها ربما تكون قد نجحت بها، وأن ذلك قد يجلب لها المزيد من الأعمال، ولم يكن هذا شيئًا يستطيع تحمله في الوقت الحالي.

بعد أن أوقف سيارته في واحد من الأماكن المخصصة للزوَّار خارج الموقف الخاص بالمكتب ذي الطابق الواحد حيث كان مقر «بوكمان كريتيف»، قام جاي بأداء سطرين سريعين من إعلان الكوكاكولا الذي كان قد حفظهما من أجل تلك المناسبة بالضبط. ثم سار عبر الأسفلت اللزج في درجة حرارة تقارب التسعين، على أمل ألا يبدأ في التعرق قبل موعد المقابلة. أرشده موظف الاستقبال المتعجرف مباشرةً للداخل، والذي كانت لديه لكنة أشبه بلكنة الغرب الأوسط، وقد رفض المياه المعبأة التي قُدِّمَت له، وسأل عن الصنبور. كانت ماديسون هي من اقترح عليه حركة ماء الصنبور، (سوف تجعلك تبدو متواضعًا)، كما قالت. أعاد إلقاء جُمَلِه الحوارية مرة أخرى أمام كاتبي الإعلانات، غريبي الأطوار، واللذان قد يكونان أصغر منه عمرًا رغم أنه لم يكن متأكدًا بنسبة مائة في المائة، بالإضافة إلى إيمي بوكمان، رئيسة الوكالة، التي مرت بهم لمجرد أنها وجدت لديها خمس دقائق متاحة في اليوم. وعندما غادر جاي، لمح دان سويدين في غرفة الانتظار. وتظاهر كلاهما بعدم رؤية بعضهما.

***

اتصل به وكيل أعماله بعد ساعة ليخبره أنهم لم يجتازوا المقابلة، ولكنه أثار إعجاب إيمي، وإذا طرأ أي شيء آخر، إلى آخره. جاءت المكالمة بينما كان يتجول في سوق «برينتوود كونتري مارت»، وهو يفكر في شراء أحذية رياضية جديدة من«جيمس بيرس». وبدلًا من ذلك، ذهب وأحضر حلقات البصل من مطعم «بارنيز برجرز»، وجلس إلى طاولة، وبدأ يبحث عن فرصة جيدة وهو يتقد غيظًا. استغرق الأمر خمسًا وعشرين دقيقة، ولكن بينما ينهي حلقاته، رآها. كانت مثالية: أواخر العشرينيات، ترتدي سروال يوجا، ليست جميلة تمامًا كما قيل عنها، وكانت وحيدة تمامًا. تبعها، وهو يعرف بالضبط كيف يندمج وسط الحضور، بحيث لا يلاحظه أحد، ولكن يظل محتفظًا بها دائمًا في مجال رؤيته. تبعها إلى محل «كريستيان لوبوتان»، حيث كانت

تتظاهر بأنها تستطيع شراء زوجين من الأحذية، وسأل المرأة خلف المكتب إذا كانت تريسي لا تزال تعمل هناك. بدت مرتبكة، ثم سألت أخيرًا: «هل تقصد تيريزا؟».

قال جاي: «صحيح».

- إنها تعمل في عطلة نهاية الأسبوع.

- شكرًا.

قالها جاي وغادر المتجر تمامًا كما فعلت الشقراء. تبعها إلى موقف السيارات، حيث ركبت سيارة زرقاء فضية من طراز هوندا سيفيك، على الأرجح قد ابتاعها لها والدها عندما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها. كان ليقول من دون شك: «إنها سيارة جديرة بالثقة للغاية، يا عزيزتي»، ثم كانت لتقبله على خده وتخبره بصوتها الطفولي الصغير كم تحب والدها.

بعد أن ركبت سيارتها وانسحبت مباشرة من ساحة الانتظار حيث كانت تقف، أسرع جاي إلى سيارته البيمر، واستطاع العثور عليها مرة أخرى في سان فيسينتي متجهة شرقًا. لاحقها طوال الطريق إلى حي «كوريا تاون»، وقد حفظ رقم لوحة سيارتها عن ظهر قلب. أوقفت السيارة أمام مبنى سكني مكون من طابقين من الجص ودخلت عبر الأبواب الزجاجية باستخدام مفتاح في نفس السلسلة حيث يوجد مفتاح سيارتها. كان هذا حيث تقطن. دخل جاي إلى المجمع التجاري في الجهة المقابلة للشارع، وأوقف سيارته حتى يتمكن من مراقبة المبنى، وأشعل إحدى سيجارتي بارلمنت اللتين كان يسمح بهما لنفسه يوميًا. حصل على هاتفه، ثم ذهب إلى تطبيق الإنستجرام مُدخلًا: # برنتوود كونتري مارت، لم يكن يتوقع أن يحالفه الحظ، ولكنه لم يتفاجأ كليًا عندما وجد أن أحدث صورة، والتي كانت لقطة مقربة لرغوة لاتيه ملتفة في صورة قلب، قد تم نشرها بواسطة آبي بريتل. أكدت صورها، ومعظمها صور ذاتية، أنها نفس الشقراء التي كان يلاحقها. وقد أطلقت على نفسها لقب ممثلة وكاتبة ومدربة تاي تشي[1].

(1) تاي تشي تشوان عبارة عن فن قتالي داخلي دفاعي صيني قديم مشابه لملاكمة الظل.

وبهذه الطريقة كان قد تمكن منها، اسمها، صورها الشخصية. كان يعرف أين تقطن، وما نوع السيارة التي تقودها. وعَلِمَ جاي -دون أدنى شك- أن بإمكانه قتلها خلال الأربع والعشرين الساعة القادمة. ولن يستطيع أحد أن يمسك به أبدًا، فلم يكن هناك أي صلة بين جاي كوتس من ويست هوليود وآبي بريتل من كوريا تاون. كان باستطاعته تخيل عناوين الأخبار الرئيسية منذ الآن: مقتل فتاة بيضاء جميلة في هوليوود، سيكون الخبر في كل مكان. بدأ يتخيل كيف ستسير الأمور لكنه أوقف نفسه، سيكون هناك وقت لذلك لاحقًا. والآن، مجرد حقيقة أنه عرف اسمها ومكان إقامتها كان يمنحه فورة الأدرينالين. شعر بتحسن عندما أخرج السيارة من الساحة وتوجه نحو المنزل. كان يعتقد أنه سيشعر بالرضا طوال الطريق، لكن هذا لم يحدث. لقد كان من السهل جدًا تتبُّع تلك المرأة، وربما كان ما يحتاج إليه حقًا هو رفع مستوى اللعبة، وإيذاء إحدى العاهرات المتعجرفات، ثم يرى ما سيشعر به.

***

في تلك الليلة، بعد القيام بمائة تمرين ضغط، ثم روتين وجهه، اتصل بماديسون ليخبرها أنه شاهد حلقة (إن.سي.آي.إس) الخاصة بها.

- أوه، أخيرًا. إذن...؟
- كان ذلك، على ما يرام. إن ثديك...
- أعرف. لقد بدوا رائعين، هل تصدق أنني حصلت على ثلاثة أسطر حوارية؟
- تقنيًا، سطران.
- أظن ذلك، أنت محق.
- لكن كل شيء كان رائعًا. إنه رصيد قوي، يا مادس، يجب أن تكوني سعيدة.
- مرحى. شكرًا لك يا جاي.

لم يخبرها عن تجربة الأداء، ولكن قبل أن ينهي المكالمة، قال: «ويا إلهي! كان ذلك مكياجًا جيدًا هناك في (إن.سي آي.اس)، أليس كذلك؟».

- ماذا تعني؟!

- لقد كنتِ قلِقَة، هل تذكرين؟ كان لديك هذا الطفح. بالكاد أستطيع أن أراه. أعني، يمكنني أن أراه، لكن هذا لأنني كنت أبحث عنه. لقد غطى المكياج كل شيء حقًا.

قالت: «لقد فعل. لقد قاموا بعملٍ جيد».

كان بإمكان جاي سماع عَدَم الثِقةِ بالنَفْسِ يتسلل إلى صوتها، وسرعان ما أنهى المكالمة، وأصبح تحت الأغطية. لقد غلبه النعاس وهو يتساءل عما سيكون عليه الحال إذا كانت لديه الشجاعة للذهاب وزيارة آبي بريتل، أو أي شخص آخر لديه تطلعات مثلها تمامًا، وفعل الأشياء التي كان يحلم بفعلها؛ أن يُريها حقًا من هو الزعيم. مد يده للأسفل وسمح لها بلمسه، لكنه لم يسمح لنفسه بفعل أي شيء أكثر من ذلك، أخذ يفكر أكثر في آبي بريتل لكن بعد ذلك راح يفكر في إيمي بوكمان... «لقد رفضتك إيمي يا جاي، لكنك قد أثرت إعجابها حقًا»، وكيف يود أن يربطها ثم يأخذ قطعة حقيقية من الفولاذ ويجعلها تختنق بها. وكانت هذه الفكرة هي ما جعلته يهدأ أخيرًا بما يكفي للسماح له بالنوم.



(7)

الخميس 15 سبتمبر، 5:15 مساءً

في طريق عودته من العمل إلى المنزل -أربعون دقيقة من العزلة التي مرت بسرعة كبيرة- راح ماثيو بومونت يسرد حقائق حياته. كان روتينًا يوميًا، وسيلة لتذكُّر ما هو جيد، وتذكير نفسه بالأشياء التي تحتاج إلى مزيد من العمل عليها.

اليوم قال لنفسه إن ابنته الكبرى إيما، كانت طالبة رائعة في الصف السابع والتي بدأت تظهر عليها علامات ملحوظة من انعدام الأمن والقلق، تمامًا مثل والدتها. لكنها كانت جيدة بشكل مفرط، وكانت شخصية مبهجة تميل لإرضاء الناس، بحيث كان من السهل نسيانها في فوضى حياتهم اليومية. نصح نفسه بالانتباه لها، وأن يحرص على أن تعلم بأن الأمور ستسير على ما يرام في النهاية. وأليكس، الذي كان على وشك بلوغ الثامنة، تم تشخيصه أخيرًا وبشكل رسمي على أنه ليس فقط مصابًا باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، ولكن أيضًا باضطراب المُعارِض المتحدِّي[1]، والذي يفسر بعض مشكلات السلوك لديه، وليس جميعها كما أصرت نانسي. ولكن مع ذلك، كان الحصول على التشخيص هو الخطوة الأولى الصحيحة، والذي سيساعد النظام المدرسي في صياغة خطته التعليمية. أما جوشوا، وهو أصغرهم، فقد

(1) اضطراب سلوكي يُظهِر فيه الطفل نماذج من السلوكيات العدائية والتحدي والغضب، والنزعة الانتقامية تجاه الآخرين.

كان بخير باستثناء التهابات الجيوب الأنفية المستمرة. كان بحاجة إلى إجراء محادثة أخرى حول الأدوية البديلة مع نانسي التي ظلَّت ترغب في إضافة المضادات الحيوية إليه. ربما لم تكن الليلة هي الوقت المناسب، ولكن ربما في نهاية هذا الأسبوع، وهذا يتوقف على مزاجها.

استدار إلى طريق «تريل ريدج»، الطريق الطويل ذي الكثافة السكانية القليلة والذي يُفضي إلى زقاق ترتكز عليه ثلاثة قصور جديدة تمامًا، كل منها على طراز مختلف بشكل واضح. وكان قصره هو القصر الإيطالي، على الأقل كان إيطاليًا من الخارج، بالرغم من أنه كان وبوضوح على الطراز «البالاديان» من الداخل إذا كانت هذه هي الكلمة الصحيحة. عند التفكير في المنزل، تحول عقله إلى نانسي. هل كانت أفضل أم أسوأ مؤخرًا؟ لم يعد متأكدًا بعد الآن، على الرغم من أن أفكارها المهووسة في الأسابيع القليلة الماضية كانت في المقام الأول حول أليكس وآخر الاختبارات لتحديد اضطرابه، وكانت أقل عن «علاقة ماثيو العاطفية» مع مساعدته التنفيذية الجديدة. لقد كانت مخطئة بشأن هذه العلاقة بالطبع، فماثيو باستثناء خيالات -من حين لآخر- كان قد سمح لنفسه بها عادةً عن إلين ماتيسين، رئيسة قسم الشؤون القانونية، كان مخلصًا طوال خمسة عشر عامًا من زواجه. كان صحيحًا أنه خرج لتناول المشروبات مع فريقه في شهر يوليو الماضي، وانتهى به الأمر وهو يرافق جادا واشنطن عائدًا إلى شقتها في «ساوث إند» قبل أن يعود إلى حي «باك باي» ليأخذ سيارته، لكن جادا، التي تحدثت في المقام الأول عن هوسها بسلسلة كتب (الأدوات المميتة) في تلك الليلة، قد ذكرته بابنته أكثر من كونها محل رغبة محتملة. كان خطؤه أنه أخبر نانسي عن الأمسية، معتقدًا أنها ستبتهج كون «مساعدته التنفيذية» تمتلك الكثير من القواسم المشتركة مع ابنتهما البالغة من العمر اثني عشر عامًا. لكنها لم تكن مبتهجة، لقد أبقته مستيقظًا طوال تلك الليلة متهمةً إياه بالخيانة الزوجية. وقد تمكن من إقناعها بأنه لم يحدث شيء، وقضى بقية الصيف في محاولة إقناعها بأنه لم يكن يرغب في أن يحدث أي شيء. لكنها التزمت الصمت حول الموضوع لأكثر من أسبوع الآن، وربما، ربما فقط، كان قد انتهى.

أوقف سيارته الليكسز في مرأب يسع أربع سيارات. ثم جلس للحظة، مستمعًا لبضع دقائق أخرى من المنوعات لفرقة «فوفايترز»، قبل التوجُّه عبر الرَّدهة إلى المطبخ، حيث كانت نانسي متكئةً على منضدة تجهيز الطعام، وهي تمسك بقصاصة من الورق ليراها وهو يدخل.

سأل: «ما الخطب؟».

قالت: «أخبرني أنت».

اقترب منها بتردد، تمامًا في نفس اللحظة التي جاء فيها أليكس وهو يتسابق إلى الغرفة مرتديًا زي النينجا المكتمل بسيف الساموراي البلاستيكي الذي اختاره بالفعل من أجل الهالوين. راح ماثيو يصد هجمات أليكس المتكررة، بينما أخذ الورقة من نانسي. كانت قائمة تضم نصف دستة أسماء أو نحو ذلك، بما في ذلك اسمه. لم يكن أي من الأسماء الأخرى في القائمة مألوفًا.

سأل زوجته: «ما هذا؟»، ثم التفت إلى ابنه وصاح: «أليكس! يكفي!».

- لا أعلم ما هذا. لقد وصل إليك اليوم عبر البريد، وأنا متأكدة من أنه لم يكن من المفترض أن أراه، وأتمنى لو لم أفعل ذلك، ولكن الآن بعد أن فعلت، أود أن أعرف ما يدور حوله الأمر. هل هي شفرة من نوع ما.
- ليس لديَّ فكرة. أليكس! هذا كافٍ. انهب وابحث عن جوشي، وانظر ما إذا كان يريد اللعب. نانس، لِمَ أنتِ متجهِّمة؟ وماذا تقصدين بشفرة من نوع ما؟
- حسنًا، أنا لا أفهم ما هو، هذا كل ما في الأمر.
- أنا لا أفهم ذلك أيضًا. على الأرجح لا شيء، مجرد خطأ ما. ما الذي كان على الظرف؟

استدارت نانسي واسترجعت الظرف من كومة البريد فوق سطح المنضدة الجرانيت. جاءت إيما إلى المطبخ وعانقت ماثيو بينما اندفع أليكس سريعًا للبحث عن شقيقه الأصغر، الذي كان مختبئًا على الأرجح، بما أن جوشوا الطفل الوحيد في البلاد البالغ من العمر ستة أعوام، الذي لم يكن يحب لعب القتال.

- لا يوجد شيء عليه. لهذا السبب كنت مرتابة.

أخذت إيما الورقة من والدها وبدأت في قراءتها.

- بصراحة يا نانس، ليس لدي أي فكرة.

قالت إيما: «هناك آبي هورن في مدرستي ولكن لا أعتقد أن هناك أليسون هورن».

قالت نانسي وهي تسكب لنفسها كأسًا من النبيذ الآن: «لا يهم. بدا الأمر مريبًا. لقد بالغت في التحليل».

سألت إيما، وصوتها أقرب إلى التهكم: «أمي، ماذا ظننتِ أنه قد يكون؟».

لقد لاحظ ماثيو أنه مع تقدم إيما في العمر أصبحت تنتقد والدتها أكثر فأكثر، كما لو أنها بدأت في التعرف على بعض الفروق الدقيقة في شخصية نانسي الأكثر اضطرابًا، ولم تكن تلك فكرة مريحة.

دخل جوشوا المطبخ، وهو يبكي من كدمة وردية تظهر بمحاذاة وجنته. ذهب ماثيو للبحث عن أليكس. لقد كان سيف الساموراي خطأً فادحًا.

***

(8)

الجمعة، 16 سبتمبر، 7:00 صباحًا

كانت بداية سبتمبر هي أفضل وقت من العام حتى الآن؛ كان الطقس ما يزال صيفًا، وكان المحيط الأطلسي -البارد عادةً- في أكثر حالاته دفئًا، والسياح -أولئك الذين لديهم أطفال مزعجون على أية حال- قد ذهبوا إلى الأبد. كان امتداد الشاطئ الرملي المؤدي من منتجع ويندوارد حتى الرصيف الحجري غير مشغولٍ عمليًا (كان هناك شخص وحيد جاثم بالقرب من برك المد والجزر) حيث يأخذ فرانك هوبكنز نزهته الصباحية بعد نحو نصف ساعة من شروق الشمس. كانت السماء شاحبةً في لون حساء السمك، وحَلَّق ضباب خفيف فوق الرمال. ارتدى سروالًا قصيرًا وحذاء توب سايدر، ولكنه ارتدى سترة قطنية قديمة فوق قميصه البولو. كان الصباح باردًا قليلًا في الآونة الأخيرة، ما لم يكن مخطئًا، أو ربما كانت عظامه تشعر بالبرودة. يزداد عمرًا ويزداد بردًا، راح يقفِّي الكلام لنفسه ثم توقف للحظة ليصاب بنوبة سعال.

***

بعد أن راح يتحرك مرة أخرى، كاد أن يطأ جثة طائر النورس التي كانت نصف مغطاة بالرمال الزاحفة. كان هناك جزء من جناح، وعمود فقري مكشوف، وما بدا وكأنه منقاره، كان مفتوحًا قليلًا كما لو كان ينعق. اضطربت

معدته قليلًا، وربما كان لذلك علاقة أكبر بكأس البراندي التي احتساها في غرفته الليلة الماضية بعد وقت الإغلاق. كان يعلم أنه ارتكب خطأً لكنه لم يستطع تمالك نفسه، وهو يستند في سريره على أربع أو خمس وسادات؛ محاولًا أن يتذكر ما أخبرته به شيلي في الصالة، شيئًا ما عن رغبة زوجها في الانتقال إلى فلوريدا. لم تكن سعيدة بذلك، هذا كل ما يعرفه، لكن نظام الصوت في الصالة كان يعلو أكثر فأكثر هذه الأيام فلم يسمع كل ما قالته. كان يأمل ألا تغادر شيلي، التي كانت تعتني بالبار في ويندوارد لأكثر من عقد، لكنه افترض أن ذلك أمرٌ لا مفر منه، فالسُقاة يأتون ويذهبون، تمامًا مثل الزوجات، تمامًا مثل الأعوام. ومع ذلك، فإن فقدان شيلي سيؤذيه؛ لقد كان قضاء كل مساء معها -حتى ولو عبر الجهات المقابلة من البار- هو أفضل جزء من يومه.

نظر إلى أعلى ليرى مدى قربه من رصيف الميناء، حيث كان يستدير ويسير عائدًا. وعلى الرغم من أن الشمس كانت مخبأةً خلف فسحة من غطاء سحابي متلبد، فإنه وجد نفسه يحدِّق إلى سطوع السماء. تعثر قليلًا. ما الذي كان يفكر فيه للتو؟ أن شيلي ستتركه؟ أم أنه كان يفكر في جلوريا (زوجته الثانية) وكيف أنها عندما تركته فعلت ذلك بأن قادت سيارتها بعيدًا ببساطة ذات صباحٍ ولم تعد قط؟ كانت ذكرياته مشوشة على نحو متزايد في الآونة الأخيرة؛ أحداثٌ قد حدثت في طفولته تظهر فجأةً في ذهنه كما لو كانت قد حدثت في اليوم السابق، والأشياء التي كانت تحدث الآن، مثل التجديدات المتوقفة في الشرفة، بدت وكأنها كانت تجري في حياة ماضية ضبابية لا يستطيع تذكرها تمامًا.

كيف أصبح متقدمًا في العمر بهذه السرعة؟ لقد كان بحاجة حقًا إلى تقليل شرب الكحول. سوف يخبر جلوريا الليلة أنه سيشرب أيضًا مقابل كل مشروب -كل مشروب حقيقي- مياه فوارة. ومن شأن ذلك أن يكون أمرًا جيدًا. عندئذٍ ربما لن يستيقظ في منتصف الليل وفمه جاف للغاية للدرجة التي يشعر معها بلسانه وكأنه إسفنجة غير مستعملة. أجل، الليلة سيبدأ في شرب المزيد من المياه الفوارة. ولن يكون هناك براندي بينما هو مستلقٍ في الفراش، وسيتناول السمك اليومي أيًا كان نوعه بدلًا من برجر الجبن. من شأن

ذلك أن يثير إعجاب جلوريا (لا، ليس جلوريا، شيلي!) وربما لن تتركه في النهاية. لقد أحبَّ الطريقة التي كانت تخفض بها صوتها عندما تتحدث معه، كان الأمر حميميًا للغاية، على الرغم من أنه لم يفهم قط ما كانت تقوله له.

كان على وشك الوصول إلى رصيف الميناء عندما ظهر قرص الشمس في السماء، وبدأ الضباب ينقشع. ذهبت عيناه إلى الصخرة المغطاة بأصداف البحر التي كان دائمًا ما يتحسسها بطريقة من يؤمن بالخرافات قبل أن يستدير عائدًا أدراجه. وقد جعله شكل الصخرة يفكر في طفلة تلتف على نفسها، رأسها مدسوس بين فخذيها، وشعرها هو الأعشاب البحرية التي تشبثت بالصخرة عند خط المد العالي. ولقد ظلت الصخرة مثل الشاطئ دون تغيير يُذكر طوال عمر فرانك. ما كان مفاجئًا في هذا الصباح بالذات هو وجود ظرف أبيض واحد مستقر أعلى الصخرة، وكان قد تم تثبيت الظرف في مكانه بواسطة حجر رمادي مستدير تمامًا ذي حلقات بيضاء. التقط فرانك الظرف، حاملًا إياه على مسافة مناسبة تمامًا من مسقط نظره حتى يتمكن من قراءة الملصق البريدي، كان يحمل اسمه وعنوانه. انتابه شعور بعدم الواقعية؛ لماذا كانت هناك رسالة له عند الرصيف؟ هل كان يحلم؟ لو كان الأمر كذلك، لكان منطقيًا. لقد رأى نفس الأحلام مرارًا وتكرارًا، وغالبًا ما كانت تحدث على هذا الشاطئ بالذات، بالقرب من هذا الرصيف. طرف بعينيه بسرعة، وكأنه يثبت أنه ما يزال في الواقع، ثم نظر إلى الأسفل ليرى أن الظرف الرطب بقي في قبضته. وبيدين مرتجفتين فتحه، وأخرج قصاصة ورقية وحيدة وفتحها. لم يكن يعرف ما الذي يتوقع أن يجده بالتحديد لكنه لم يتوقع تلك القائمة البسيطة من الأسماء التي وُجِّهَت إليه. ألقى نظرة سريعة على الأسماء، وقد لاحظ اسمه، ولم يميِّز الآخرين على الفور. كان على وشك الالتفات ليرى ما إذا كان بإمكانه اكتشاف من ترك الظرف على الصخرة عندما شعر بقبضة يد محكمة حول كاحليه، ثم تم سحبه بعنف، حتى إنه مال إلى الأمام، وسقط ووجهه لأسفل على الرمال الرطبة. ارتطمت رأسه جزئيًا بصخرة عودته، وكانت هناك دموع مفاجئة في عينيه، وألم رطب حاد على صدغه. أيًا كان من هاجمه فقد رفعه من حزامه وحركه قدمًا للأمام بمحاذاة الرمال حتى هبط وجهه في حفرة ضحلة ملأى بمياه البحر. حاول أن ينهض، لكن ذراعيه كانتا قد وهنتا، وبدلًا من ذلك، أخذ يصيح طلبًا للمساعدة، وقام الشخص الذي فوق

ظهره بدفع وجهه بعنف إلى بركة الماء. أخذ أنف فرانك يوخزه في ألم رهيب، وامتلأ فمه بالرمل والماء.

جاء صوت في أذنه: «هل تعرف لماذا ستموت؟».

سعل فرانك، وكان بإمكانه الآن أن يتذوق الدم المالح الدافئ الممزوج بالرمل الذي يسد فمه. «لا»، رغم أن جزءًا منه كان يعرف سبب موته. يتعلق الأمر بالرصيف، أليس كذلك؟ والأحلام التي كان تراوده دائمًا. تحدث الصوت مجددًا. استطاع أن يشعر بأنفاس تتحرك على جلده، وقد جعلته الكلمات التي قالها قاتله يدرك أنه كان على حق. وكانت أحلامه صحيحة أيضًا، وللحظة شعر بشيء يشبه السَّكِينَةِ، العالم الحقيقي يمتزج بعالم أحلامه ليصنع مكانًا واحدًا فقط، إن عالم وجوده يقترب بسرعة من نهايته. ضغطت الأيدي القوية وجهه عميقًا في الرمال، وانطلق الماء بأقصى سرعة إلى أذنيه. في الظلمة الحمراء رأى دوائر متحدة المركز، مثل برك المد والجزر تنمو وتتقلص. ورأى والدته، في الماضي في المطبخ القديم، ترتدي مئزرًا على فستان. وقد انصرفت بعيدًا عنه، وهي تفعل شيئًا ما عند الموقد، وكان يبكي متوسلًا من أجل مطلبه ويخبرها بمدى أسفه: «أنا آسف يا أمي. أنا آسف». لكنها لم تكن لتستدير. حتى الظلام كان الآن يتقلص بحيث لم يكن هناك سوى برك المد[1] والجزر، وأمه لم تلتفت بعد، يصبح العالم أصغر، يتنفس الماء بدلًا من الهواء.

***

(1) برك المد والجزر أو برك الصخور عبارة عن برك ضحلة من مياه البحر تتشكل على شاطئ المد والجزر الصخري.

ثمانية

ماثيو بومنت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

أليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الجمعة، 16 سبتمبر، 8:45 صباحًا

وقف المحقق سام هاملتون على بعد ثمانية أقدامٍ من الجثة، في محاولة منه لحفظ مسرح الجريمة عن ظهر قلب، واستيعاب كل شيء به. كان الضحية مستلقيًا على بطنه، وقد تشمَّرت إحدى ساقيه قليلًا، كما لو كان نائمًا، كان وجهه مغمورًا في الرمال الرطبة بحيث كان كل ما يمكنك رؤيته في رأسه هو شعر رمادي متعرج وعنق أصابته حروق الشمس.

- هل هو فرانك هوبكنز بالفعل؟

كانت ليزا بانكس، إحدى ضباط دورية كينويك، تقف بجانب هاملتون.

- جيم يعتقد ذلك، وأنا كذلك؛ إنها ملابسه، أليس كذلك؟ أعني، من يحتاج لرؤية الوجه؟

امتلك فرانك هوبكنز منتجع ويندوارد، بعد أن ورث العمل من والديه، وكان زبونًا أساسيًا ومنتظمًا في الحانة الخاصة به، ولقد عرفه سكان كينويك على مدار العام.

- أجل، أعتقد أنه بإمكاني القول أيضًا إنه هو.

كان هناك تقريبًا أربعة أفراد آخرون من قسم شرطة كينويك بالقرب من مكان الحادث، لكن لم يقترب أحد من الجثة باستثناء جيم روبيشود،

الذي كان أول من وصل. لقد تم تنبيه شرطة ولاية مين، وكان ضباط مسرح الجريمة والطب الشرعي في الطريق.

قالت ليزا: «ما هذا؟».

نظر سام إلى حيث كانت تشير. كانت قطعة من الورق الأبيض، أو ربما ظرفًا مجعَّدًا في يد فرانك اليسرى.

قال سام: «كنت أتساءل عن ذلك بدوري».

- هل يتوجب علينا الحصول عليه؟

- من الأفضل ألا نفعل، فهو لن يذهب لأي مكان، وقد يكون دليلًا.

- دليلٌ على ماذا؟ هل تعتقد أن هناك جريمة؟

- يبدو أن شخصًا ما دفع رأسه عميقًا في الرمال.

- لا تعتقد أنه انهار بسبب نوبة قلبية فحسب، وقام المد والجزر بفعل الباقي. أعلم أنك لست من الجوار، لكنك ذهبت إلى الشاطئ، أليس كذلك؟ إذا وقفت على حافة الماء، فإن الرمال ستسحب قدميك داخلها.

- كلا، أنت على حق. أشعر فقط وكأن شيئًا آخر قد حدث هنا.

وبمجرد أن قال تلك الكلمات، تساءل سام عما إذا كان يتخيل بالفعل جريمة حيث لا توجد واحدة. لم يكن فرانك هوبكنز شابًا، وليس بصحة جيدة أيضًا، بناءً على مقدار الوقت الذي أمضاه في الشرب في الحانة الخاصة به، كان التفسير الأكثر ترجيحًا لما حدث هو أنه كان في نزهة صباحية وتوقف قلبه بكل بساطة. وكان سام يعلم أنه عرضة لرؤية النشاط الإجرامي حيث لم يكن هناك أي نشاط إجرامي، وربما كان يفعل ذلك مجددًا.

هزت ليزا كتفيها، ثم عادت لتنظر نحو طريق ميكماك؛ ظنت أنها سمعت صوت سيارة وكانت على حق. كانت هناك ثلاث سيارات دفع رباعي ذوات لون أزرق معدني تتوقف بمحاذاة حافة الطريق، كانت هناك أيضًا شاحنة أخبار محلية قادمة من الاتجاه الآخر.

قالت وهي تمد حروف العلة: «إنهم هنا».

ضحك سام لأنها كانت تقلد تلك الفتاة الصغيرة من فيلم (Poltergeist[1])، ثم بدأ يخطو خطوات واسعة نحو الضباط القادمين.

***

كان ذلك في وقت لاحق من ذلك اليوم عندما عاد سام إلى المحطة، وعلم بما تم العثور عليه في يد فرانك: ظرف ممزق موجَّه إلى فرانك. كانت هناك أيضًا قصاصة من الورق، رطبة بفعل البحر ولكنها لا تزال مقروءة، ومن المفترض أن مصدرها يأتي من داخل الظرف، وعلى تلك القصاصة الورقية كانت هناك قائمة من تسعة أسماء، بما في ذلك اسم فرانك. كانت الرسالة قد أُخذَت مباشرةً إلى مقر شرطة الولاية، لكن سام رأى صورة فوتوغرافية لها وقرأ الأسماء مرتين. لم يكن أي منها مألوفًا له على الفور. كانت هناك أيضًا صورة للجزء الأمامي من الظرف: لا طابع بريد، لا ختم بريد، مجرد ملصق عنوان. كان ذلك محيرًا، لغز حقيقي. لا يعني ذلك أنه لم يكن ليصبح لغزًا لو لم يكن الظرف موجودًا. ذكر التقرير الأوَّلي غير الرسمي للطبيب الشرعي أن هناك كدمات على الجزء الخلفي من عنق فرانك هوبكنز تشير إلى أن شخصًا ما قد احتجز وجهه أسفل الماء حتى غرق. مَن ذا الذي يريد قتل فرانك هوبكنز في أثناء نزهته الصباحية؟! سارق؟ عاشق مهجور؟ بدا كلاهما احتمالًا بعيدًا.

سام (الذي كان محقق شرطة في كينويك لمدة خمسة عشر عامًا حتى الآن) كان يعرف فرانك هوبكنز جيدًا. لقد كان واحدًا من أوائل المواطنين الذين اتصل بهم سام عندما انتقل إلى ولاية «مين» من مدينة «هوما»، بولاية «لويزيانا»، في عام 1999. كان قد أجرى المقابلة من أجل الوظيفة في عطلة نهاية أسبوع مشمسة في أكتوبر، ثم وصل إليها بعدها بخمسة أسابيع في أوائل ديسمبر، وكانت كينويك مرصعة بالفعل بطبقة باهتة من الثلج المتصلب. أخبره زملاؤه الجدد أنه من المبكر بعض الشيء أن يشعروا بالبرد

(1) فيلم (أرواح شريرة) هو فيلم رعب من الطراز الكلاسيكي يدور حول فكرة الأرواح الشريرة التي تسكن مكانًا ما، تم إنتاجه لأول مرة عام 1982م من تأليف ستيفن سبيلبرج.

الشديد وكأنهم في «سيبيريا[1]» في جنوب ولاية مين، وبأنهم قد بُوغِتوا للتو برياح شمالية شرقية مبكرة تتبعها موجة برد قاسية لفترة طويلة. كان هناك الكثير من النكات على غرار «مرحبًا بك في الجنة» و«أتمنى أن تكون قد أحضرت سراويلك الداخلية الطويلة»، ولكن، سرًا، شعر سام بسعادة غامرة نحو استقبال جمال نيو إنجلاند الثلجي له. لقد أمضى أول خمسة وثلاثين عامًا من عمره إما في لويزيانا وإما جامايكا، حيث تنتمي عائلته، ولم تشعره أيٌّ منهما حقًا بأنها موطن له. لقد كان يتوق -لأسباب غامضة في الغالب بالنسبة إليه- إلى مكان آخر. ولقد بدت منازل كينويك ذات الأسطح المائلة، والسماء الرمادية المنخفضة، هي المكان المناسب.

***

كان أول عمل رسمي له بصفته محقق الشرطة الوحيد في كينويك هو زيارة منتجع ويندوارد لمتابعة حالة سرقة مشتبه بها. استقبله فرانك هوبكنز، وهو رجل له لكنة مين والتي كانت ثقيلة للغاية لدرجة أنها بدت مزيفة إلى حد ما بالنسبة إلى أذن سام غير المدرَّبة. كانت ماكينة النقود في حانة ويندوارد قد أُفرِغَت من النقود. «لا يوجد بها أكثر من مائتي دولار»، كما قال فرانك. ولقد كان يشتبه في موظف تم تسريحه من الخدمة مؤخرًا يُدعَى **بن جانيون**، والذي كان يعمل مساعد نادلٍ في قاعة الطعام. كان قد تم الاستغناء عن بن، وهو فتى محلي، بسبب طلبه إجازات مرضية أكثر من اللازم.

قال فرانك: «لقد طردته بالأمس، لكن باربرا (إحدى عاملات التنظيف) أخبرتني أنها رأته هذا الصباح، وأخبرها أنه سيأتي ليحصل على آخر راتب. على أي حال، لم يفعل شيئًا من هذا القبيل لأننا أرسلنا جميع شيكات الرواتب بالبريد، وقالت باربرا (وهي باربرا أخرى تعمل في الحانة) إن جميع النقود الورقية قد اختفت من الآلة».

- هل كانت ماكينة النقود مغلقة؟

---

(1) الجزء الشرقي من روسيا ويعتبر من أشد الأماكن برودة في أصقاع الأرض، حيث تتساقط عليه الثلوج طوال العام.

- حسنًا هذا صحيح. باستثناء أن المفتاح المخصص لفتحها معلَّق على خطاف أسفل الجزء الخلفي من البار مباشرةً، لذلك لن يتطلب الأمر عبقريًا لارتكاب هذه الجريمة بالذات. انظر، أنا صديق لوالدة بن، ولأصْدُقك القول، لست متأكدًا من أنني أريد حتى توجيه الاتهامات. أنا قلق فحسب من أنه إذا اعتقد بأنه أفلت من العقاب مرة واحدة، فلربما يحاول أن يفلت بجريمته مرة أخرى، هل يبدو ذلك منطقيًا بالنسبة إليك؟

قال سام: «أجل. أين تعتقد أن بن موجود الآن؟».

- على الأرجح في كولي، إنها حانة أسفل الطرف الآخر من الشاطئ. سوف ينفق أموالي ويتفوه بكلام سيئ عني في الوقت ذاته.

كان سام قد حصل على وصف جيد جدًا لبين جانيون، ثم ذهب إلى حانة كولي وأحضره إلى المركز لاستجوابه، حيث قدَّم الفتى اعترافًا كاملًا باكيًا. لم يوجِّه فرانك التهم، وأعاد بن الأموال. كانت هذه أول قضية لسام في كينويك وربما كان هذا هو السبب الوحيد الذي جعله يتذكرها. ولكن منذ ذلك الحين، كان سام يذهب بانتظام إلى ويندوارد لتناول اسكوتش ومشروب غازي في ليلة الجمعة. وكان يذهب من حين لآخر، على مر الأعوام، إلى كولي لتناول الجعة، على الرغم من حقيقة -أو ربما بسبب حقيقة- أنه كان المكان الوحيد في بلدته الجديدة الذي تعرَّض فيه لنوع من أنواع العنصرية، ففي وقتٍ ما خلال فصل الشتاء الأول له في كينويك، قال له مطور عقارات ثمل للغاية من «ويلز»، وهي البلدة المجاورة لسام: «هل أخبرك أحد أن لون بشرتك غير مناسب لـ «مين»؟».

قال سام، وهو يدرك أنه ترك القليل من لكنته الجامايكية تنزلق إلى السؤال: «ما اسمك يا بني؟».

- لست مضطرًا أن أخبرك بذلك.

- لا، لست مضطرًا لذلك. فأنا سوف أتذكر وجهك. وفي أحد هذه الأيام، سأعتقلك، ربما بسبب الثمالة والإخلال بالنظام، وعندما يحدث ذلك، سيسعدك معرفة أنني نسيت ما قلتَهُ لي للتو.

بدا الرجل مرتبكًا، وقد بدا مرتبكًا أيضًا عندما اعتقله سام في الواقع بعد قرابة عامين بعد أن أصبح مخمورًا، هذه المرة في فندق كينويك هاربور،

وتخطى أعلى البار المصنوع من خشب الساج ليمسك بصدر فتاة جامعية كانت تعمل خلف البار. وفاءً بكلمته، تصرف المحقق سام هاملتون كما لو أنه لم يلتق قط بوكيل العقارات المدعو هارفي بيتش من قبل. كانت هذه هي المرة الوحيدة التي قال له فيها أي شخص كلامًا عنصريًا في مين. في الواقع كان معظم الأشخاص الذين التقاهم ودودين تمامًا، على الرغم من اشتهار نيو إنجلاند بفتورها. وقد تضمن ذلك فرانك هوبكنز (مالك ويندوارد الدائم) والذي قُتِل في أثناء نزهته الصباحية.

عاد سام بذاكرته إلى الوراء وكان متأكدًا من أن فرانك كان متزوجًا عندما التقاه لأول مرة. امرأة ذات شعر داكن تعمل في مكتب البريد. اعتقد أن اسمها ربما كان شيلا. لقد غادرت المدينة للانتقال إلى فلوريدا ولم تدعو فرانك للذهاب معها. كان ذلك قبل سنوات، وأصبح فرانك الآن أعزب مؤكدًا، ورجلًا ذا عادة صارمة: نزهة على الشاطئ كل صباح ما لم تكن الرياح شديدة جدًا، ثم على الأرجح قضاء نصف يوم في العمل على المهمة الشاقة المتمثلة في الحفاظ على منتجع ويندوارد مربحًا، ثم قضاء أمسية طويلة في صالة ويندوارد، وهو يحتسي ببطء سلسلة من جعة بدلايت بهدوء. وعلى حد علم سام، لم يكن هناك مكان في هذا الجدول الزمني للعلاقات الغرامية. ليس هذا فقط، بل إن فرانك لم يكن له أعداء. لقد كان رئيسًا بسيطًا وودودًا مع الجميع. مما يعني أن ما حدث لفرانك على الشاطئ بدا وكأنه شيء آخر تمامًا، شيء ما، خطأ، لعدم وجود كلمة أفضل. لولا الرسالة، لاعتقد سام بأن فرانك قد قُتِل بطريق الخطأ. ربما كانت عملية سرقة جرت بشكل خاطئ، أو.. من يدري، ربما شخص أراد فقط أن يختبر شعوره حين يقتل رجلًا بدفع وجهه في الرمال. لكن ماذا عن الرسالة؟ تلك القائمة من الأسماء؟

أجرى سام بحثًا عن الأسماء الأخرى على الإنترنت، ليرى ما إذا كان أي منهم قد ظهر في تحقيق في جريمة قتل، لكن لم يكن هناك شيء. ومع ذلك، كان يبحث عبر جوجل فحسب. إن شرطة الولاية ستبحث في قاعدة البيانات الخاصة بها. لعل شيئًا ما –رابطًا ما بين الأسماء الموجودة في القائمة– يظهر.

***

(2)

الجمعة، 16 سبتمبر 12:30 مساءً

كانت جيسيكا وينسلو دائمًا ما تذهب إلى مطعم سيسي من أجل تناول وجبة الغداء في أيام الجمعة مع ماري من قسم المحاسبة، لكن ماري كانت في إجازة هذا الأسبوع، وفكرت جيسيكا في أن تجرب مكان الغداء الجديد في شارع «الكونجرس»، ذلك المكان حيث يظهر دجاج مشوي في النافذة.

كانت جميع الطاولات محجوزة ولكن كان هناك مقعد في المنضدة الخلفية. قامت بطلب: شاي مثلج، فخذ دجاج مدخن مع أرز وفاصولياء، وموز مقلي كطبق جانبي. قام الرجل اللاتيني العجوز الموجود خلف المنضدة بفحص وجهها، ثم سألها أحد الأسئلة الأقل تفضيلًا لديها.

- من أين أنت يا فتاة؟

لم تكن قد سمعت هذا السؤال بالذات منذ فترة، لكنها سمعته بما فيه الكفاية طوال حياتها. هذا و«ماذا تكونين؟» أو الأقل فظاظة، ولكن بنفس النبرة المتعالية مثل «ألستِ جميلة؟».

أجابت: «مريلاند».

- لا، أعني قبل ذلك.

- مريلاند، على حد علمي.

رفع الرجل العجوز حاجبًا واحدًا، لكنه استسلم، وانصرف عن المنضدة ليأخذ طلبًا آخر. كانت جيسيكا ابنة بالتبني، لكن كل ما كان يعرفه والداها على وجه اليقين أنها قادمة من فيتنام. كانت تجري في عروقها بالتأكيد بعض الدماء الفيتنامية، ولكنها كانت تحمل أيضًا بعض الأصول الإفريقية والبيضاء أيضًا. لم تكن متأكدة، لكنها افترضت أنها نتاج امرأة فيتنامية وجندي أمريكي من أصل إفريقي، وإذا كان الأمر كذلك، فمن الممكن أن تكون والدتها قد عملت بممارسة البغاء. في الحقيقة، لم تهتم كثيرًا. فهي لم تكن تفكر في الأمر قط حتى يقرر غريب ما أنه يودُّ معرفة كل شيء عن تاريخ أجدادها، كما لو كان ذلك شأنًا من شئونه اللعينة. شعرت بغضبها يتصاعد لكنها أخمدته. ربما كان الرجل العجوز غير مؤذٍ، فقط أراد معرفة ما إذا كانت تتحدث الإسبانية. فلقد كان العديد من الناس يلقون نظرة واحدة عليها ويفترضون أنها تفعل.

أحضر لها الرجل فخذ الدجاج، وكان أفضل بكثير مما قيل لها. وبينما هي في منتصف الغداء، دق هاتفها الذي كان مكبًّا على وجهه فوق المنضدة مرتين، وتجاهلت جيسيكا ذلك جزئيًا، لأن أصابعها كانت مغطاة بدهن الدجاج، ولكن على الأكثر لأنها أرادت فقط الاستمتاع بالباقي من طعامها. لكن في المرة الثالثة التي دق فيها هاتفها أنزلت ساق الدجاج، ومسحت أصابعها في منديلها، ونظرت إلى الشاشة. كانت هناك مكالمتان: واحدة من آرون وواحدة من ستيفاني (موظفة الاستقبال).

كان هناك أيضًا رسالة نصية من آرون. «**أين أنت؟**».

كانت على وشك إعادة إرسال رسالة نصية إليه، لكنها اتصلت بدلًا من ذلك، وقد أجاب على الفور.

سألها وقد بدا على صوته بعض الانزعاج: «أين أنت؟».

- أتناول الغداء. لقد حان وقت الغداء.

- هل تعرفين تلك القائمة؟

- تلك التي تلقيتُها أمس في البريد؟

- أجل. كان فرانك هوبكنز أحد الأسماء الموجودة عليها.

- أتذكر ذلك.

- شخص يدعى فرانك هوبكنز قُتِل هذا الصباح في كينويك بولاية مين.
- حقًا؟
- نعم، جديًا. ارجعي إلى المكتب بأسرع ما يمكن.
- سأفعل، أنا في طريقي.

فكرت في تعبئة ما تبقى من غدائها لتأخذه معها لكنها قررت عدم القيام بذلك، دفعت الحساب وغادرت.

***

عندما عادت إلى المكتب، اعترضها آرون في منتصف الطريق بين مكتب الاستقبال وحجرة مكتبها. اعتقدت أنه بدا رث الهيئة وتساءلت عن المدة التي قضاها في كلوب روم الليلة الماضية.

سألت: «ما القصة؟».

- لقد أرسلت القائمة للتحليل، ويبدو أن شخصًا ما هناك قد قرأ بالفعل عن مقتل فرانك هوبكنز اليوم في كينويك بـ «مين». أعني، كانوا سيعرفون بالأمر على أي حال، لكن ما زال...
- ماذا حدث له؟
- للمحلل؟
- لا، لفرانك هوبكنز، في مين. كيف حالك هذا الصباح آرون؟
- آسف، لقد قضيت وقتًا طويلًا مع أنتوني الليلة الماضية.
- لا داعي للقلق. كيف مات هذا الرجل في مين؟
- كان يأخذ نزهة على الشاطئ بالقرب من المكان الذي يعيش فيه. لقد تم إغراقه عنوة ورأسه محتجز بداخل بركة مد وجزر أو شيء من هذا القبيل.
- مَن هو؟
- لا أعرف. لا أحد. أعلم أنكِ رأيت اسمه على قائمة بالأمس وقلتِ إنكِ لم تتعرفي عليه، لكن هل قمتِ بإعادة التفكير في هذه الأسماء مرة أخرى؟ هل لديكِ أي صلة بهذا الرجل؟

- كلا.

- إذن إليكِ ما في الأمر...

- إنه اسم لعين شائع جدًا.

- فرانك هوبكنز؟

- أجل، أعني...

- إليكِ ما في الأمر. كان هناك ظرف في مسرح الجريمة موجَّهًا إلى فرانك.

- هل كانت القائمة بحوزته؟

- القائمة نفسها بالضبط. تلك التي عليها اسمكِ.

قالت جيسيكا: «اللعنة».

قال آرون: «أجل».

***

(3)

الجمعة، 16 سبتمبر، 1:33 مساءً

كان إيثان دارت يدخل شقته الخاصة عندما سمع صوت رنين هاتفه الأرضي. قام بتفقد الكاشف الرقمي على سماعة الهاتف، فقط للتأكد من أنها ليست والدته، الشخص الفعلي الوحيد -إلى جانب المحامين- الذي ما يزال يتصل به على رقم منزله. كان رقمًا من ألباني بـ «نيويورك»، فقرر تجاهله.

ذهب ليصنع القهوة، ووجد أن هناك ربع إناء مُتبقيًا من الأمس (أم هل كان ذلك في اليوم الذي يسبقه؟)، وسكبها على الثلج، ثم أحضر جيتاره وعاد إلى غرفة المعيشة. جالسًا في شعاع من ضوء الشمس الباهت القادم من النافذة، راح يراقب ذرات الغبار تتصاعد من الأريكة التي كان يمتلكها منذ أن امتلك هذه الشقة. كان مرهقًا، وازدرد جرعة كبيرة من قهوته المثلجة خدرت أسنانه.

استقر الجيتار الصوتي على ركبته، وقام بقرع زوجين من الأوتار، ثم حاول أن يتذكر كلمات الأغنية التي كان قد كتبها في اليوم السابق، فاستعادها على الفور. عند قراءتها الآن، تذكر أنه قرر في الليلة السابقة أن الأغنية كانت هراء، لكنه الآن لم يكن متأكدًا للغاية. «الأخير على قائمتك»، لم يكن هذا الاسم سيئًا للغاية. وربما -ربما فقط- كانت الأغنية في الواقع عن هانا، التي غادر شقتها مؤخرًا. مما كان يعرفه عنها، فلقد كانت قائمة غزواتها العاطفية ممتدة للغاية. لا يعني ذلك أنه لم يكن كذلك. هل كان يقع في الحب؟ هل ستنجح

الأغنية بشكل أفضل إذا كان السطر الأول «استيقظت في أحلام هانا مرة أخرى الليلة الماضية»؟ حينئذ يمكنه تسمية الأغنية «هانا»، وهو عنوان أفضل من «الأخير على قائمتك». راح يجرب ذلك، ثم أخذ يبحث في منفضة سجائر زجاجية عما يكفي من الماريجوانا لملءِ وعاء. لقد كان كل ما يريده حقًّا هو سيجارة لعينة.

وقف متوترًا وقام ببعض تمرينات القفز ثم تفقَّد الهاتف ليرى ما إذا كان رقم ألباني قد ترك رسالة، وقد فعل. تفحص الرسالة، متوقعًا بعض المتصلين الآليين، لكنه حصل على صوت حقيقي بدلًا من ذلك، صوت امرأة، عرَّفت عن نفسها باسم جيسيكا وينسلو وطلبت منه معاودة الاتصال بها على الفور. في الواقع، كان اسمها هو الاسم الذي واجه صعوبة في تذكره في الليلة السابقة. ربما كانت هذه القائمة فعلًا لها علاقة بإحدى وكالات مؤلفي الأغاني التي أرسل إليها عروضًا توضيحية. ومع ذلك، ألباني؟ لم يبدُ هذا صحيحًا.

قال: «مرحبا جيسيكا؟».

أجابت على هاتفها حتى قبل أن يُسمِع رنينًا: «هل أنت إيثان دارت؟».

- أجل.

- اسمي جيسيكا وينسلو. أنا عميلة خاصة لمكتب التحقيقات الفيدرالي، وكنت آمل أن أطرح عليك بعض الأسئلة.

- حسنًا.

تراجع إيثان على الأريكة.

- هل تلقيت مؤخرًا رسالة بها قائمة أسماء؟

- لقد تلقيتها بالأمس. إن اسمكِ عليها أيضًا.

كانت هناك وقفة طفيفة، ثم قالت: «نعم، إنه كذلك. هل تذكرت ذلك؟».

- بالتأكيد. أعني، لقد حصلت للتو على القائمة، بالأمس.

- هل تعني تلك القائمة أي شيء بالنسبة إليك؟ هل تعرف من أين جاءت، أو أيًّا من الأسماء الأخرى؟

- كلا، لم تعنِ لي أي شيء. لقد ظننت أنه لا بد وأن هناك خطأً ما.

- ماذا عن فرانك هوبكنز؟ هل يعني هذا الاسم لك شيئًا؟

- كلا، لم يفعل أي منهم.

سمع إيثان صوتًا آخر –صوت رجل– في الخلفية يقول شيئًا ما.

قالت: «هل حدث شيء آخر غير اعتيادي في حياتك مؤخرًا؟ هل يهددك أحدهم؟ هل لك أي أعداء؟».

- آه، لا أعتقد ذلك.

- حسنا. إنني أتحقق فحسب. هل ما زالت الرسالة بحوزتك، أم أنك قد تخلصت منها؟

- كلا، لا تزال لدي. هل تريدين مني أن...

- لا، فقط اتركها في مكانها، ولا تلمسها مرة أخرى. أنت في المنزل الآن، أليس كذلك؟

- أجل.

- سأرسل عميلًا ميدانيًا محليًا إلى منزلك لأخذ الرسالة. هل يمكنني التأكد من عنوانك؟

- ما الذي يجري هنا؟ هل من المفترض أن أقلق؟

- سنرسل عميلًا، حسنًا؟ لا تقلق، على الأقل ليس بعد. ما زلنا نحاول معرفة ما يحدث.

قال إيثان: «لم يكن ذلك مطمئنًا».

ضحكت العميلة.

- لم يكن، أليس كذلك؟ انظر، فقط لا تلمس الرسالة مجددًا قبل وصول العميل. هل يمكنك أن تفعل ذلك من أجلي؟

قال إيثان: «بالتأكيد».

بعد إنهاء المكالمة ذهب إيثان ونظر إلى القائمة التي لا تزال تقبع بجوار الحاسوب المحمول الخاص به. كان قد نسي أنه استخدم الجزء الخلفي من الرسالة لتدوين كلمات أغنيته الجديدة، والآن يشعر ببعض الحرج لأنه سيسلمها إلى عملاء فيدراليين. لا يعني ذلك أنهم سيكترثون. من كان يعلم،

ربما يرى شخص ما في مكتب التحقيقات الفيدرالي تلك الكلمات ويدرك كم كان عبقريًا ويعرفه على ابن عمه منتج الأغاني. ضحك إيثان في الشقة الفارغة. ثم فقط من أجل الأجيال القادمة، أخرج هاتفه وصوَّر الجزء الخلفي من القائمة.

***

(4)

الجمعة، 16 سبتمبر، 3:50 مساءً

كان الشخص الثاني من القائمة الذي نجحت جيسيكا في العثور عليه هو آرثر كروز. وقد تواصلت معه عبر هاتفه الخلوي في أثناء وجوده بالمشفى، وعندما سألته عن القائمة، استغرق الأمر منه لحظة ليدرك ما الذي كانت تتحدث عنه.

قال أخيرًا: «أوه، صحيح».

- إذن هل تلقيت قائمة بالأمس في البريد؟

- آها.

طرحت عليه نفس الأسئلة التي كانت قد طرحتها على إيثان وحصلت بشكل أساسي على نفس الإجابات. فهو لم يكن يعرف أي شخص على القائمة. ولم يحدث شيء غير اعتيادي في الآونة الأخيرة من حياته. وعلى حد علمه، لم يكن لديه أعداء.

قالت جيسيكا: «سأحتاج أيضًا الوصول إلى تلك الرسالة والظرف إذا كانا لا يزالان بحوزتك. هل يمكنك الوجود في المنزل في غضون نصف ساعة؟».

قال آرثر: «لا أستطيع حقًا. فأنا في منتصف ورديتي، و...».

- إنه أمر مهم.

قال: «بالتأكيد»، وهو يعلم أن جينا وماجي سوف تكونان على ما يرام للساعة القادمة أو نحو ذلك. لم يكن يعيش بعيدًا عن المشفى، ويمكنه أن يعود في وقت قصير.

قالت جيسيكا: «وشيء آخر، أعلم أن هذا احتمال ضعيف، لكن هل تعرف شخصًا اسمه جاري وينسلو؟».

فكر آرثر، ثم قال: «لا يبدو الاسم مألوفًا لي».

- كم عمرك؟

- أنا في الخامسة والأربعين.

- إن والدك لا يدعى آرثر كروز، أو آرت كروز، أليس كذلك؟

قال آرثر: «لقد كان يدعى آرت كروز».

- أوه أنا آسفة. هل هو ميت؟

- في الواقع لا. ما كان يجب أن أقول «كان»، لكنني لم أره أو أتحدث معه منذ أكثر من عشر سنوات.

- إذن فإن اسمه هو آرت.

- إنه آرثر لكنه يُعرَف بآرت.

- إذن فأنا لا أفترض أنك تتذكر ما إذا كان يعرف أي شخص باسم جاري وينسلو؟

- لست متأكدًا من أنه يمكنني تسمية واحد من أصدقاء والدي. ألم تقولي أن اسمك كان وينسلو؟

- آها، جاري هو والدي وأنا أتذكر أنه كان لديه صديق يدعى آرت كروز، أو أعتقد أنني أفعل ذلك، وبطريقة ما علق الاسم معي لقد كانا أصدقاء جامعيين، على ما أعتقد.

- لقد ارتاد والدي جامعة برينستون.

قالت جيسيكا: «حسنا. إذًا لم يكونا صديقَي جامعة».

- ارتاد والدك جامعة... ؟

- لقد ارتاد جامعة فيرمونت، لكنني أعلم أنه كان يعرف شخصًا يدعى آرت كروز. هل كان والدك يمتلك منزل بحيرة؟

- لا، لكن والديه فعلًا. لقد رأيت صورًا له. إنه أعلى بحيرة «سكوام» بـ «نيو هامبشاير». إنني أشعر بالحيرة. ما علاقة كون والدك ووالدي أصدقاء بالقائمة؟

- آسفة؛ إنه بالفعل أمر مربك. أنا عميلة لمكتب التحقيقات الفيدرالي ولكنني تلقيت أيضًا قائمة في البريد، على الأرجح نفس القائمة التي تلقيتها.

- حسنًا، لهذا السبب بدا اسمكِ مألوفًا لي بعض الشيء، إذن هل تعرفين ما الغرض من تلك القائمة؟

- ليس لدي أي فكرة، هذا ما نحاول اكتشافه. ما نود معرفته هو ما إذا كان هناك أي صلات بين الأشخاص الذين استلموا نسخة من الرسالة. هل تعتقد أن هناك أي طريقة يمكنك من خلالها الاتصال بوالدك ومعرفة ما إذا كان لديه صديق اسمه جاري وينسلو، وأين التقيا لأول مرة؟

قال آرثر: «بصراحة أنا لا أعرف حتى كيف أصل إليه. وإذا كنت أعرف كيفية الاتصال به، فلا أعتقد أنني سأتمكن من الاتصال».

- أتفهَّم ذلك. إذا كانت هناك طريقة لتعرف كيف يمكنني الاتصال به، فربما...؟

- بالتأكيد.

***

قاد آرثر سيارة ريتشارد السوبارو عائدًا إلى منزله، متجاوزًا الحقول القاحلة وبيوت المزارع المتعفنة في الوادي. اتخذ جزء من السماء الضبابية منظرًا داكنًا منتفخًا، فراح يتساءل عما إذا كانت هناك عاصفة قادمة. ونظرًا لأن اسم والده قد طرح، أخذ آرثر يفكر قليلًا بشأنه، متسائلًا كيف كانت حياته الآن. كان يتلقى أحيانًا تقريرًا من شقيقته سامانثا، التي كانت تتحدث مع والدهما، لكنها نادرًا ما كانت تراه. عاش آرت كروز في مجمع سكني يزيد عمره على خمسة وخمسين عامًا في «ويست بالم بيتش» بولاية فلوريدا.

قالت سامانثا إنه زعم ذات مرة أن لديه صديقة تعيش في إحدى الوحدات السكنية الأخرى، لكنها قالت إنه استغرق بعض الوقت حتى يأتي باسمها، ومع استثناء محتمل لهذه الصديقة، فلقد كان من الواضح لكل من آرثر وسامانثا أن والدهما كان وحيدًا تمامًا. ولقد أزعج ذلك سامانثا قليلًا، لكن آرثر لم يفكر في الأمر قط.

لقد حذف آرت ابنه من حياته بعد خلاف نشب بينهما، لكن آرثر تساءل أحيانًا عما إذا كانت ستصبح هناك علاقة بينهما حتى لو لم يحدث ذلك مطلقًا. كان والده جمهوريًا متشددًا، مدمنًا على محطة «فوكس نيوز»، ويفتخر بنفسه لعدم كونه محنكًا سياسيًا، مما يعني أن عليه الإفصاح عن ملاحظاته العنصرية والمتحيزة ضد المرأة بصوت عالٍ ويبدو وكأنه يُدعم كل ما يسبح ضد التيار. عندما نشب الخلاف بينهما، بعد عامين من طلاق والديه، منحه آرت ابتسامة باهتة، ثم قال: «من المحتمل أن تخبرني أنك ستتزوج بعد ذلك. فقط لا تتوقع مني المجيء». ولقد سهَّل رفض والده له الأمور من نواح عديدة. فعندما تزوج فعليًا، أرسل آرثر دعوة إلى والده بالبريد، متوقعًا تمامًا أن يتلقى منه ردًا بعدم الحضور. بدلًا من ذلك، لم يتلقَ أي رد، ولا حتى رفض، وشطبه آرثر نهائيًا من حياته. سألته زوجته ذات مرة عما إذا كان يفكر في والده، وما إذا كانت علاقتهما سيتم إنقاذها يومًا ما، وأجاب آرثر بصدق أنه نادرًا ما يفكر فيه، هذا إن حدث.

***

عندما عاد إلى المنزل، كان عليه الانتظار أقل من خمس دقائق فقط قبل أن تندفع سيارة من طراز لينكولن نافيجيتور داخل ممر السيارات الخاص به، ويخرج منها رجلان، يرتديان بدلتين رمادية اللون.

سأل أحد الرجال وهو يحمل شارة: «آرثر كروز؟».

كان لديه لحية بيضاء قصيرة تمتد فقط إلى خط الفك. وكان الجلد الممتلئ تحت فكه ورديًا وحليقًا. وقد أراهم آرثر الرسالة والظرف، كان قد ألقى كليهما بالفعل في سلة المهملات الخاصة به. قام الرجل الثاني الأصغر سنًا ذو الشخصية المتميِّزة، شديد الوسامة الذي كان يرتدي قفازات، بانتزاع

قطعتي الورق من بين الكتالوجات والبريد غير المرغوب فيه وصناديق الأطعمة المجمدة.

- ماذا يحدث هنا؟

سأل آرثر عما إذا كان هؤلاء العملاء قد يُفشون معلومات أكثر قليلًا مما فعلت جيسيكا وينسلو.

قال الرجل ذو اللحية: «لا أعرف بالضبط، يا رفيقي»، وتراجع آرثر قليلًا عندما دعاه «رفيق».

كان العميل الأصغر، الذي يشبه إلى حد ما جيمي سميتس عندما كان في مسلسل (NYPD Blue)، يزلق قطعتي الرسالة في أكياس بلاستيكية منفصلة. قال: «هذا كل ما نحتاجه منك، سيدي»، وقادهما آرثر إلى الباب، مدركًا لعرجه كما كان دائمًا مع أشخاص جدد.

شاهدهما يقودان السيارة مبتعدين من خلال الزجاج المصنفر لنافذة الباب الأمامي، ثم عاد إلى داخل المنزل.

كان هناك هزيم رعد قادم من بعيد، وحدث نفسه بأن عليه العودة إلى العمل. بدلًا من ذلك، جلس على أحد كراسي غرفة الطعام التي كان ظهرها على شكل حرف T، وتساءل عما تدور حوله القائمة، ولماذا أصبح مكتب التحقيقات الفيدرالي مهتمًا بها. هل كانت العميلة وينسلو تخفي شيئًا عنه؟ بدا ذلك محتملًا.

فرك عضلات فخذه اليسرى المنهكة. كان يشعر دائمًا أن ساقه تصبح في أسوأ حالاتها عندما يكون الطقس سيئًا. أو ربما كان يتخيل ذلك فحسب؟ أظلمت النوافذ فجأة وانتظر أن يسمع صوت المطر على السطح. كان عليه أن يعود إلى العمل، لكنه ظل يفكر في مدى رغبته في إخبار زوجته بالتفاصيل الأخيرة في حياته: القائمة التي حصل عليها عبر البريد، والمكالمة الهاتفية من مكتب التحقيقات الفيدرالي، والآن، العميلان الاثنان اللذان أتيا لاستلام الرسالة. لقد سمح لنفسه برفاهية استثنائية والمتمثلة في تخيل المحادثة، حيث تريد زوجته معرفة التفاصيل -أرادت دائمًا معرفة التفاصيل- مثل كيف كان شكل العملاء. كان سيخبرها عن جيمي سميتس، والرجل ذو اللحية

التي تم حلقها بمحاذاة خط الفك. كانت زوجته لتقول ضاحكة: «مثل جورج لوكاس؟». وكان آرثر ليجيب: «بالضبط، لم أفكر في ذلك».

لقد سمح لنفسه ببضع دقائق أخرى من هذا الحلم الخيالي، حتى إنه سمح لميستي بالعودة إلى الصورة، بالطريقة التي كانت تتكئ بها على إحدى أرجلهم عندما كانا يتحدثان، بحثًا دائمًا عن الحنان. توقف عن التفكير في هذه الأفكار عندما بدأ حلقه يؤلمه. كان بحاجة للعودة إلى العمل. كانت السماء تمطر الآن، لكنه لم يهتم كثيرًا بينما أخذ يسير بوتيرته البطيئة المعتادة عائدًا إلى سيارته.

***

(5)

الجمعة، 16 سبتمبر، 6:00 مساءً

بحلول الساعة السادسة من ليلة الجمعة تلك، تمكنت جيسيكا من التعرف بشكل إيجابي على أربعة أشخاص في المجمل باستثنائها هي وفرانك هوبكنز والذين تلقوا جميعًا القائمة. إيثان دارت وآرثر كروز، ربما لأن أسماءهم كانت الأكثر غرابة، فقد استطاعت التعرف عليهم بسهولة نسبية. كانت جيسيكا قد اتصلت بالعديد من النساء اللواتي يحملن اسم كارولين جيديس، وقد أصبن جميعًا بالحيرة من السؤال عما إذا كُنَّ قد تلقين قائمة غامضة في البريد، قبل أن يحالفها الحظ مع أستاذة في جامعة ميتشجان. وكما فعلت مع إيثان وآرثر، اتصلت جيسيكا بأقرب مكتب وطلبت منهم إرسال شخص ما لاستعادة الرسالة والظرف. ولقد أحرزت أيضًا نجاحًا مع ماثيو بومونت، على الرغم من شيوع هذا الاسم، بعد نحو أربع أو خمس محاولات فاشلة فقط. ولسبب ما، بمجرد أن سمعت صوته عندما أجاب على الهاتف، عرفت أن ماثيو بومونت الذي كان نائب رئيس شركة مالية في بوسطن هو الشخص المطلوب. ولماذا كان ذلك؟ لقد اتصلت به على هاتف مكتبه قبل أن يغادر مباشرة، وقد وافق على مقابلة عميل فيدرالي. سألت الأسئلة المعتادة، أخبرها أن أيًا من الأسماء لم يكن يعني أي شيء بالنسبة إليه، ثم سألته عن عمره، جزء من هذا لأنه بدا صغيرًا عن أن يكون نائب الرئيس.

قال: «أنا في التاسعة والثلاثين من عمري».

قالت جيسيكا قبل أن تمسك نفسها: «أوه، هذا هو عمري».

بعد أن أنهت المكالمة أخذت تتساءل عن عمر إيثان دارت وكارولين جيديس. لقد أخبرها آرثر كروز أنه في الخامسة والأربعين من عمره، وبدا إيثان وكارولين وكأنهما في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات كذلك. لكن ماذا عن فرانك هوبكنز، لقد كان يبلغ من العمر اثنين وسبعين عامًا.

نظرت إلى الأسماء للمرة المائة، في محاولة لمعرفة ما إذا كانت الأسماء التي لم تتمكن حتى الآن من العثور عليها قد تمنحها أي أدلة أخرى محتملة تتعلق بأعمارهم. من الممكن أن يكون جاي كوتس في أي عمر، ويمكن ببساطة أن يكون في منتصف الثلاثينيات أو في السبعينيات من عمره. كان جاي اسمًا شائعًا لفترة من الوقت. وبدا جاك راديبو وكأنه اسم رجل أكبر سنًا بقليل، لكن ربما كانت تفكر فقط في ذلك لأن جاك راديبو الأكثر شهرة كان حُجَّة في عالم الأعمال والذي يبلغ من العمر سبعين عامًا، لكنها قد تحدثت معه بالفعل ولم يتلق الرسالة. وكان آخر شخص لم تستطع إيجاده هو أليسون هورن، وكان هذا اسمًا آخر يمكن أن ينتمي إلى أي شخص في أي عمر، ولكنه كان أيضًا اسمًا شائعًا لدرجة أن العثور على أليسون هورن الصحيحة قد يكون صعبًا للغاية.

رغبة منها في معرفة المزيد عن فرانك هوبكنز، قررت الاتصال بقسم شرطة كينويك. وبعد أن عرَّفت نفسها على أنها عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي، طلبت التحدث إلى من كان مسؤولًا في قضية جريمة قتل فرانك هوبكنز.

قالت موظفة الاستقبال: «لقد آلت هذه القضية إلى الولاية يا عزيزتي، لكن المحقق هاملتون ما زال هنا. لقد كان في مسرح الجريمة إذا كان ذلك مفيدًا لك».

- سيكون ذلك عظيمًا.

بعد نحو ثلاثين ثانية، جاء المحقق على الخط وقدم نفسه.

- سيدي المحقق، أنا العميلة وينسلو من المكتب الفيدرالي من ألباني. هل لديك دقيقة واحدة؟

- إن اسمك الأول ليس جيسيكا، أليس كذلك؟

- هو كذلك، لقد رأيت القائمة.

- أوه، لأكون صادقًا لقد كنت شبه أمزح نوعًا ما. هل كان هذا اسمكِ حقًا الذي في القائمة؟

- نعم. لقد تلقيت رسالة مماثلة لتلك التي تم العثور عليها بالقرب من فرانك هوبكنز هذا الصباح. وعلى الرغم من ذلك، فهذا أمر يتم الاحتفاظ به طي الكتمان في الوقت الحالي.

- ما هو؟

- وجود الرسالة والقائمة.

قال المحقق: «أوه، صحيح، لقد سمعت ذلك. إذن ما الأمر؟ هل تعرفين الأشخاص الآخرين الموجودين على القائمة؟».

- ولا واحد منهم. ولقد تعقبنا بعض الآخرين، لا توجد صلة، على الأقل ليس هذا ما توصلنا إليه.

قال المحقق هاملتون: «إنه أمر غريب للغاية، الأمر برمته».

- إنه حتى أكثر غرابة حين يكون اسمك به.

- أتخيل أنه كذلك.

- إذن ما الذي يمكنك إخباري به عن فرانك هوبكنز؟

- لقد عاش هنا في كينويك طوال حياته، تزوج مرتين وليس لديه أطفال. وقد تسلم منتجعًا يُدَارُ عائليًا أنشأه والداه، يُدعى منتجع ويندوارد.

سألت جيسيكا: «هل يقع في كينويك، أيضًا؟».

شيء ما بشأن هذا الاسم بدا مألوفًا بعض الشيء.

- نعم، على شاطئ كينويك، لقد اعتاد المنتجع أن يكون فاخرًا منذ زمن بعيد. إنه ذلك النوع من الأماكن الذي قد تأتي إليه العائلات لتقضي شهرًا في المرة الواحدة. حيث جميع الوجبات مشمولة، لعبة شوفلبورد[1]

---

(1) لعبة دفع الأقراص، هي لعبة تجرى بدفع بعض الأقراص الخشبية أو القطع النقدية فوق مائدة ملساء، نحو نقاط معينة. ويستخدم اللاعبون فيها عصا طويلة المقابض تُسمى عصا البلياردو، لدفع الأقراص البلاستيكية إلى مكان للتسجيل في الطرف الآخر من الطاولة. كما يحاول اللاعب أيضًا أن يدفع أقراصه أو أقراص خصمه بعيدًا عن مكان التسجيل أو إلى داخل منطقة الجزاء.

منظمة، ومارتيني على الشرفة. لكنه الآن في أصعب حالاته. أعتقد أن فرانك استمر في تشغيله حتى يكون لديه حانة يشرب فيها بينما كان يتظاهر بأنه يدير مشروعًا تجاريًا.

- هل كان مدمنًا للكحول؟

- أعتقد ذلك. إنه مدمن كحول عالي الأداء، مثل نصف الأشخاص الذين أعرفهم. ومع ذلك لم يتسبب بأي مشكلة من قبل. لقد بدا أن معظم الناس يحبونه.

- بما فيهم أنت؟

- بالتأكيد، بما فيهم أنا. فمن المعروف عني أنني أتناول مشروبًا من حين لآخر ليلة الجمعة في ويندوارد، ولقد كان فرانك ودودًا دائمًا.

- هل كنت في مسرح الجريمة؟

- أجل. لم أقترب كثيرًا، لكن كان من الواضح أنه مسرح جريمة. حسنًا، ليس واضحًا، ولكن لسبب ما لم أعتقد أنه كان موتًا طبيعيًا. بدا الأمر كما لو أن شخصًا ما دفع رأسه بقوة في الرمال.

- اعتقدت أنه كان في بركة المد والجزر.

- لقد كانت بركة مد وجزر عندما مات، ولكن المد كان ينخفض.

- صحيح. وكان بحوزته الظرف والقائمة؟

- كان يمسك بكليهما، وقد سُحِقَتا نوعًا ما في يده. لم يكن على المغلف ختم.

- حسنًا، لم أسمع بذلك.

- سوف تعرفين المزيد إذا تحدثت مع شرطة الولاية. المحققة التي تترأس التحقيق تدعى ماري باركنسون، ستقدم العون.

- سوف أتصل بها.

سأل المحقق: «إذن على كم شخصًا عثرت من هؤلاء المذكورين في القائمة؟».

- جميعهم ما عدا جاك راديبو وأليسون هورن وجاي كوتس.

- أوه حقًا، كان هذا سريعًا. وهل يعرف أحدهم أي شيء؟

- كما قلت، على حد علمي كلنا غرباء. لا شيء مشترك بيننا باستثناء القائمة.

- حسنًا، لديكم بالفعل شيء مشترك إذن.

قالت جيسيكا: «صحيح. أعتقد ذلك».

- هناك جاي كوتس وهو ممثل في هوليوود. لديه موقع على شبكة الإنترنت.

- أوه، هل كنت تبحث في الأمر أيضًا؟

- قليلًا. كان لدي بعض وقت الفراغ اليوم، لذلك فكرت أن أبحث عن الأسماء على جوجل، وأرى ماذا سأجد.

قالت جيسيكا: «لقد تركت رسالة للممثل جاي كوتس، لكنني لم أتلقَ أي رد. إن الوقت مبكر في ولاية كاليفورنيا لذا فأنت لا تعرف أبدًا. قد يكون في العمل».

- هل تعتقدين أنه هو؟

- نعم أفعل، لكني لا أعرف السبب. ويرجع ذلك جزئيًا إلى عمره. فحتى الآن يبدو أن كل من تعرفت عليه في أواخر الثلاثينيات من عمره.

- باستثناء فرانك هوبكنز.

- نعم، باستثناء فرانك هوبكنز.

قال المحقق هاملتون: «ماذا عن جاك رادبو، ألم يحالفكِ الحظ معه حتى الآن؟».

- ليس بعد. هل بحثت عنه في جوجل أيضًا؟

- فعلت. لم يكن هناك الكثير. كان الاسم المعروف لكاتب مشهور نوعًا ما.

- لقد تحدثت معه. لم يتلقَ الرسالة في البريد، ولم يعرف أي شخص آخر ممن كانوا على القائمة.

- كم كان عمره؟

- إنه في السبعين.

كانت هناك وقفة طفيفة، وأضافت جيسيكا: «إذا فكرت في أي شيء آخر يجب أن أعرفه عن هوبكنز، هل ستتصل بي؟».

- بالتأكيد. اسمحي لي بالحصول على أرقامك.

بعد أن تبادلا أرقام المكاتب والهواتف المحمولة، أغلق كل منهما هاتفه، وجلست جيسيكا بهدوء للحظة، في محاولة لإزاحة أي ذكرى كانت لديها عن منتجع ويندوارد من عقلها. لقد بدا مألوفًا بحيث قرع ناقوس الذكريات. ناقوس بعيد.. بعيد.

لقد ذهبت إلى الساحل الجنوبي لولاية مين مرتين على الأقل في حياتها، ولكن على حد علمها، لم تذهب إلى كينويك مطلقًا. لقد ذهبت إلى مدينة «كامدن[1]» لقضاء عطلة نهاية أسبوع ممطرة للغاية في يوم الذكرى[2] مع صديقها السابق جاستن، وكان ذلك منذ ثلاثة أعوام تقريبًا. قبل ذلك، كانت قد ذهبت في إجازة عائلية عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، تذكرتها لأنها كانت أول إجازة عائلية صيفية تقضيها وتريد خلالها العودة إلى المنزل، لتمضية الوقت مع الأصدقاء. كانت والدتها قد استأجرت منزلًا في «كينيبان كبورت» والذي كان مخيبًا للآمال؛ كان بالقرب من الشاطئ، لكن الشاطئ كان صخريًا، وكان الماء باردًا كالجليد حتى في شهر أغسطس. وتذكرت قيادتهم للساحل ذهابًا وإيابًا من أجل زيارة المتاجر ومحلات المثلجات في البلدات الصغيرة الأخرى. وتذكرت أن والدها كان يتمتع بمزاج خبيث على وجه الخصوص حين كانوا هناك. لقد تذكرت ذلك حقًا فقط لأن والدتها انفجرت ذات ليلة على العشاء وقالت إنها سئمت العيش مع مراهقين أنانيين. هل قاموا بزيارة كينويك في تلك الرحلة؟ لم تستطع التذكر.

قال آرون من المدخل: «اذهبي إلى المنزل».

التفتت جيسيكا إليه في ذهول قائلةً: «سوف أفعل. أريد إجراء مكالمة واحدة فقط».

---

(1) يقع حي كامدن تاون -اختصارًا (كامدن)- شمال وسط مدينة لندن وهو مركز من مراكزها المهمة، ففيه متاجر الموضة والأسواق والمولات وأيضًا المقاهي والمطاعم.

(2) يوم عطلة فيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية.

- حسنًا. إذن سآتي معكِ. سأكون مرافقكِ.

- هل تمزح معي؟

- أنا لا أمزح. إذا كنتِ لا تريدين مني أن أكون مرافقكِ، فسوف أحضر شخصًا آخر، لكن حتى أكتشف بالضبط ما يحدث، فأنا لا أريد أية مجازفات.

قالت جيسيكا: «حسنًا، حسنًا. سآتي لآخذك بعد خمس دقائق».

بعد أن غادر آرون، حاولت الاتصال بجاي كوتس -الشخص الموجود في كاليفورنيا- مرة أخرى. لم يجب، وفكرت في ترك رسالة، واحدة أكثر إلحاحًا من تلك التي تركتها من قبل، لكنها قررت العكس، فربما لم يكن هو على أي حال، ولماذا تخيفه إن لم يكن ذلك ضروريًا.

***

(6)

الجمعة، 16 سبتمبر، 6:14 مساءً

لقد نسي ماثيو بومونت خططه هو ونانسي مع آل روبنسون للعشاء، لكن دخوله إلى المطبخ ورؤية زوجته ترتدي فستانها الأخضر المفضل جعله يتذكر.

قال: «هل سنذهب للخارج؟».

- لقد نسيت.
- قليلًا فقط.
- لقد تحدثت مع ميشيل واتفقنا على أن نلتقي في المطعم. الحجز في السادسة والنصف مساءً، وستكون ميكائيلا هنا في أي لحظة، وهذا يمنحنا بضع دقائق فقط لمراجعة جداول الأطفال معها، لذا من فضلك ارتدِ ملابسك بسرعة، ولا أعتقد أن لديك وقتًا للاستحمام.

في غرفة النوم، وجد ماثيو أن نانسي وضعت له زيًّا: زوجين من سراويل تشينو بلون بني مصفر، وقميصًا بأزرار من المفترض أن يتم ارتداؤه خارج البنطال. تجرد من بذلته، ووضع مزيل عرق جديدًا، وارتدى ملابسه، وعقله يراجع الأمسية مسبقًا؛ في محاولة لمعرفة ما إذا كان يجب أن يخبر آل روبنسون عن الرسالة التي حصل عليها في اليوم السابق، وعن عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي جاء وأخذها منه في المكتب اليوم. ذكره العميل

بأن يحتفظ بحقيقة الرسالة لنفسه، أو بشكل أكثر تحديدًا الأسماء الأخرى الموجودة في الرسالة، لكنه لم يكترث عندما أخبره ماثيو بأنه قد أراها لزوجته بالفعل. لقد كانت الرسالة قصة جيدة، وإذا كان سيتناول الشراب فقط مع بيت روبنسون أو مع ميشيل، في هذه الحالة فإنه بالتأكيد سيرويها. لكنه كان يضع في اعتباره رد فعل نانسي على القائمة في الليلة السابقة، وكيف كانت مُرْتابة، ولم يكن يعرف كيف سيكون حالها إذا طرح الأمر على العشاء. وبالتأكيد لم يكن يعرف كيف سيكون رد فعلها عندما يخبرها أن عميلًا اتصل به في مكتبه، ثم أرسل عميلًا آخر ليأخذ الرسالة كنوع من الأدلة. في الواقع كان يعرف كيف سيكون رد فعلها. أولًا ستصبح مقتنعة أنها كانت قائمة ابتزاز جنسي من نوع ما، وسوف تشعر بالفزع أيضًا من أن ماثيو أخذ القائمة معه للعمل بدلًا من التخلص منها ببساطة في المنزل، سوف يبرهن ذلك على ذنبه بطريقة ما. لكن السبب الوحيد الذي جعله يأخذ القائمة معه إلى العمل هو حتى لا تعثر عليها نانسي بالمصادفة مرة أخرى وتنزعج.

عندما عاد إلى الطابق السفلي، في حلته الجديدة، انقض عليه أليكس وهو يتسابق عبر الردهة، مرتديًا جوربًا واحدًا وهو ينزلق على الأرض، ويركل بقدمه العارية.

قال ماثيو: «انتبه حتى لا تصاب بشظية».

لكن أليكس كان بالفعل قاب قوسين أو أدنى من ذلك في غرفة المعيشة الكبيرة. كان باستطاعته سماع نانسي تتحدث، ودخل المطبخ حيث كانت تعطي التوجيهات لميكائيلا، إحدى الفتيات المراهقات من الحي والتي كانت جليسة أطفالهما الأساسية لمدة عامين حتى الآن. لقد أحبا ميكائيلا لأنها كانت تستطيع ترويض أليكس، أو على الأقل كانت تبلغهما دائمًا في نهاية الليل أنه كان على ما يرام. كانت زوجته وجليسة الأطفال على جانبين متقابلين من منضدة المطبخ المصنوعة من الجرانيت، وحرص ماثيو على إبقاء بصره بعيدًا عن أي جزء من ميكائيلا فيما عدا جبينها. لقد تحولت مؤخرًا من حشرة عصوية إلى امرأة شابة ذات منحنيات، وارتدت -مثل جميع الفتيات في عمرها- سروال اليوجا الذي لا يزال يبدو وكأنه ليس أكثر من ملابس داخلية بالنسبة إلى ماثيو، وقميصًا مقلَّمًا لم يلتقِ كليًا مع الجزء العلوي من السروال.

- بإمكان إيما أن تفعل ما تريد بالطبع. لا تقلقي بشأنها. وإن لم يستطع أليكس أن يهدأ بعد العشاء، فلا بأس من أن يشاهد أحد برامجه ولكن فقط من حسابه على نتفليكس، لا تسمحي له بتسجيل الدخول إلى حسابنا.

قال ماثيو: «إنه لا يعرف الشفرة».

قالت نانسي، بينما أومأت ميكائيلا برأسها مبتسمة: «على الأرجح يفعل».

ألم تكن تضع تقويم أسنان؟ لم يستطع ماثيو أن يتذكر، ولكن إن كانت قد فعلت، فهو لم يعد موجودًا الآن.

- حسنًا. ربما يفعل.

قالت ميكائيلا: «إنه على ما يرام. لقد علمني لعبة فيديو يحب أن يلعبها في المرة الأخيرة، هل بإمكاننا فعل ذلك مرة أخرى؟».

قال ماثيو: «بالتأكيد، ولكن قد ترغبين في السماح له بالفوز إذا كنت لا تريدين أن تري نوبة غضب ما».

قالت ميكائيلا: «إنها ليست لعبة مكسب وخسارة، بل أشبه بلعبة بناء عالم».

في أثناء توجههما بالسيارة إلى المطعم، كانت نانسي هادئة لمدة ثلاثين ثانية، وكان ماثيو يفكر في إخبارها عن مكتب التحقيقات الفيدرالي، عندما تحدثت نانسي أولًا.

- لا أظن أن ميكائيلا يجب أن تستمر في مجالسة الأطفال إذا كنت ستغازلها بالطريقة التي تفعلها. إنه أمر منحرف.

تنهد ماثيو بصمت قدر استطاعته، ثم قال بهدوء: «نانسي، صدقيني، لم أكن أغازل ميكائيلا. إنه أمر مستحيل لأنني لا أهتم بميكائيلا، إنها طفلة».

- أنا فقط أخبرك...

- أنا أعرف ما تخبرينني به، وأنا أسمعك، حتى لو كنت مخطئة. يمكننا التحدث أكثر عن هذا، لكن ليس الآن، حسنًا؟ دعينا نحاول قضاء ليلة هادئة مع أصدقائنا.

بعد ساعتين، عندما وصلت الحلوى إلى مائدتهم، تعجب ماثيو من أن العشاء مع آل روبنسون كان رائعًا بالفعل. وقد بدت نانسي -على الرغم من مزاجها السابق- مسترخية بمرور الأمسية. كان مطعم «جلاس هاوسس» عبارة عن حانة ومطعم (من المزرعة إلى المائدة)[1]، والتي تم توسيعها مؤخرًا لتشمل فناءً خارجيًا به مصابيح حرارية، وكان هذا هو المكان الذي كانت فيه مائدتهم، تحت سماء الليل. وامتلأ الهواء البارد بالروائح المنبعثة من الشوَّاية المشتعلة بالحطب. كان طبق صدر البط الخاص بماثيو لذيذًا، وقد سمح لنفسه بقضمة واحدة من فطيرة التفاح مع المثلجات بنكهة الكراميل المملح، وقال لنفسه إنه سيذهب حتمًا للركض في صباح اليوم التالي.

كان يجلس على الجانب المقابل لميشيل روبنسون، وبجوار بيت، مما سمح للرجال بالحديث الوطني بينما تحدثت النساء عن أطفالهن. ولكن بعد الحلوى وافقوا جميعًا على مشروب واحد إضافي لكل منهم، وكان ماثيو الآن يتحدث مع ميشيل ويحتسي النبيذ، بينما أخبرته عن رحلتها إلى نيويورك لرؤية العرض الموسيقي **هاميلتون**. لا يمكن لأحد أن يصف ميشيل بأنها جميلة. فلقد كان لها ساقان قصيرتان وأرداف ممتلئة، وكانت ملامحها كبيرة جدًا بالنسبة إلى وجهها المستدير، لكن ماثيو كان دائمًا ما يُكِنُّ لها إعجابًا صغيرًا. بدأ ذلك في حفل شواء بالفناء الخلفي في الصيف الماضي، كانت قد أقامته عائلة كارترايتس، وهم أصدقاء مشتركون لماثيو وزوجته وآل روبنسون. حيث حاصرت عاصفة في وقت متأخر من بعد الظهر ماثيو وميشيل داخل منزل مسبح كارترايتس مع مجموعة من الأطفال المرتجفين الذين فَرُّوا جميعًا من المسبح. وكان ماثيو وميشيل ينظران إلى رف مملوء بلعب الأطفال، في الغالب مهملة أو محطمة أو منسية، وقالت ميشيل: «لقد دخلت جانبًا من حياتي حيث يملؤني كل شيء بالحزن».

قال ماثيو، مصدومًا من الاعتراف المفاجئ: «حقًّا؟».

---

(1) تعني أن الطاولة هي في الواقع في المزرعة، وبأن الطهاة يقومون بإعداد وتقديم الطعام هناك أيضًا. بالإضافة إلى كونها تجربة فريدة من نوعها؛ تتميز هذه الوجبات بمعظم الأطعمة المحلية والموسمية المتاحة ويساهم الحصول عليها طازجة في مدى جودة تذوقها.

ضحكت قائلة، «آسفة، هل قلت ذلك بصوت عالٍ؟ إنني أتصرف بشكل درامي، أو هكذا سيقول بيت. أشعر فقط أن الأجزاء المثيرة والغامضة من حياتي قد ولَّت، والآن يملؤني كل شيء بالحنين إلى الماضي. صِدقًا، حين يتعلق الأمر بالتقدم في العمر، فأنا مجرد طفلة».

قال ماثيو: «أعتقد أنني أعرف ما تعنينه. أن تكوني شابة فهو أمر مخيف، ولكنه أيضًا مثير للاهتمام».

ضحكت مرة أخرى، ولأنهما كانا يقفان قريبين جدًا، استطاع ماثيو شم رائحة الخمر تنبعث من أنفاسها. قالت: «أعتقد أن هذا ما أفتقده؛ كون الحياة مثيرة للاهتمام».

- إن أطفالنا مثيرون للاهتمام.
- أطفالك أصغر من أطفالي بقليل. أجل، إنهم مثيرون للاهتمام، لكنهم قريبًا جدًا لن يجدوك مثيرًا للاهتمام. ها أنا أتصرف كطفلة مرة أخرى.

انحنت بشكل أقرب وضغطت على يد ماثيو وقالت: «من فضلك لا تخبر نانسي عن هذه المحادثة. فهي لن تفهم».

قال: «لن أفعل».

إحدى الأطفال، كانت فتاة هزيلة ترتدي سترة السباحة، راحت تجذب تنورة ميشيل قائلةً: «أنا أشعر بالبرد»، فرفعتها ميشيل واحتضنتها بقوة.

سألت الطفلة الصغيرة التي اختبأت تحت ذقنها وهي ترتجف: «من أنتِ مجددًا؟».

فرك ماثيو ظهر الفتاة. وأخبرتهما الفتاة باسمها، لكن وجهها كان مضغوطًا في سترة ميشيل ولم يسمع أي منهما ذلك.

لقد فكر ماثيو في تلك اللحظة مئات المرات منذ ذلك الحين وما تزال الذكرى قادرة على جعل صدره يؤلمه. وكان من سخرية القدر أنه انخرط الآن في محادثة على ضوء الشموع مع ميشيل، دون أن تشعر زوجته بالغيرة ولو من بعيد. لماذا كان ذلك؟ هل لأن ميشيل كانت بدينة قليلًا، أكبر سنًا بقليل من كليهما؟ ربما لم تلاحظ زوجته قط مدى جمال عينَي ميشيل ذواتا اللون البني الفاتح.

***

بعد خمس دقائق من وصولهما إلى المنزل، وبعد أن دفعت نانسي لميكائيلا وأرسلتها في طريقها (لم ينظر إليها قط ماثيو متعمدًا)، تلقى مكالمة من بيت روبنسون.

- إن ميشيل لا تستطيع العثور على هاتفها. هل أخذتماه من على الطاولة يا رفيقي؟

اتضح أن هاتف ميشيل -وهو نفس طراز هاتف نانسي- كان في حقيبة نانسي إلى جانب هاتفها. وقال بيت إنه سيمر بسيارته ليحصل عليه.

قالت نانسي متلعثمة في الكلمة: «إنني محرجة للغاية». أدرك ماثيو أنها كانت ثملة قليلًا، وكان هذا حدثًا نادرًا.

- ليست مشكلة. فليس الأمر كما لو كنت تحاولين سرقته، هل كنت تحاولين سرقته؟

ابتسمت وسألت ما إذا كان ماثيو سينتظر بيت في الخارج.

- أريد فقط أن أصعد إلى الطابق العلوي وأذهب مباشرة إلى السرير.

ارتدى ماثيو سترته الأكثر دفئًا وخرج ينتظر وبحوزته الهاتف. توقفت سيارة آل روبنسون الفولفو، وتفاجأ برؤية ميشيل تخرج من الجانب المخصص للسائق. نزل من الممر الحجري والتقاها ومعه الهاتف.

قال «اعتقدت أنكِ ستكونين بيت».

- هل خاب أملك؟

قال: «كلا»، وناولها الهاتف.

- أراد بيت مشاهدة أبرز الأحداث، وعلى الأرجح لا ينبغي له القيادة على أي حال. لست واثقة من أنه يجب عليَّ القيادة، لكني أعتقد أنني أدمنت الإمساك بهاتفي.

- كلنا كذلك.

وقفا للحظة، يحيط بهما صمت الليل، وقالت ميشيل بغتة: «ماثيو، كيف حالك هذه الأيام؟».

ولأن السؤال باغته، قال ماثيو دون تفكير: «لقد مررت بأيام أفضل. أنا قلق بشأن الأطفال، وبشأن نانسي، إنها... أعتقد أنني قلق عليها أيضًا».

- ليس من شأني قول ذلك، لكنني أعتقد أنها تقسو عليك.

مجرد سماع هذه الكلمات تسبب في ضيق صدر ماثيو.

- إنها مستاءة مني طوال الوقت ولا أعرف السبب، ولا أعرف كيف أوقف ذلك.

قالت ميشيل: «أنا لست مستشارة زواج، لكن إذا كنتُ كذلك، لقلتُ إن هذا ليس خطأك. لا يعود الأمر إليك حتى توقفه».

- أعرف ذلك من الناحية العقلانية، لكنني لا أشعر به دائمًا.

- مفهوم.

قال ماثيو: «ماذا عنكِ أنت وبيت؟».

ترددت، ثم قالت: «لقد كان أبًا صالحًا، لكنه لم ينظر إليَّ منذ سنوات. كل ما يهتم به هو الرياضة».

- هل تحدثت معه عن ذلك؟

- فعلت. لقد وعد بأن يصبح أفضل، لكن لا شيء يتغير، والآن أشعر بالأنانية حتى لمجرد أنني أريد المزيد. هل تتحدث مع نانسي؟

- لا أعتقد أنها ترى نفسها بالطريقة التي أراها بها، ولا بالطريقة التي يراها بها الآخرون. لا أعرف... أنا لا أعرف ما الذي ينبغي لي القيام به. لكن لا، أنا لا أتحدث معها حقًا.

انطفأ المصباح الموجود فوق الباب الأمامي المزود بجهاز استشعار للحركة، ووقف ماثيو وميشيل في الظلام. كان يعلم أنه إذا تقدم نصف خطوة فقط إلى الأمام فسوف يتعانقان، وأنه لن يكون قادرًا على التراجع عن ذلك أبدًا. لكنه أدرك أيضًا أن نانسي اعتقدت بالفعل أنه كان يخونها مع عدد من النساء، لذلك ربما يجب عليه المضي قدمًا والقيام بذلك.

تقدم خطوة إلى الأمام تمامًا كما فعلت ميشيل، وشرعا يقبِّلان بعضهما.

***

(7)

الجمعة، 16 سبتمبر، 9:25 مساءً

تجاهل إيثان الرسالة النصية القادمة من آشلي، والتي تقول فيها إنها عادت من زيارة والديها، وسألته ما إذا كان يريد مقابلتها من أجل تناول مشروب. بدلًا من ذلك، أرسل رسالة نصية إلى هانا، يتوسل إليها أن تأتي إلى مسكنه، ولم يتلقَ أي رد.

وبينما كان ينتظر البوريتو أن يسخن في الميكروويف، فتح جعة شاينر بوك. لم تكن آشلي وهانا -على حد علمه- صديقتين حميمتين بشكل خاص، على الرغم من كونهما تعيشان معًا. هذا لا يعني أن آشلي ستكون على ما يرام مع حقيقة أنه اعتاد أن يضاجعها والآن هو يضاجع حصريًا شريكتها في السكن، لكن ربما لن تمانع كثيرًا. فكَّر في أن يتصل بأقدم أصدقائه ماركوس، وأن يسأله إذا كان يعتقد بأنه من الممكن أن يقوم بمبادلة الفتاة التي يواعدها بشريكتها في السكن، لكن كان بمقدوره سماع ضحك ماركوس الساخر مسبقًا.

***

بينما كان ينتظر أن يتلقى ردًا من هانا (يا إلهي، كم كان يحب عزلتها)، راح يُجري بعض عمليات البحث الأعمق على موقع جوجل للأسماء التي كانت مدرجة في القائمة التي سلمها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي في

وقت سابق من اليوم. كان أحد هذه الأسماء كارولين جيديس، وتساءل عما إذا كانت هي نفسها كارولين جيديس التي تعمل كأستاذة مساعدة في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة ميتشجان. كانت هناك صورة لها، شعر داكن مشدود إلى الوراء بعيدًا عن جبهتها العريضة، وعلى وجهها نصف ابتسامة تبدو -ما هي الكلمة؟- ربما متحفظة. شعر إيثان لوهلة وهو ينظر إليها بأنه يعرفها. ليس بالضرورة أن يكون قد قابلها من قبل، ولكن بأنه يعرفها بطريقة ما مسبقًا.

كانت صفحة الكلية الخاصة بها قد تضمنت عنوان بريد إلكتروني، وأرسل لها رسالة سريعة:

«كارولين، هل تلقيتِ قائمة غريبة مدرج فيها اسمكِ؟ إذا لم يحدث، فيُرجى تجاهل هذا البريد الإلكتروني المحرج. وإن كان قد حدث بالفعل، فلقد كان اسمي على القائمة أيضًا ولا أعرف السبب. راسليني. إيثان دارت».

أغلق جهاز الحاسوب المحمول الخاص به، ولم يكن يتوقع أن يتلقى بريدًا إلكترونيًا منها في أي وقت قريب، وذهب وانحنى أمام مجموعة التسجيلات الخاصة به؛ باحثًا عن شيء للاستماع إليه. ما الذي كان مزاجه يسمح به؟ اختار جوني ميتشيل، وقام بتشغيل الوجه الثاني من (The Hissing of Summer Lawns) «صفير ريح مروج الصيف»، وعندما أعاد تفقد رسائل البريد الإلكتروني الخاصة به تفاجأ بتلقيه ردًّا بالفعل من كارولين.

- نعم، كانت هذه أنا. لقد قام أحد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بأخذها بعيدًا في غير اكتراث ولم يُجِبْ على أي من أسئلتي. ماذا عنك؟

رد قائلًا: «الشيء نفسه. لا بد وأن هناك شيئًا ما. هل يجب أن نقلق؟ أشعر بالفضول أكثر».

قالت كارولين: «أنا أيضًا أشعر بالفضول، كما أنني قلقة بعض الشيء. هل تعرف أيًا من الأسماء الأخرى في القائمة؟».

- كلا، ولقد قمت بالبحث عنهم جميعًا. لا شيء بدا مألوفًا، لكن عندما رأيت صفحة الكلية الخاصة بكِ... بدوتِ مألوفةً بالنسبة إليَّ. لا أعرف لماذا.

- مألوفة لك بمعنى أننا قد نعرف بعضنا؟ إن اسمك لا يذكِّرني بشيء.
- حقًا؟! أنا موسيقي مشهور.
- هل أنت كذلك حقًا؟
- لا، لكني أريد أن أكون، على ما أعتقد. إنني أطمح لذلك. والآن أشعر بالحرج لأنني حتى أطلقت تلك المزحة الغبية في المقام الأول. لنتحدث عن شيء آخر؟ أين نشأتِ؟

أخذا يتبادلان الرسائل الإلكترونية ذهابًا وإيابًا لمدة ساعة، ويقارنان بين سيرتيْهما الذاتية، في محاولة لمعرفة ما إذا كان هناك صلة بينهما من نوع ما. وباستثناء عمرهما -كانا في منتصف الثلاثينيات من العمر- اكتشفا أنه لا يوجد شيء مشترك بينهما تقريبًا. وكل ما توصلا إليه هو حقيقة أن كليهما كان له أجداد من منطقة بوسطن في ماساتشوستس.

كتب إيثان: «ربما ما يربطنا هو أنه لا توجد صلة بيننا. يكاد يكون من الغريب أننا لا نستطيع العثور على أي شيء».

كتبت: «أنت تكتب الأغاني. وأنا أحب الأغاني. لا أعتقد أن هذا يدخل في الحسبان».

إيثان: «حسنًا، ربما لن تعجبكِ أغنياتي. لكنكِ تحللين وتنقدين الشعر وأنا أحب الشعر».

كارولين: «إن الإعجاب بالشعر أمرٌ أكثر ندرة من الإعجاب بالأغاني. أيُّ الشعراء تحب؟».

فكر إيثان للحظة، محاولًا إنشاء قائمة سريعة من شأنها أن تثير إعجابها، ثم سأل نفسه لماذا يحاول فعل ذلك. وبدلًا من ذلك، قرر أن يكون صادقًا فحسب.

- بحسب ما أذكر: جون بيريمان، فرانك أوهارا، ويلدون كيس، روبرت لويل. أيضًا هناك مجموعة من الأشخاص ربما لا تعتبرينهم شعراء مثل: جوني ميتشل، ديلان، ليونارد كوهين، جيمس ماكمورتري، وويلي فلوتين.

بعد إرسال هذا البريد الإلكتروني الأخير، لم يتلقَّ إيثان ردًا على الفور، وتساءل عما إذا كانت مختاراته الشعرية قد أثارت إحباطها بطريقة ما. ذهب وراح يقلب في أسطواناته، سحب أسطوانة (Songs of Love and Hate) «أغاني الحب والكراهية»، وأسقط الإبرة على أول أغنية بها.



(8)

الجمعة، 16 سبتمبر، 9:48 مساءً

كانت كارولين في فراشها، مستيقظة تمامًا، تتبادل الرسائل الإلكترونية مع شخص غريب ذهابًا وإيابًا. نامت قطتها البرتقالية إستريلا، كما كانت عادتها على حافة الركن الأيمن السفلي من المرتبة، ملتفة حول نفسها في هيئة كرة ضيقة. قد تكون فيبل، قطتها الأخرى، في أي مكان.

إيثان دارت، الذي أرسل لها بريدًا إلكترونيًا فجأةً، ودون سابق إنذار، بسبب تلك الرسالة الغريبة، قد أعطاها للتو قائمة بالشعراء المفضلين لديه، وكانت تقوم بالبحث عن ويلدون كيس على جوجل، باحثة عن قصيدة شعر له تذكرت أنها كانت قد أعجبتها. بعد بضع دقائق عثرت عليها وأعادت قراءتها لنفسها. قصيدة غريبة تُدعى «من أجل ابنتي». كانت آخر جملة هي التي علقت معها: «ليس لدي ابنة. لا أرغب في شيء». كانت على وشك الرد على إيثان عندما وصلتها رسالة إلكترونية أخرى منه:

«لقد فقدتكِ عندما دعوت ديلان بالشاعر، أليس كذلك؟».

ابتسمت، وكتبت: «لا، لم تفقدني، لكنه ليس شاعرًا. إنه كاتب أغانٍ. كلا، كنت أبحث عن قصيدة أحبها من تأليف ويلدون كيس بعنوان «من أجل ابنتي». فأنت لا تسمع الكثير عنه هذه الأيام».

كتب إيثان: «أووه، ما زلت هناك. كنت أفتقدكِ بالفعل. أنا أحب كيس، وأحيانًا أعتقد أنني أضفي عليه طابعًا رومانسيًا فقط لأنه فُقد ولم يَرَه أحد مرة أخرى. هل تعرفين قصيدته «نادي الجريمة»؟»

كارولين: «لا أعرفها، لكنني سوف أبحث عنها».

إيثان: «حسنًا، سأنتظر بفارغ الصبر بينما تقرئينها. وسأحاول ألا أشعر بالذعر لأنك ستتركينني».

راح إيثان وكارولين يتبادلان الرسائل الإلكترونية حتى قبل الفجر بقليل. كانت تعلم أن الوقت قد تأخر ليس بسبب التوهج الرمادي الناعم الذي كان يملأ ستائرها ولكن لأن فيبل جاءت لتوقظها طالبة السماح لها بالخروج من أجل مهمة الاستطلاع التي تقوم بها قبيل الفجر.

كتبت: «لقد اقترب الصباح».

وكتب لها على الفور: «الوقت الأقل تفضيلًا لديَّ في اليوم، هل يمكننا مواصلة هذه المحادثة مساء الغد؟ أو ربما لا ينبغي لنا أن نستنفد حظنا».

كتبت: «بالتأكيد، يمكنني الاستمرار، ولكن ليس قبل أن أحصل على قسط ولو بسيط من النوم».

قامت بطي الحاسوب المحمول الخاص بها، ثم أحضرته إلى مكتبها لشحنه. كانت ستائر النوافذ الآن تقريبًا متقدة بضوء الصباح. ومع ذلك، زحفت عائدة أسفل أغطيتها، وراحت تفكر في الأحداث شديدة الغرابة التي وقعت في اليومين الماضيين. أولًا الرسالة، ومن ثم المكالمة الهاتفية من مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي أراد أخذها في حيازته، والآن تبادل البريد الإلكتروني الطويل هذا مع مغنٍّ ريفيٍّ من مدينة أوستن بتكساس، والذي يحب ويلدون كيس. كانت قد نظرت إلى الصورة التي وضعها على موقعه على الإنترنت، وفكرت في أنه يشبه إلى حد ما اللوحات التي رأتها للشاعر الإنجليزي إدموند سبنسر؛ نفس الأنف الضيق المدبب، ونفس العينين البنيتين الداكنتين.

سحبت الأغطية فوق رأسها، مما خلق رقعة من الظلام، واستلقت لبعض الوقت وعيناها ما زالتا مفتوحتين.

***

(9)

السبت، 17 سبتمبر، 7:16 صباحًا

استلقت جيسيكا وينسلو مستيقظة في فراشها، وهي تتساءل عما إذا كانت قد تمكنت حتى من النوم لمدة ثلاث ساعات كاملة. كان آرون قد اصطحبها إلى منزلها في الليلة السابقة، وقادته إلى باب منزلها، وتركته يدخلها إلى المنزل، حتى إنها تركته يفتش حوله في الأرجاء لبعض الوقت. ومع ذلك لم تقدم له شرابًا، وتركها تقوده إلى باب منزلها.

قال: «فلتأتي مباشرة إلى العمل في الصباح. لا تتوقفي في أي مكان عام».

قالت: «بالتأكيد»، بينما كانت تنحني لالتقاط الكتالوج الوحيد الذي جاء عبر فتحة البريد الخاصة بها.

- هل تأخذين هذا الأمر على محمل الجد؟

رفعت بصرها. بدا آرون قلقًا حقًا، لكنها استطاعت أيضًا أن تشم رائحة معجون الأسنان في أنفاسه، مما يعني أنه قد غسل أسنانه بالفرشاة قبل مغادرة المكتب من أجل اصطحابها إلى منزلها. ومما يعني أيضًا أنه كان يأمل أن تطلب منه البقاء معها.

قالت: «نعم أفعل. وسآتي مباشرة إلى العمل في الصباح إذا وعدتني بتناول قهوة وحلوى أذن الفيل من مقهى (Mia's waiting for me) «ميا تنتظرني»».

- هل هذا هو المقهى الموجود في شارع كلينتون؟

- أجل، هذا هو.

- حسنًا.. سأراك حينها.

لقد أمضت الليلة في تجميع الحقائق حول الأسماء المتبقية التي لا يزال يتعين عليهم تحديد هوية أصحابها، لكنها لم ترسل أي رسائل بريد إلكتروني أخرى أو تجري أي مكالمات أخرى. ثم ذهبت إلى الفراش مع أحدث كتاب لـــ «ليزاجاردنر»، وأخذت تقرأ حتى اعتقدت أنها قد تكون قادرة على النوم. لكنها لم تفعل، ليس على الفور، كان ذهنها يحاول ربط الأسماء التي بالقائمة، في محاولة لمعرفة ما قد يكون مشتركًا بينهم. عندما نامت أخيرًا، لا بد أنها شاهدت حلمًا، لأنها تذكرت أنها استيقظت في مرحلة ما وهي مقتنعة بأن الحلم الذي رأته للتو قد فسر كل شيء. حاولت الوصول إلى دفتر الملاحظات الذي احتفظت به على منضدة سريرها، ولكن بمجرد أن فتحته على صفحة فارغة، أصبح عقلها فارغًا أيضًا. ولم يبقَ أي أثر من الحلم.

على الرغم من أن آرون كان سيجلب لها القهوة إلى المكتب، فإنها صنعت لنفسها كوبًا في المنزل. كانت ستصبح واحدة من تلك الصباحات. مرتدية أكثر بدلاتها المريحة، خرجت إلى الصباح المملوء بالضباب، وتفحصت النوافذ الفارغة للمنازل المجاورة. وكمعظم المقيمين في منطقتها، كانت توقف السيارة في الخارج ما لم تكن هناك عاصفة ثلجية تضطرهم لجرف الثلوج. كان هناك موقف للسيارات متاح لجميع السكان، لكنه كان يقع على الجانب البعيد من المسبح.

حاولت الاستماع إلى الإذاعة المحلية وهي في طريقها إلى العمل لكن عقلها ظل شاردًا، لذا أغلقت الراديو، وقامت بتلاوة الأسماء الموجودة في القائمة على سمعها: فرانك هوبكنز. جاك راديبو. آرثر كروز. أليسون هورن. جاي كوتس. إيثان دارت. كارولين جيديس. ماثيو بومونت. وكان ذلك ثمانية. كان هناك اسم آخر، أليس كذلك؟ ليصبح المجموع تسعة. ثم تذكرت أنها كانت الاسم التاسع في القائمة. «لماذا تسعة؟» تساءلت. «يجب أن تكون القوائم عشرة، أليس كذلك؟». أوقفت السيارة في مكان وقوف السيارات الخاص بها في المكتب الميداني. كان هذا أول سؤال ستطرحه على آرون: لماذا تسعة؟

***

(10)

السبت، 17 سبتمبر، 8:00 صباحًا

كان ماثيو قد وصل في مسيرته إلى الجزء الذي يأخذه عبر أراضي البلدة المحمية، حيث غابة صنوبر تطوق أكبر الأراضي الرطبة في دارتفورد. أخذ يتمهل، في محاولة منه لامتصاص الصوت الخافت للنسيم الرقيق الذي يمر عبر قمم الأشجار، محاولًا أن يعيش اللحظة.

توقف هناك فحسب، يستمع، ولكن في الغالب كان كل ما يسمعه هو صوت أنفاسه تدخل وتخرج من رئتيه. لم يستطع أن يصدق كليًا ما حدث في نهاية الليلة السابقة، وهو يقف في الظلام مع ميشيل روبنسون، يتبادلان القُبَل مثلما يفعل مراهقان مع اقتراب حظر التجوال. لقد نام بالكاد، وراح يدور في ذهنه ما حدث مرارًا وتكرارًا، كيف شعرت يده بصلابة ظهرها، وكيف كان فمها رقيقًا ناعمًا. كم من الوقت استمر الأمر؟ ربما خمس دقائق. بعد ذلك، ضحكت وقالت: «حسنًا، كان ذلك مثيرًا للاهتمام».

- ربما لا يجب أن نكون...

- لا، حتمًا لا ينبغي أن نكون.

وكانت يدها تلتف حول خصره ضاغطةً جسديهما معًا.

- ويجب علي أن أعود إلى المنزل، قبل أن تقوم نانسي بـ...

- نعم يجب عليك ذلك. بالتأكيد.

تركته يذهب، واتكأت على سيارتها.

- ربما يجب علينا أن نعتبر ما حدث مجرد فترة فاصلة لطيفة للغاية في حياتنا.

- يبدو ذلك صحيحًا. لقد كانت لطيفة للغاية.

تبادلا القُبَل مرةً أخرى، سريعًا ولكن على الشفاه، وتمنَّيا لبعضهما ليلة سعيدة.

أشعرته كلماتها بالراحة، وإلا فقد كان ماثيو ليشعر بالذعر على الفور من أن تقوم ميشيل بإخبار بيت بأنها واقعة في حب شخص آخر وتريد الطلاق. كلا، لم يكن ذلك ليحدث. لقد كانت مجرد قبلة في حالة شبه ثمالة بين صديقين متزوجين. لا شيء أكثر من هذا، وسينسيان كل شيء عنها بمرور الوقت. ما الذي يمكن أن يحدث أيضًا؟ حتى إن التفكير في بدء علاقة، وتبادل القبلات داخل السيارات المتوقفة، وتأجير غرف النزل، والكذب على زوجيهما، جعل ماثيو يتعرَّق ويشعر بالغثيان. ستكون فكرة شنيعة، وسيتأذَّى بسببها الناس. أخذ يتساءل عما تفكر فيه ميشيل حالًا. هل ينبغي أن يرسل لها رسالة نصية ليسألها إن كان هناك مكان يمكنهما الالتقاء والتحدث فيه؟ ولكن إذا فعل ذلك، فسيكون هناك عندئذ سجل نصي على هاتفه. سيكون هناك دليل، حتى لو استطاع بطريقة ما أن يمحوه. وأيضًا، سيكون الأمر وكأنه دعوة إلى المزيد مما حدث في الليلة السابقة. كلا، إن أفضل ما يمكن عمله هو التظاهر بأن ذلك لم يحدث قط.

هناك شيء واحد رغم ذلك. ربما يشعر ماثيو بالقلق، لكنه قد شعر أيضًا بالسعادة. إذا لم يكن هناك شيء آخر، فإن ذكرى تلك القبلة ستدعمه خلال شتاء جدير بالمشكلات العائلية. ستكون تلك الذكرى موجودة دائمًا هناك، جاهزة للوصول إليها، ويجب أن يكون ذلك كافيًا. إذا كان على علاقة عاطفية بميشيل، فسيتم اكتشاف الأمر، وهذا ما يحدث دائمًا. وبعد ذلك سيحصل هو ونانسي على الطلاق، وربما لن يرى الأطفال مرة أخرى. سيكون لها حق الوصاية، وسوف تكرهه من أجل فعلته، وستنقل كل تلك الكراهية إلى أطفالهما. ليس هذا فحسب، فلربما تنقل إليهم جميع ميولها العصبية أيضًا، ليصبح أطفاله نسخًا مصغرة من والدتهم. وربما لا. ربما سيكونون على ما

يرام. فلقد كان هو كذلك، في نهاية المطاف وبعد كل شيء. كانت والدته في حالة من الفوضى طوال فترة طفولته. والآن لم تغادر منزلها منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، منذ أن غادر ليلتحق بالجامعة. لقد عاشت على حساء الخضار، وجرعات متواصلة من أفلام محطة «هولمارك»، أي فيلم حقًا ما دامت نهايته سعيدة. يا إلهي! لماذا كان يفكر في والدته؟ فكر في ميشيل مرة أخرى، وكيف كان يشعر وهو يمسك بها بين ذراعيه.

كان ماثيو قد تهاوى إلى الأمام، ويديه على ركبتيه، رغم أنه لم يعد يتنفس بعمق. انتَصَبَ قائمًا وقام ببعض تمرينات ثني الساق، حتى يمدد جسمه أكثر بقليل. كان قد قرر مسبقًا إتمام دورة كبيرة اليوم وكان هذا يعني ميلين ونصف آخرين. مما يعني المزيد من الوقت للتفكير في ميشيل روبنسون. ولكن قبل أن يبدأ في الركض مرة أخرى، سمع صوت تهشم غصن صغير من خلفه، ثم طُرِح على الطريق بقوة هائلة من رصاصة عيار 44، مخترقةً مركزًا مُميتًا بين لوحي كتفه، قاطعةً الحبل الشوكي بحيث يكون قد مات دماغيًا بالفعل بمجرد أن يهبط على أرض الغابة اللينة.



سبعة

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

أليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

السبت، 17 سبتمبر، 8:04 صباحًا

في نفس اللحظة التي أنهت فيها رصاصة حياة ماثيو بومونت، كانت أليسون هورن -التي استيقظت مبكرًا للغاية في ذلك السبت من شهر سبتمبر- قد أنهت كوبًا من الماء القلوي وكانت تبسط سجادة اليوجا الخاصة بها. كانت تحاول الاسترخاء، لكن نبضها وأفكارها كانا يتسارعان. ولقد بدأ هذا التسارع منذ أن استيقظت قبل موعدها بساعتين. كانت هذه مشكلة دورية: ذعر مفاجئ وعارم من أن الحياة التي تحياها؛ كانت بكل ما تعنيه الكلمات بلا معنى أو هدف. لقد شعرت بهذه الطريقة من قبل -من آن لآخر- طوال العشرينيات والثلاثينيات من عمرها، ولكن الوقت الآن أصبح عاملًا مهمًا. كانت ستبلغ الواحدة والأربعين من عمرها في ديسمبر، وقد ملأتها هذه الفكرة برهبة باردة، وتقلص في معدتها. لقد انتقلت إلى نيويورك قبل تسعة عشر عامًا بعد تخرجها بدرجة الفنون الجميلة من كلية «ماذر» في ولاية كونيتيكت، وحصلت فورًا على سلسلة من الوظائف التي بدت واعدة لكنها لم تؤدِّ إلى شيء. كانت قد عملت مربية أطفال لزوجين ثريين كانا يعيشان في الجانب الشمالي الشرقي، ومدربة يوجا، ومصورة بورتريه متخصصة في صور الممثلين الشخصية. لقد عملت أيضًا من دون أجر كمتدربة في معرض للتصوير الفوتوغرافي في القرية، وكانت تلتقط صورها الخاصة حسبما تذكر، لقطات لأصدقائها في الغالب، ولقطات لشوارع مدينة نيويورك. وقد

ملأها النظر إلى بعض تلك الصور بشعور حزين بالفشل. فلقد كانوا مثل نسخ أقل جودة من صور أفضل التقطت من قِبَل أفضل المصورين. كان بعضهم لا بأس به، لكن لم يكن أي منهم لافتًا للنظر. لقد كانوا كرسائل تذكيرية لها بأنها لم تكن مميزة. كما كانوا أيضًا تذكيرًا بعشرينياتها الحرة والمستقلة، وكيف أنها لن تعود أبدًا. لقد كان معظم الأصدقاء الذين التقطت صورهم قد رحلوا عن المدينة إما لتأسيس عائلة وإما للحاق بمستقبل مهني واعد، أما هي فكانت ما تزال هنا.

قبل عام، ومع وقت الفراغ الذي أتاحته لها علاقتها بجوناثان جرانت، قامت أليسون بشغل ملصق تصويري، باستخدام بعض من صورها الخاصة، ودمجها مع مطبوعات لرسائل نصية ورسائل البريد الإلكتروني، وإعادة ترتيبها على لوحات من قماش الكانفاس، والرسم فوقها بعصي الزيت.

أخبرها جوناثان أنها حازت إعجابه، وحتى إنه عرض عليها محاولة الحصول على صالة عرض من أجلها، ولكن في الآونة الأخيرة عندما نظرت إلى مجموعة القطع التي أنتجتها، كان الأمر أشبه بالنظر إلى نص أجنبي. كانت غير مقروءة بالنسبة إليها. لم يكن لديها أي فكرة عما إذا كانت جيدة، أو كانت فظيعة. وقد وضعتها في الجزء الخلفي من خزانة ملابسها.

في الأيام الجيدة كانت تحدث نفسها بأنها تحيا حياة سعيدة، حياة مريحة، وبأنها كانت واحدة من الأشخاص المحظوظين. لقد كانت لديها غرفة نوم فسيحة وكبيرة في مانهاتن دون مخاوف مالية. وكان لديها الوقت لتُبْدِع أعمالًا فنية، للقراءة، لممارسة الرياضة، ولرؤية الأصدقاء. كانت مسؤوليتها الوحيدة تجاه جوناثان، الذي كان يدفع فواتيرها في مقابل مطارحتها الغرام أسبوعيًا (في بعض الأحيان لا يحدث ذلك)، وعشاء بالخارج على فترات متباعدة في مطعم راقٍ.

لقد كانت عشيقة جوناثان مدفوعة الأجر لمدة عام واحد حتى الآن. (أحيانًا كانت تخبر نفسها بأنها صديقته، لكنها كانت تعلم أنها لم تكن كذلك حقًا). تقرب منها حين كانت تعمل مضيفة في مطعم تحت أرضي لشرائح اللحم بوسط مدينة مانهاتن. ولقد كان ذلك الوقت تحديدًا يمثل فترة سيئة في حياتها، على كلا الصعيدين المادي والعاطفي. كانت قد انفصلت عن صديقها

بعد علاقة دامت خمسة أعوام، انفصالًا متبادلًا، ولكنه التقى بعد ذلك على الفور بامرأة أصغر سنًا في شركة المحاماة الخاصة به، وفي غضون عام واحد كانا قد تزوجا، وابتاعا منزلًا في نيو جيرسي، وشرعا في تأسيس عائلة. كانت أيضًا قد فقدت للتو أفضل وظيفة حصلت عليها في المدينة، كمحررة صور لمجلة أدبية ناشئة والتي كانت مدعومة من قبل رائد أعمال عبر الإنترنت يُدعى بروس لامب. ومن الواضح أن المجلة قد خسرت الكثير من المال في أول عامين من إصدارها لدرجة أنه لم تعد هناك حاجة إليها حتى مع خفض الضرائب. لقد حصلت صديقتها لوسي على وظيفة مضيفة من أجلها في مطعم لودج. وقد ارتدت تنانير صغيرة وقمصانًا مثلثة بلا أكمام، لكنها كانت وظيفة سهلة. وكان تقاسم الإكرامية يتضمن المضيفات، مما يعني أنها كانت تجني أسبوعيًا أكثر بكثير مما قد جنته طوال الفترة التي أمضتها في نيويورك.

كان جوناثان جرانت زبونًا شبه منتظم في مطعم لودج، يأتي بمفرده في الساعة التاسعة تقريبًا ويجلس في الحانة. كان يرتدي بدلات جميلة، وكان يُذكِّر أليسون بممثل اعتادت والدتها أن تحبه يُدعى جيمس ماسون، بصوته العميق ووقفته المتصلبة. كان دائمًا ما يطلب شريحة اللحم التي تعدها الحانة، وهي عبارة عن شريحة لحم ضأن صغيرة مع لحم السلطعون وصلصة البيارنيز. وفي الليالي الهادئة كانا يتجاذبان أطراف الحديث، الذي كان يدور غالبًا حول النبيذ الذي يحتسيه. ذات مساء مكث في الحانة حتى وقت متأخر، ثم سأل أليسون عما إذا كانت ترغب في الذهاب إلى مكان يعرفه والذي كان يقع على بعد بنايتين، مطعم تاباس[1] إسباني كان لديه أفضل كؤوس نبيذ في المدينة. لا بد أنها ترددت عندما سألها لأنه قد رفع يديه على الفور وقال: «من فضلكِ قولي لا ولا تشعري بالسوء حيال ذلك. إنني فقط أحب الحديث معكِ عن النبيذ وسيكون من الرائع فعل ذلك بينما تتذوقين النبيذ فعليًا بنفسك».

- سأخبرك بما أشعر عندما يحين موعد الإغلاق.

قالتها، وعادت إلى موضعها. لقد أرادت أن تذهب برفقته. ربما يكون في عمر والدها، لكنه بدا أيضًا مسالمًا، ولقد كان جذَّابًا. ومع ذلك، بمجرد أن طرح عليها هذا السؤال انتابتها قشعريرة غريبة تقريبًا مثل هاجسٍ أو تحذيرٍ

(1) أطباق صغيرة بها سبيط محمر أو زيتون أو جبن.

مسبق. فلطالما كان لديها مثل هؤلاء طوال حياتها، القليل من وميض المعرفة. مثل الوقت الذي كانت تتحدث فيه مع جدتها عبر الهاتف، وأصابها برد شديد لدرجة أنها هرعت تبحث عن سترة بعد إنهاء المكالمة. كانت المرة التالية التي وقعت فيها عيناها على جدتها وهي ترقد في نعش مفتوح، لقد بدت وكأن شخصًا ما قد استبدل جسدها بشبيهة رهيبة لها لا تتنفس. مع ذلك، لم تكن نوبات البرودة تلك التي تصيبها مرتبطة دائمًا بالموت. فحين قابلت السيدة تالبوت، جارتها الجديدة في جرين ويتش لأول مرة عندما كانت أليسون في الثالثة عشرة من عمرها، كانت قد بدأت ترتجف بالفعل. وفي غضون عام، كان والدها قد ترك العائلة من أجل الانتقال مع ماريان تالبوت إلى بيت مبني من الحجر الأحمر في فيلادلفيا. لقد كان دائمًا أبًا بعيدًا وغير سعيد، ولكن بعد أن هجر عائلته، أصبح غريبًا تقريبًا. ولم تتحدث أليسون معه منذ عقد.

كانت تميل إلى التفكير في هواجسها على أنها كانت في الغالب تتعلق بالتغيير، ولكنه تغيير دائمًا للأسوأ. وهذا ما كان عليه الموت، بالطبع: مجرد تغيير نحو الأسوأ.

لكنها خرجت مع جوناثان جرانت، على الرغم من البرودة التي انتابتها عندما طلب منها ذلك. وقد قضيا وقتًا ممتعًا. تحدث عن أبنائه وعمله، وطرح عليها أسئلة حول حياتها. لم يحاول تقبيلها، رغم أنها كانت قد اتخذت قرارًا مسبقًا بأنها ستسمح له بذلك على الأرجح. لكن في موعدهما الثالث، قدَّم لها عرضًا، بادئًا بقوله: «أنا أومن بالحديث الصريح. أعتقد أن هذه هي الطريقة التي جمعت بها كل أموالي. لذلك أرغب في تقديم عرض لكِ».

كانت تعرف ماهية الفكرة العامة لعرضه قبل أن يدخل في التفاصيل بوقت طويل، لكن التفاصيل هي التي أقنعتها في النهاية. فلقد كان يمتلك شقة بالقرب من جرامرسي بارك ويمكنها العيش هناك دون إيجار. في المقابل يود أن يراها مرة واحدة في الأسبوع من أجل «تلاحم جسدي» -كلماته غير الموفقة- كما سيحرص أيضًا على تلقيها الكثير من الأموال لتنفقها والهدايا.

قالت أليسون: «نحن لم ننم معًا حتى. كيف تعرف أنك ستحب ذلك؟».

- لأنني معجب بكِ. أنا لست منحرفًا جنسيًا، ولا أهتم بشكل صدرك أو ما هي الأفعال التي قد تودين القيام بها. أنا لا أبالي بأي من ذلك. أود فقط

أن أكون حميميًا معكِ ومقربًا منكِ، لكنني سأتفهم تمامًا ما إذا كنت تريدين فعل ذلك معي أولًا قبل اتخاذ القرار.

لذا، فقد فعلوا ذلك في تلك الليلة في غرفة بفندق جرينتش. وفاءً لكلمته، لم يكن هناك أي شيء غريب أو خارج عن المألوف بشأن سلوك جوناثان. كان قد تناول قرصًا أولًا، وصارحها بأنه يمنحه شعور أفضل، ثم أخذها إلى الفراش، كان لطيفًا في البداية، مملًا بعض الشيء، لكن وقبل أن تدرك ذلك، كان قد تولى زمام الأمور، مغيرًا أوضاعهما حتى وجد الوضع الذي يبدو أنه الأفضل لكليهما، وقد تمكنت من الحصول على النشوة بسهولة. استلقت على الفراش الوَثِير، وكان جسدها متعبًا ومسترخيًا، بينما كان يتصل بخدمة الغرف للحصول على زجاجة باردة من النبيذ الأبيض.

قالت له: «إذن سأكون عاهرتك؟».

- أعتقد أن التسمية الأفضل هي «عشيقة»، لكن يمكنكِ تسمية نفسكِ أي شيء تريدينه. سأفهم ما إذا كنتِ لا ترغبين في القيام بذلك.

- ماذا لو قابلتُ شخصًا آخر؟ ماذا لو وقعتُ في الحب؟

- سأكون سعيدًا من أجلكِ.

كان هذا قبل أربعة عشر شهرًا. برغم الهاجس الذي انتابها تلك الليلة في مطعم لودج، فقد شعرت كما لو أن التغيير الذي أحدثه جوناثان بها كان جيدًا في الغالب. فقد أصبحت حياتها ملأى بالمتعة. ولم تعد قلقة بشأن المال. لكن القلق قد استحوذ عليها بالفعل بشأن الهدف من حياتها، وكانت قلقة من أنها وقعت في فخ نوعًا ما في هذه العلاقة، خصوصًا مع رجل أكبر سنًا ومتزوج. لن يدوم ذلك إلى الأبد، وماذا ستفعل بعد رحيله؟ كيف ستعود إلى الحياة دون الدخل الثابت الذي يقدمه لها؟

بدأ ضوء النهار يبزغ أمامها. أرسلت رسالة نصية إلى دوج لترى ما إذا كان متفرغًا من أجل تناول الغداء، ثم تذكرت مباشرة بعد أن أرسلت الرسالة أنه ذهب إلى شمال ولاية نيويورك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. أخذت تجوب شقتها، متسائلةً عن سبب ارتجافها للغاية هذا الصباح، كانت تشعر بوخز في أطرافها فعليًا. لقد كانت تشعر بالغرابة لبضعة أيام الآن، وبإعادة التفكير، أدركت أن ذلك قد بدأ عندما تلقت قائمة الأسماء تلك في البريد. لقد مرت فترة

منذ أن انتابها هذا الشعور، وهذا ما فعلته تلك الرسالة. مما يعني أن التغيير قادم، وهو تغيير من النوع السيئ.

راحت تقريبًا تنبش قمامة مطبخها من أجل أن تلقي نظرة على القائمة مرة أخرى. لكن ماذا سينتج عن ذلك؟ وبدلًا من هذا، اتصلت بالمنتجع المفضل لديها لمعرفة ما إذا كان بإمكانها الحصول على موعد لجلسة عناية بالأقدام في وقت لاحق من الصباح.

***

(2)

السبت، 17 سبتمبر، 8:21 صباحًا

كان قد ترك نافذة غرفة نومه مفتوحة، وحين استيقظ كان الجو باردًا في الغرفة. على الرغم من ذلك، كان آرثر تحت لحافه الثقيل شاعرًا بالدفء تمامًا. استلقى للحظة، مائلًا إلى اليقظة، مستمتعًا بإحساس الهواء البارد وحرارة جسده تحت الأغطية، وبالطريقة التي كانت تخفق بها الستائر في النسيم. ومض الضوء عبر نصف السقف المرتفع متسببًا في إبهاره. ثم -وكما يحدث كل صباح- تدفقت الأفكار: وفاة زوجته، رسالة غريبة، عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي. لقد كان مستيقظًا تمامًا.

في أثناء الاستحمام، راح يفكر مرة أخرى في تلك الدقائق القليلة من النعيم الهادئ التي حظي بها في فراشه ذلك الصباح. كان الأمر يحدث بشكل متكرر هذه الأيام، تلك الفترة الزمنية بين الاستيقاظ ومن ثم التذكر بأنه قد فقد زوجته، وأنه لن يكون قادرًا على رؤيتها أو التحدث إليها مرة أخرى. كانت مشاعره متضاربة. لقد أحب هذه اللحظات من الزمن عندما كان قادرًا على الاستمتاع فحسب بحقيقة أنه لا يزال على قيد الحياة، لكنه كان مذعورًا أيضًا من أن تتلاشى زوجته، لتصبح شبحًا من ماضيه بالكاد يتذكَّره.

أجبر نفسه على التوقف عن التفكير في الأمر وراح يخطط ليومه بدلًا من ذلك. كانت أيام السبت هي أصعب أيام الأسبوع؛ لم يكن لديه عمل، ولم يكن لديه ما يقوم به في الكنيسة، وامتد اليوم أمامه مثل ممر فارغ لا نهاية له.

كان عليه تجميع أوراق الأشجار المتساقطة، وسيستغرق ذلك جزءًا من اليوم، وكان ينوي الذهاب لمشاهدة معرض في «متحف ميد للفنون»، شيء يُدْعَى «مجموعة من العناصر التعبدية في العصور الوسطى»، أعلى زقاقه مباشرة. بين هذين الأمرين، وتناول الطعام بالطبع، بالإضافة إلى احتمالية مشاهدة فيلم بعد العشاء، سيكون باستطاعته اجتياز هذا السبت.



(3)

السبت 17 سبتمبر، 11:13 صباحًا

قالت جيسيكا لآرون وهو ينْسَلُّ إلى مقصورتها: «لماذا تسعة؟».

- هاه؟

- لماذا تسعة أشخاص على القائمة، ولماذا ليس عشرة؟ أليست عشرة هي المعيار المُتَّبع عادةً لهذا النوع من الأشياء؟ ما الخطب؟!

لاحظت أن آرون لم يكن يصغي إليها جيدًا لأنه كان ينتظر أن يقول لها شيئًا ما. قامت بلف كرسيها بقية الطريق بحيث كان يقف أمامها مباشرة، وكلتا يديه في جيبي بنطاله.

- لقد وقعت حالة وفاة أخرى.

- مَن؟ أين؟

- ماثيو بومونت في دارتفورد، ماساتشوستس. تم إطلاق النار عليه بينما كان يمارس رياضة الجري الصباحية.

- إنه نفس ماثيو بومونت...

- الذي تلقى الرسالة؟ أجل. إنه يعمل... كان يعمل في بوسطن. كان هذا حيث تم تحصيل الرسالة أمس.

قالت جيسيكا: «يا إلهي!».

- إنكِ محقة.

- كيف قُتِل؟ لقد قلت إنه أصيب بعيار ناري؟ في أي وقت؟

- لا أعلم متى تم إطلاق النار عليه بالضبط، لكنني أعلم أنه تم اكتشاف الجثة نحو الساعة العاشرة صباحًا. لقد تمكن ضابط محلي من التعرف عليه رغم أنه لم يكن يحمل أي هوية، وبما أننا أشرنا إلى الاسم...

- إذا أيًا كان من يفعل هذا فهو على بعد ساعات قليلة من ذلك المكان.

قال آرون: «والذي يمكن أن يكون في أي مكان تقريبًا».

- أعرف. كل ما في الأمر أنه... إنهما شخصان في يومين!

- أعتقد أن جزءًا مني كان لا يزال يتساءل عما إذا كانت هناك مجرد مصادفة كونية هائلة تلعب دورًا في الموضوع. تسعة أشخاص عشوائيين ينتهي بهم المطاف على قائمة، وأحدهم يتعرض للقتل. وبعد ذلك لن يحدث شيء أكثر من هذا. لا مزيد من الوفيات، وسننسى الأمر برمته.

قالت جيسيكا: «إنها الطائرة الثانية».

- ماذا تعنين؟

- في الحادي عشر من سبتمبر، أتذكر مشاهدة الأخبار بعد حادث اصطدام الطائرة الأولى، وظن العالم حينها أنه كان حادثًا مروعًا فحسب. ثم اصطدمت الطائرة الثانية، وتغيَّر كل شيء.

- صحيح، أتذكر ذلك. هذه هي الطائرة الثانية، والآن نحتاج إلى توفير الحماية لجميع من على تلك القائمة. بمن فيهم أنتِ.

أومأت جيسيكا برأسها.

- أتمنى أن نستطيع إيجاد الجميع. لقد كنت أحاول طوال الصباح. هل تعلم كم واحدة تحمل اسم أليسون هورن في هذه البلدة؟

- كيف تعرفين أن أليسون هورن التي تبحثين عنها موجودة في هذه البلاد؟

- من الواضح أنني لا أفعل، لكننا بحاجة إلى أن نجدها. ونحن بحاجة للذهاب إلى دارتفورد، ماساتشوستس.

أخرج آرون يده من جيبه ووضعها على الحاجز الذي يفصل بين المقصورات.

- أفترض من كلمة «نحن» أنك تقصدين شخصًا ما في مكتب التحقيقات الفيدرالي. أنتِ تعرفين أنه لا يمكنكِ أن تعملي على هذه القضية.

كانت جيسيكا تعرف ذلك، وعلى الرغم من أنها كانت تهز رأسها، قالت: «يمكنني على الأقل مواصلة البحث عن الأشخاص الذين لم نعثر عليهم، أليس كذلك؟».

- لا تنظري إليَّ. هذا الأمر يعود إلى روث. وهذا هو سبب وجودي هنا حقًا. سوف تجتمع بنا جميعًا خلال عشر دقائق.

قالت جيسيكا: «صحيح. تبًا، ستمنحني إجازة، أليس كذلك؟».

- يجب عليها ذلك. أن ترسلكِ في إجازة سرية حتى نكتشف من يفعل ذلك. هذا ما كنت ستفعلينه لو كنتِ مكانها، أليس كذلك؟

قالت جيسيكا وهي تقف، وتأخذ هاتفها من على مكتبها: «أظن ذلك، أين تم إطلاق النار عليه؟».

- ماثيو بومونت؟ من الخلف على ما يبدو. لم يكن يتوقع حدوث ذلك.

- لقد تحدثت معه بالأمس فقط. يا إلهي! أعتقد أن هذا حقيقي.

وسارا معًا باتجاه مكتب روث جاكسون.



(4)

السبت، 17 سبتمبر، 9:48 صباحًا

استيقظ جاي في مزاج سيئ، وذكريات تجربة أدائه التي باءت بالفشل قبل يومين ما زالت ماثلة في ذهنه. كان يعاني من آثار الثمالة، مع صداع طفيف خلف عينيه، وراح يُحصي مشروباته من الليلة السابقة. بضع عبوات من الجعة الخفيفة في حانته المحلية، ثم اثنان -أم تراهم كانوا ثلاثة؟!- من مكعبات الفودكا الضخمة عندما عاد إلى شقته. كان على موقع «كريجز ليست»، يبحث بين الأشخاص عمَّن يمكنه مضاجعتها، أو على نحو أفضل، يعبث معها. حتى أنه أخذ يتبادل الرسائل لبعض الوقت مع عاهرة ما، يتفاوضان بشأن أجرتها، والتي قد توقفت عن الكتابة إليه بعد أن سألها عن تكلفة مجامعتها ثم لكمها في كليتيها. كان ذلك أبرز ما في أمسيته، أخذ يتخيل وجهها عندما تلقت تلك الرسالة، ولكن حتى ذلك الحين، كان يفكر في المرأة التي رآها في برينتوود كنتري مارت التي كان قد تبعها وهي عائدة إلى شقتها في كوريا تاون. ربما عليه حقًا أن يقوم بزيارتها. لقد كان يفكر في ذلك الليلة الماضية، وعاد يفكر في ذلك مرة أخرى هذا الصباح. كان قد وجدها على تطبيق الإنستغرام ، وأخذ يقلب في صورها، وهو يفكر في أنها تشبه كل ما يُبث على الإنستغرام من صور لكل امرأة مثيرة أخرى. فهنا كانت ملتفَّةً حول نفسها ومعها كتاب لتظهر للجميع كم كانت ذكية. وهناك كانت تشرب بروسيكو مع صديقاتها على الغداء. وبالطبع، كان هناك قرابة الثلاثمائة صورة لها مرتدية البكيني

لأن هذا كل ما أرادت حقًا أن تُظهره للعالم. «انظر إلى هذا القوام، ألا تتمنى لو كان بإمكانك مجامعته»، هذا ما كان يدور حوله كل شيء، وسيكون من دواعي سروره أن يحطم غرورها.

وضع الهاتف جانبًا للحظة، وقد عاد الحلم الذي رآه في الليلة السابقة يطفو لفترة وجيزة على سطح يقظته. لقد كان حلمًا متكررًا، حلمًا لطالما زاوده بقدر ما يمكنه التذكر. كان يحلم بأنه قتل شخصًا ما وكان بحاجة إلى إخفاء الجثة، وكان مذعورًا من أن يتم اكتشاف أمره والقبض عليه. أو أنه قد أخفى الجثة بالفعل لكنه كان يعلم أنه سيتم العثور عليها. لقد حاول جاهدًا فك خيوط حلم الليلة الماضية، متسائلًا عمَّن قتل. هل كانت الشقراء من (برينتوود)؟ لم يعتقد ذلك. على الأرجح كانت أوليفيا باور، صديقته في المدرسة الثانوية، الفتاة التي فقد عذريته من أجلها، ولم يكن أول حلم يضربها فيه حتى الموت ويخفيها في «إيل بوند»، تلك البحيرة المزعومة الضحلة في بلدة قذرة بنيو هامبشاير كان قد نشأ فيها. كلا، لقد راوده هذا الحلم من قبل، ودائمًا ما كان هو نفسه؛ كان يستمر في محاولة إثقال وزنها تحت السطح الأخضر للبحيرة عن طريق تغطية جسدها بالصخور، لكنها ظلت تطفو عائدة إلى السطح.

لقد راوده الحلم مرات عديدة حتى إنه اعتقد في بعض الأحيان أنه حقيقي.

***

باستثناء تدريس صف الدراجات في صالة الألعاب الرياضية من الحادية عشرة صباحًا إلى الظهر، كان أمام جاي يوم عطلة. قام ببعض تمارين الضغط، وأعد لنفسه عصيرًا، ثم شاهد بعض الأفلام الإباحية دون السماح لنفسه بالتفاعل معها، ولا حتى لمس نفسه. كان الأمر مؤلمًا، لكنه كان منعشًا نوعًا ما في نفس الوقت. وعندما أصابه الملل من ذلك، تفقد هاتفه ورأى أن لديه رسالة بريد صوتي من رقم لم يتعرف عليه. لقد وصلته في اليوم السابق، وافترض أنها كانت مكالمة مبيعات، لكنه قرر الاستماع إليها تحسبًا لأن يكون لها علاقة بوظيفة ما. اتضح أنها ليست مكالمة مبيعات؛ وإنما هي جيسيكا وينسلو من مكتب التحقيقات الفيدرالي، تريد منه معاودة الاتصال بها في

أقرب وقت ممكن. تقلصت معدته من الغضب والخوف. يا إلهي! هل كان ذلك يتعلق بالبريد الإلكتروني الذي أرسله الليلة الماضية إلى تلك الفاسقة في كريجز ليست؟ لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. إنها على الأرجح كانت تسمع هذه الأشياء طوال الوقت، وإلى جانب ذلك، فلقد كان من المستحيل تتبع حسابه على الموقع. أيضًا، لقد أدرك للتو أنه تلقى مكالمة هاتفية من مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد ظهر أمس بينما كان قد أرسل الرسالة على كريجز ليست في الليلة الماضية. شعر بالارتياح قليلًا. ومع ذلك، لم تكن تلك هي الرسالة الأولى من هذا النوع التي يرسلها من حسابه. ربما يجب عليه حذفها، وأن يحذف البيانات الموجودة على جهاز حاسوبه المحمول، من باب الاحتياط.

استمع إلى الرسالة مرة أخرى، محاولًا قراءة نبرة صوتها. لم يستطع معرفة أي شيء. ربما كان ذلك لا شيء، كان يأمل أنها لا شيء. في كلتا الحالتين، قرر أنه لا يريد معاودة الاتصال بها. فبغض النظر عما كان عليها أن تقوله، لم يكن ذلك شيئًا يود سماعه. وقام بحذف الرسالة.

***



(5)

السبت، 17 سبتمبر، 2:05 مساءً

استيقظت كارولين متأخرةً، ثم أمضت الصباح في تصحيح الأوراق، وإضافة تعديلات لمحاضرتها عن جورج إليوت، بل وقضت نصف ساعة في حفظ إحدى قصائد ويلدون كيس. صنعت لنفسها شطيرة جبن مشوية من أجل وجبة غداء متأخرة، وسخنت بعض حساء الطماطم المُعَدِّ منزليًا من تلك الحبات التي كانت قد جمعتها في بداية الأسبوع. أحضرت الطعام إلى شرفتها الأمامية، وفكرت في سكب كأس من النبيذ، ثم عدلت عن رأيها.

كان الطقس دافئًا وملبدًا بالغيوم قليلًا، وامتدت السحب مثل الشاش عبر السماء، أو كمريض مخدر على منضدة. كانت إستريلا معها على الشرفة، تراقب طائر الكاردينال من خلال الحاجز الشبكي. وكان فيبل لا يزال بالخارج؛ لقد شاهدته في وقت سابق وهو يقوم بالمطاردة عبر الحشائش العالية في مرجة جيرانها البرية.

أحضرت هاتفها معها إلى الخارج وعادت تنظر إلى سلسلة رسائل البريد الإلكتروني مع ذلك الرجل الغريب من تكساس. لقد كان لقاءً غريبًا لدرجة أنها لم تستطع أن تصرفه عن تفكيرها. لقد افترضت أنه بالنسبة إلى طلابها -بالنسبة إلى أقرانها، على الأرجح أيضًا- كان إجراء محادثة رقمية طويلة وغزلية أمرًا معتادًا، لكنه كان جديدًا بالنسبة إليها، وهي الآن منشغلة بأفكار عن رجل لم تقابله قط. كلا، لم يكن هذا صحيحًا. لقد التقيا، في الليلة الماضية،

حتى لو لم يكن ذلك وجهًا لوجه. وبطريقة ما، كانت تلك هي أهم محادثة أجرتها منذ سنوات، وأكثر إثارة للاهتمام من مغازلاتها بين الحين والآخر مع الأكاديميين الراضين عن أنفسهم في المؤتمرات. انتقلت من رسائل بريدها الإلكتروني إلى متصفح الإنترنت الخاص بها ونظرت إلى الصور القليلة التي عثرت عليها لإيثان دارت.

وبدافع النزوة، راحت تبحث عن مقاطع فيديو ووجدت واحدًا على موقع اليوتيوب له بمفرده ومعه جيتار على خشبة المسرح، وهو يغني أغنية بعنوان (Just Because) «فقط لأن». كان ذلك من حدث يُدعى «معرض أوستن» والذي كان قد أقيم قبل عامين. كان إيثان يرتدي سروالًا من الجينز الأسود وقميصًا من طراز «دو لا سول» ويجلس عاليًا فوق كرسي بار خشبي بينما يعزف الموسيقى ويغني. كان لدى كارولين معرفة محدودة بالموسيقى بشكل عام. لقد كانت تعرف ما تحب ولكنها لم تكن لتكتشف بالضرورة أعمالًا جديدةً أو تذهب إلى العروض. وكان معظم ما استمعت إليه عبارة عن أقراص مدمجة كانت تمتلكها منذ الكلية –لمطربات شعبيات، ورباعيات وترية، وبعض موسيقى الأمبينت الأيسلندية– التي آلت إليها بعد انفصالها عن أليك. لكنها شعرت بالارتياح لأنها أحبت أغنية إيثان، كانت الجوقة تردد جملة «فقط لأن حذائي كان ينقر لا يعني أنني أحببت الأغنية»، ووجدت نفسها تحلل تلك الجملة إلى كل معانيها الممكنة.

وبينما كانت تغمس ما تبقى من شطيرتها في حسائها، لاحظت أن دورية الشرطة تنعطف ببطء إلى ممر السيارات. تدفقت بعض الأفكار العشوائية في ذهنها «هل لقي والداي حتفهما؟ هل تم العثور على قطتي على جانب الطريق؟ هل جاؤوا لطرح أسئلة بخصوص إيثان دارت؟»، وقد جعلتها هذه الفكرة الأخيرة تدرك أنهم ربما كانوا هنا ليتعقبوا القائمة الغريبة. نزل شرطيان يرتديان الزي الرسمي من الدورية، أحدهما ذكر، والأخرى أنثى، كان أحدهما عريض الوركين، والآخر له إصبع قدم شبيه بإصبع الحمامة، وشقا طريقهما نحو الشرفة.

***

(6)

السبت، 17 سبتمبر، 1:18 مساءً

جاء شرطيٌّ واحدٌ فقط من دورية أوستن إلى شقة إيثان، في نفس الوقت تقريبًا الذي سمحت فيه كارولين لشرطة آن أربور بالصعود إلى شرفة منزلها. طرق الشرطي ريزنديز باب إيثان بينما كان نائمًا. كان قد استيقظ بالفعل لتناول فنجان من القهوة وثلاث بيضات خفيفة القلي، لكنه كان منهكًا جدًا لدرجة أنه عاد إلى الفراش وكان لا يزال في قيلولته. امتزجت دقات الشرطي ريزنديز الثلاث الحادة بحلم إيثان؛ حيث كان عليه العودة إلى الكلية في مدينة «لوبوك» لإجراء اختبار أخير من أجل التخرج. وكانت الدقات في منامه من صنع نسر أسود كبير خارج إحدى نوافذ غرفة الاختبار، وهو ينقر على سطح من الزجاج. وبمجرد أن رفع إيثان نفسه من فراشه الفوتون[1] على أرضيته، وشق طريقه إلى الباب، محدقًا عبر ثقب الباب ليرى شرطيًا حليق الذقن، كان الحلم قد اختفى.

«مرحبًا»، قالها إيثان للشرطي بعد أن فتح الباب نحو سِتّ بوصات.

- هل أنت إيثان دارت؟

(1) فراش فوتون ذو النمط الياباني التقليدي، هو نوع من المراتب اليابانية المستخدمة على الأرض ليلًا للنوم. يتم طي هذا السرير الياباني بشكل تقليدي خلال اليوم عند عدم الحاجة لتفريغ بعض المساحة في الغرفة.

وبعد أن سعل ليتنحنح، قال: «آها، أجل».

هل كان على وشك أن يتم القبض عليه؟

- هل تمانع في القدوم معي إلى المركز؟ سيتم وضعك رهن حجز وقائي مؤقت. هناك عميل فيدرالي في طريقه أو في طريقها إلى المركز يمكنه شرح ذلك لك.
- حقًا؟ ما الذي يجري؟
- بصراحة، ليس لدي أي فكرة. لكنني أنصحك أن تجد بعض الملابس المريحة لترتديها. فأنت لا تعرف كم من الوقت ستبقى فيها.

***

(7)

السبت، 17 سبتمبر، 3:10 مساءً

سمع جاك راديبو الصوت العالي وغير المعتاد لبريده وهو يصل من خلال الفتحة في الباب الأمامي لمنزله ونهض من على طاولة المطبخ حتى يذهب ويُلقي نظرة. كان هناك طرد من زوجته في مغلف أصفر. لم تكن قد كتبت عنوان المرسل، لكنه كان يعرف خط يدها أفضل مما يعرف خطه.

عاد إلى طاولة المطبخ ومعه الطرد السميك وشق فتحةً فيه مستخدمًا سكين اللحم. كانت بداخله حزمة من البريد الموجه إليه على عنوانه القديم، وقد وضعت ملحوظة لاصقة أعلى رسالة في الحزمة، وكتبت عليها هاريت: «غيِّر عنوانك!».

أخذ يقلِّب في بريده، كان من الممكن التخلص من نصفه دون الحاجة إلى فتحه. كانت هناك إشعارات باشتراكات منتهية، التماسات لتبرعات سياسية، وعروض لبطاقات ائتمانية. وكان هناك أيضًا شيك حقوق ملكية من دار النشر الخاصة به، وبطاقة عيد الميلاد من صديقه القديم إيرنست التي كانت إما مبكرة جدًا وإما متأخرة جدًا جدًا، وظرف أبيض رقيق، والذي كان مثل الطرد الذي وصله، ليس عليه عنوان المرسل. فتحه، وقرأ قائمة بأسماء كان من ضمنها اسمه. دفعها فوق كومة البريد التي كان ينوي التخلص منها، ثم عدل عن رأيه، ونقلها إلى الكومة التي سيحتفظ بها.

كان قد تلقَّى مكالمةً من عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي منذ ثلاثة أيام، تسأله عما إذا كان قد تلقَّى قائمةً في البريد مدرج فيها اسمه. وقد أخبرها أنه لم يفعل ذلك، ولكن الآن بعد أن تلقَّى بالفعل مثل تلك القائمة، فقد افترض أن الشيء الذي ينبغي له فعله هو معاودة الاتصال بها. وتساءل عما إذا كان قد احتفظ برقمها.

نهض وأعاد ملء كوب قهوته، مدركًا أنه لن يحتسي سوى بضع رشفات، لكنه يحب إحساس الكوب الساخن بين يديه. لقد وصل الخريف، الفصل المفضَّل لجاك في أي مكان، ولكن بشكل خاص في ويست هارتفورد، حيث نشأ وترعرع، وحيث كان يعيش الآن مرة أخرى، بعد أن ابتاع منزل طفولته. كان المنزل من طراز تيودور ومكونًا من ثلاث غرف نوم في حي من المباني القرميدية على طراز تيودور، لكل منها صورة خيالية خاصة بها -سقف شديد الانحدار، ونوافذ ضيقة- ولكل منها فناء أمامي مرتب.

كان المطبخ المربع لمنزله الذي استعاده مؤخرًا يقع تجاه الخلف، وكان بمقدوره رؤية الفناء الخلفي لممتلكات جاره من نافذته الجانبية. كان هذا المنزل ملكًا لعائلة تدعى لامبرت عندما كان جاك صبيًا. ولقد كان ذلك في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي. كان هناك ثلاثة أطفال في عائلة لامبرت، جميعهم أكبر عمرًا بقليل من جاك وشقيقته. وكانت هناك فتاة في سن المراهقة، التي ظلَّت محتفظةً بلكنتها الإنجليزية منذ الوقت الذي سبق هجرة عائلة لامبرت إلى أمريكا أحبت فتاتان أُخريان (وهما توأمان غير متطابقين) إقحام جاك وأخته في ألعاب غريبة تعتمد على الخيال، وعادة ما تضمنت الجنيات التي تعيش في الساحات الخلفية الملاصقة لهم. كان جاك يتذكر تلك الألعاب بشكل أفضل مما يتذكر أي وجه من وجوه أفراد عائلة لامبرت. وتساءل عما حل بهم. بالطبع سيكون الوالدان متوفيْن الآن، وهؤلاء الفتيات الصغيرات جميعهن سيكُنَّ أكبر منه سنًا. سيكون لديهن على الأرجح أبناء وأحفاد ونجاحات وحسرات. وكانت الاحتمالات هي أن تكون واحدة منهن على الأقل قد قضت نحبها بالفعل.

بالنظر إلى منزل لامبرت القديم الآن، راح يراقب بينما دخلت امرأة نحيفة جدًا بشعر بني طويل إلى حجرة الشمس الخلفية، وهي تحمل كوب القهوة

الخاص بها وتحدق إلى ساحتها الخلفية. لم تكن حجرة الشمس جزءًا من بيت جيرانه عندما كان طفلًا، لقد كانت إضافة، على الأرجح تم إلحاقها بالمنزل في السبعينيات أو الثمانينيات، وهي غرفة مصنوعة بالكامل تقريبًا من الزجاج. كان يسميها غرفة الشمس رغم أنه كان متأكدًا تمامًا من أنها تحمل اسمًا آخر لا يتذكره بالضبط. لقد كانت الكلمات تهرب منه في الآونة الأخيرة. كانت مثل دخان السجائر. قد يفتح فمه ليتفوه بكلمة فتذهب بها الريح بعيدًا. وكان بإمكانه رؤية شكلها وهي تتبدد لكن الكلمة تكون اختفت.

خرج جاك من حلم اليَقَظَة هذا، وأعاد التركيز على منزل جاره. استدارت المرأة التي تحمل الكوب الآن ونظرت إليه مباشرةً، من دون أي عداء، ولكن بفضول غالبًا. رفع يده عاليًا، ولوحت بيدها ردًا عليه، ثم راح جاك يخطو بعيدًا عن النافذة. كانت هناك مرآة في البهو الأمامي وألقى جاك نظرة على نفسه، حتى يتأكد من أنه لا يوجد طعام بين أسنانه، ولا شيء يابس حول عينيه، ثم تخللت أصابعه مقدمة رأسه الكثيفة ذات الشعر الرمادي، وشق طريقه إلى شرفته الخلفية. إذا كانت المرأة لا تزال في السولاريوم[1] -هذه هي الكلمة، سولاريوم لعينة!- عندئذٍ سيلقي التحية.

***

كان الطقس بالخارج أكثر برودة مما كان يعتقد، وراح جاك يزرر سترته بينما كان يتجول باتجاه جيرانه، كانت المرأة لا تزال هناك، وقد ذهبت أيضًا للخارج، تمامًا في نفس اللحظة التي كان قد وصل فيها إلى عتبة ممتلكاتها.

قال جاك: «اعتقدت أنني سأقدم نفسي».

قالت وهي تمد يدها: «أنا مارجريت»، واتخذت ثلاث خطوات سريعة وخرقاء لمصافحة يده.

- أنا جاك. إنني...

---

(1) الغرفة الزجاجية التي تدخلها إنارة الشمس، وتكون شبه مغلقة ومكيفة والجلوس فيها يكون في أوقات الصباح باكرًا أو وقت الفطور.

- لقد كنت أنوي القدوم وتقديم نفسي، حتى إنني جمعت نصف سلة للترحيب بك، ولكن انتهى بي الأمر بعد ذلك بأكل الكعك، ولا أعرف حتى لماذا أخبرك بهذا. أنا آسفة لأنني لم آتِ مبكرًا.

- لا شيء يدعو للأسف. إنني هنا منذ أقل من شهر فقط.

- أعرف. إنني فقط لا أريدك أن تعتقد بأني لست جارة ودودة. لديَّ قدر من القهوة، إذا كنت تريد فنجانًا.

قال جاك: «بالتأكيد».

بمجرد أن استقرا في حجرة الشمس (السولاريوم)، حيث كان مع جاك فنجان قهوة آخر لم يكن يريده، قالت مارجريت: «لقد سمعت شائعة تقول إنك كنت تعيش هنا».

- أوه، حقًا؟ ممن سمعت ذلك؟

- أمينة مكتبة زميلة في الواقع. في الفرع أسفل الشارع حيث أعمل. أخبرتني أنك كنت تقطن هنا لكن قبل أن تولد هي. قالت أيضًا أنك ألفت كتابًا مشهورًا.

- لقد أصابت في واحدة من اثنتين. كنت أعيش هنا، لكنني بالكاد أعتقد أن كتابي كان مشهورًا. ربما كان كذلك لمدة عام ونصف تقريبًا، بعد ظهوره مباشرة.

- أي نوع من الكتب كان؟

- كان يسمى «قلها بصوت عالٍ، ثم افعلها بصوت عالٍ». لقد كان كتاب أعمال يدور حول الإعلان دائمًا عن خططك قبل تنفيذها. أعلم ما تفكرين فيه (كيف تكتب كتابًا كاملًا عن ذلك؟) وبالكاد أتذكر كيف فعلت ذلك. هوامش واسعة، على ما أعتقد. لكنها جنت لي الكثير من المال ذات مرة. وحولتني إلى مستشار بدوام كامل. ما زلت أقوم أحيانًا بعقد ندوات في جميع أنحاء العالم.

- يبدو ذلك مألوفًا. من المحتمل أن يكون والدي قد ابتاعه.

- هل كان والدك رجل أعمال؟

- نعم. في مجال التأمين.

- إذن ربما يكون قد ابتاع كتابي.

كانت مارجريت قد وضعت طبقًا به بضع شرائح من كعكة القهوة، وأخذ جاك شريحة وتناول منها قضمة. كانت جيدة جدًا. كانت تنظر إليه بترقب، وأخبرها بمدى إعجابه بها، وأكدت تخمينه بأنها كانت مصنوعة بالمنزل. راح يتفحصها، بينما كانت تتحدث معه عن الخَبْز وكيف كان ذلك شغفها الحقيقي. كان لديها ملامح صغيرة، وذقن مدبب قليلًا، وكان لون بشرتها عند الوجنتين أغمق من بقية وجهها، كما لو كانت تعاني من حب الشباب السيئ في سن المراهقة. كانت نحيفة، وجلست منحنية قليلًا إلى الأمام، نفس الوضعية السيئة التي رآها جاك على الكثير من الشباب. كانت أفضل سمة بها هي شعرها البني الطويل. لقد كان لديه ذلك المظهر اللامع الذي ينتج عن نظام غذائي صحي، أو ربما كانت مجرد وراثة بحتة.

- إذن، هل صحيح أنك كنت تعيش هنا، في هذا الحي، أعني، عندما كنت طفلًا؟

قالتها وهي تُرجع شعرها للوراء بعيدًا عن جبهتها وتجلس في وضعية أكثر استقامة بقليل.

- لقد نشأت هنا. بالمنزل المجاور مباشرة، نفس المنزل الذي ابتعته للتو. وكان والدي، مثل والدك، يعمل في مجال التأمين.

- رائع. كم من الوقت عشت هنا؟

- حتى ذهبت إلى الكلية. ثم حصل والداي على الطلاق وتم بيع المنزل. ولكن باستثناء منازل العطلات، كان هذا هو المكان الذي أمضيت فيه طفولتي.

قالت: «لا بد أن لديك ذكريات سعيدة».

- لماذا تقولين ذلك؟

- لأنك ابتعت المنزل وانتقلت عائدًا إليه. ما لم تكن تخطط لحرقه أو شيء من هذا القبيل، لقد ظننت فحسب...

- كلا، أنت محقة. لقد كانت في الغالب طفولة سعيدة. وأنا أحب هذا الحي بكل منازله المبنية من القرميد.

- لا بد أنه قد تغير.

- كلا، على الإطلاق. لقد تغيرت المدينة، لكن هذا الشارع كما أتذكره بالضبط إلى حد كبير. لقد كان حيث بدأت حياتي، لذا أفترض أنه أفضل مكان لتنتهي فيه.

- أوه، لا تقل ذلك. إنك لا تبدو حتى كشخص متقاعد.

قالتها مارجريت وهي تتحرك إلى الأمام، وتخفض كتفيها.

- إنني شبه متقاعد، على ما أظن. لكنني لا أعرف... فعلى ما يبدو العودة إلى هنا بالنسبة إليَّ ليست مؤقتة؛ إنها نهائية. أريد أن أتوقف عن العمل تمامًا كما أن زواجي قد انتهى. كلا، لا بأس. إنه أحد تلك الانفصالات التي هي بالتأكيد أفضل لجميع الأطراف المعنية. وكان كل ذلك يحدث، ثم دخلت على الإنترنت ورأيت أن هذا المنزل كان معروضًا للبيع. كان ذلك مقدرًا. والآن أنا مستعد للجزء التالي من حياتي. كيف انتهى بِكِ الأمر هنا؟

أخبرته مارجريت كيف أنها قد ذهبت إلى الكلية في هارتفورد، وتزوجت بعد ذلك مباشرةً، وعلى الرغم من أنهما كانا يحلمان بالانتقال إلى مدينة نيويورك، فقد عُرض على زوجها إريك وظيفة في شركة مالية محلية، أما هي فقد حصلت على شهادة في علم المكتبات، وتعمل الآن بدوام جزئي في أقرب فرع. لقد ابتاعا المنزل قبل بضعة أشهر فقط.

- إذن، فأنت أيضًا جديدة هنا.

- نسبيًا. لقد كنا نستأجر مكانًا على بعد عدة بنايات فقط. كانت شقة داخلية ملحقة بمنزل صديق زوجي المفضل، لذلك فنحن نعرف المنطقة. لكن، أجل، نحن مستجدون على هذا الشارع، وأنت إلى حد كبير أول جار أستقبله لتناول القهوة.

- حسنًا، يشرفني ذلك.

- وأرغب في دعوتك على العشاء في وقت ما. ربما بإمكاننا حتى أن نشوي خارجًا قبل أن تصبح الأمسيات شديدة البرودة.

«أود ذلك»، قال جاك مفترضًا أنها كانت تتصرف بلطف فحسب. كان يفترض أيضًا أن ذكرها لحدث اجتماعي ثانٍ يعني أن هذا الحدث قد انتهى.

نهض واقفًا، ثم قال: «لدي بعض العمل لأقوم به هذا الصباح».

- أوه، حسنًا.

وقفت أيضًا، ورأى جاك تعبيرًا -القلق، ربما، أو الخوف- يعبر وجهها.

- أنا آسفة. لم أكن أعرف أنني أعطِّلك عن...

- أوه، كلا. لا داعي للقلق بشأن ذلك. لقد كان من الرائع مقابلتك، لكن لدي بعض الأشياء لأقوم بها هذا الصباح، وإذا بقيت هنا لفترة أطول، فسوف ألتهم كعكة القهوة هذه كلها.

***

عندما عاد إلى مطبخه، وقف جاك بعيدًا قليلًا عن النافذة وراح يراقب جارته المتوترة وهي ترتب الغرفة التي كان قد غادرها للتو. كان يشك في أنها سوف تفي بعرضها المتعلق بدعوته لتناول العشاء، وسيكون ذلك من حسن حظه. فلقد انتابته شكوك بأنه ربما لن يحب زوجها.

استدار جاك عائدًا إلى طاولة المطبخ وراح يستعرض كومتي البريد التي كان قد صنعهما. تذكر عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي، وقرر البحث عن رقم هاتفها. سوف يتصل بها في وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم، أو ربما سيهاتفها يوم الاثنين. أيًا كان الأمر، فعلى الأرجح يمكنه الانتظار.



(8)

السبت، 17 سبتمبر، 4:04 مساءً

كان المحقق سام هاميلتون قد عمل مع محققة شرطة الولاية ماري باركنسون في مناسبتين أخريين: قضية منهما كانت بسبب عملية سطو فاشلة على بنك، تم إزالة الغموض عنها في غضون ساعات، وأخرى كانت حادث اصطدام وفرار، والتي ظلت دون حل. كان ينسجم معها بشكل جيد، على الرغم من أنه كان من الصعب قراءتها، كانت إحدى مواطني نيو إنجلاند الكتومين ملتزمي الصمت، الذين لفحهم الطقس، والتي بدت وكأنها ولدت مع تجاعيد على وجهها، والتي لا تتحدث إلا عندما يكون ذلك ضروريًا. ومع ذلك، كانت ودودةً بما فيه الكفاية عندما تتحدث، ولم تُظهِر قط أي تحفظ بشأن العمل مع محقق محلي.

لقد كان يريد الاتصال بها طوال اليوم، لمعرفة ما إذا كانت ستقدم له آخر المستجدات بخصوص جريمة قتل فرانك هوبكنز، لكنه أجبر نفسه على الانتظار، غير راغب في إزعاجها بهذه السرعة وهي في خضم التحقيق. ولكن بعد قضاء اليوم كله في المنزل في البحث على الإنترنت عن صلات محتملة بين الأسماء التسعة المدرجة في القائمة، والعثور على القليل جدًا، قرر سام إجراء المكالمة.

- المحققة باركنسون تتحدث.

- ماري، معكِ سام. من كينويك.

- مرحبا سام. لا بد أن لديك شيئًا لي.

- كنت أتمنى ذلك، ليس لدي أي شيء. لقد اتصلت على أمل أن تقومي أنت بإطلاعي على أحدث المستجدات.

- بخصوص فرانك هوبكنز؟

- أجل.

- أنا خارج هذه القضية الآن. حسنًا، لقد أخبروني أنني سأقوم بدور استشاري، لكن الأمر أصبح فيدراليًا، لذا ها نحن أولاء.

- حقًا؟

- بالتأكيد. لقد حدث ذلك للتو منذ نحو ساعة.

- لماذا؟ هل تعرفين؟

- لقد وقعت هناك جريمة قتل أخرى. في ماساتشوستس.

قال سام: «ماذا تقصدين؟».

- قُتِلَ شخص يُدعى ماثيو بومونت هذا الصباح في دارتفورد، ماساتشوستس. أطلق عليه الرصاص بينما كان بالخارج يمارس رياضة الجري الصباحية. أنا متأكدة من أنك تتذكر أنه كان أحد الأسماء المدرجة في القائمة. حسنًا، لقد حصل على نفس الرسالة التي حصل عليها فرانك، لذا فنحن الآن أمام قاتل متسلسل يعبر حدود الولاية، أو هذا ما يبدو عليه الأمر.

قال سام: «مذهل. أنا لست مندهشًا ولكني متفاجئ في نفس الوقت. إن كنت تعرفين ما أعنيه».

- لقد تفاجأت أيضًا. فأنا أعمل في هذا منذ وقت طويل، وعندما تبدو جريمة القتل معقدة، يتضح في الغالب أنها ليست كذلك.

- هذا ما كنت أفكر فيه أيضًا.

قالت المحققة باركنسون: «حسنًا، لا يزال من الممكن أن تسير الأمور على هذا النحو. ربما يكون فرانك هوبكنز قد قُتل على يد مدمن مخدرات. لا يزال لديك مثل هؤلاء في كينويك، أليس كذلك؟».

- مدمنو المخدرات؟

- أجل.

قال سام: «قِلَّة قليلة».

- اسمع يا سام، الناس مستمرون في المرور بمكتبي، ليروا ما إذا كنت قد انتهيت من الهاتف. أنا آسفة ليس لدي المزيد من المعلومات لك.

- لقد منحتني الكثير يا ماري، شكرًا.

بعد أن أنهى المكالمة جلس سام لبضع دقائق يحدق من نافذته بالطابق الثاني ويفكر فحسب. على الرغم مما قالته ماري، بأن موت فرانك قد يكون ناجمًا فقط عن مدمن يائس ما، فإن سام عرف أن الوفاة الثانية تنفي هذا الاحتمال. لقد مات فرانك ومعه قائمة في يده. تسعة أسماء. والآن قُتل أيضًا شخص آخر ورد اسمه في تلك القائمة. ليس هناك وجود لسيناريو يكون فيه هذا مجرد مصادفة.

نهض سام وذهب إلى رف الكتب الجداري على الجانب الآخر من مكتبه، الذي كان يحتوي -من بين كتب أخرى- على المجموعة الكاملة لجدته من روايات أجاثا كريستي. لم تكن قد تركتها لسام في وصيتها بشكل صريح، لكن كل فرد في العائلة كان يعرف أنها أرادته أن يحصل على كتبها، وعلى وجه الخصوص مجموعة كريستي، التي ربما كان بعضها طبعات أولى قيِّمة للغاية.

كان سام يقضي الصيف في أثناء فترة طفولته بمنزل جدته في شمال يوركشاير. كانت باتريشيا برنارد والدة والدته، والتي أمضت جزءًا من حياتها كبالغة في جامايكا، ووصلت إلى هناك من إنجلترا في عام 1946 لتولي منصب سكرتيرة في شركة تصدير. لقد وقعت في حب روبرت هاميلتون، مالك مطعم شهير في «كينجستون» وجامايكي ذي بشرة سمراء. وأصبحت متزوجةً وحاملًا في غضون عام، وأنجبت روزماري، والدة سام. كان سام قد سأل جدته عدة مرات عما كان عليه الحال في الزواج بين الأعراق في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. لطالما أخبرته بأن أسوأ ما في الأمر هو السلوك السيئ للآخرين «مجرد نظرة غريبة بين الحين والآخر، عندما نستقل الحافلة معًا».

توفي بوب هاميلتون -زوجها- عندما كانت ابنتهما الوحيدة تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا فقط، وعادت باتريشيا إلى إنجلترا، واستقرت في كوخ عائلي في «يوركشاير ديلز». وكان ذلك الكوخ الحجري هو المكان الذي أمضى فيه سام أفضل شهور طفولته، حيث مُنح حرية التجول في الريف الإنجليزي، والأهم من ذلك، حرية الوصول إلى مجموعة كتب جدته. كان قد قرأ في عمر العاشرة كتاب «الجريمة النائمة» لأجاثا كريستي ووقع في حبه. بعد ذلك، أصبح مدمنًا على هذا النوع من الكتب. وأصبح عاشقًا حقيقيًا لإنجلترا، مهووسًا بشوكولاتة كادبوري، ونادي أرسنال لكرة القدم، وحتى المسلسلات الهزلية الإنجليزية السخيفة التي كانت تشاهدها جدته على جهاز التلفاز الضخم في غرفة الجلوس. لكن كانت الكتب هي ما علق معه أكثر من أي شيء آخر. لقد أحب أجاثا كريستي وديك فرانسيس وروث ريندل، كل الكتاب المفضلين لدى جدته، ومنحته تلك الكتب نظرة للعالم، نظرة مختلفة تمامًا عن تلك التي منحتها له نشأته في مدينة «هوما»، حيث كان والداه غاضبين طوال الوقت وانفصلا في النهاية خلال عامه الأخير في المدرسة الثانوية.

فوجئ أصدقاء سام وزملاؤه في الغالب عندما تقدم للوظيفة في كينويك بولاية مين، وألقوا النكات حول كيف كان سيضاعف عدد الجامايكيين الذين يعيشون في نيو إنجلاند. لكن خلال حفل توديع سام، كانت جان لاندري، رئيسة الشرطة، هي الشخص الذي استوعب بالفعل الدافع الحقيقي لسام. فخلال خطابها القصير الذي ألقته، قالت: «كنت أعلم دائمًا أن سام، في أعماقه، يريد حقًا أن يكون جيسيكا فليتشر[1] من كابوت كوف، بـ «مين»، والآن سيحظى بفرصته». وكان هذا صحيحًا جزئيًا. على الرغم من أنه عاد لزيارة إنجلترا كثيرًا، حتى بعد وفاة جدته، فلقد كان يعلم أنه لا يستطيع العمل هناك. لكن كان بإمكانه العمل في نيو إنجلاند، وبدء حياة جديدة في قرية بـ «مين»، وأن يشعر على الأقل كما لو كان يعيش الحياة التي وُلِدَ ليعيشها. كان يحدق إلى كتب أجاثا كريستي الخاصة بجدته، والتي كانت مرتَّبة ترتيبًا

---

(1) جيسيكا فليتشر هي شخصية خيالية في مسلسل أمريكي شهير يدعى «جريمة كتبتها»، والتي كانت كاتبة غموض ومحققة هاوية، تجد نفسها متورطة في حل سلسلة من جرائم القتل التي تحدث في بلدة خيالية تدعى كابوت كوف بولاية مين، وكذلك في جميع أنحاء الولايات المتحدة وخارجها.

زمنيًا، وسحب نسخته المجلّدة من الكتاب الذي سيُعرف في النهاية باسم «ثم لم يبقَ أحد»، أو «عشرة هنود صغار». لكن النسخة التي امتلكها سام هاميلتون، بغلاف مقوى، حملت العنوان الأصلي: «عشرة زنوج صغار».

تذكر سام أنه بعد أن أنهى قراءة «الجريمة النائمة» سأل جدته نانا بات عما يجب أن يقرأه بعد ذلك.

قالت: «هناك كتاب أعتقد أنك ستحبه حقًا، لكنني أظن أنه يجب عليَّ أن ابتاع نسخة جديدة من أجلك».

- أليس لديكِ واحدة؟

- بلى، لكن عنوانها ليس جيدًا. في الحقيقة، لم يكن لطيفًا لدرجة أنهم قاموا بتغييره. لقد غيروه عدة مرات، في الواقع.

أطلعته على الكتاب وشرحت له أن تسميته كانت قد جاءت من أغنية للأطفال والتي كانت شائعة منذ سنوات عديدة. كان سام مفتونًا، خاصة بالغلاف: يد بيضاء شبحية تمسك بعشر شخصيات إفريقية صغيرة، بعضها واقف، وبعضها يلوِّح بالرماح، وبعضها مستلقٍ. لقد قرأ الكتاب بالطبع، ذات ظهيرة يوم مرعب، غير راغب في انتظار نانا بات لطلب نسخة ذات عنوان أكثر ملاءمة من مكتبة القرية.

بعد ذلك، أخذ يلاحقها في جميع أنحاء المنزل في أثناء قيامها بالترتيب، راغبًا في الحديث عما حدث في الرواية، أكثر جرائم القتل رعبًا، تسجيل الفونوغراف الذي تم اتهام جميع الضحايا فيه بجرائمهم، وكم من الوقت بقيت الجثث على الجزيرة بعد وفاة الجميع.

سألته: «ألا تريد أن تعرف عن العنوان؟».

- اعتقدت أن ذلك كان يعني أن كل من تمت دعوتهم إلى الجزيرة كانوا من ذوي البشرة السوداء، لكنني لا أظن أنهم كانوا كذلك.

- كلا، لقد كانوا جميعًا ذوي بشرة بيضاء. لكن لا تخبر والديك بأنني سمحت لك بقراءة كتاب يحمل عنوانه هذه الكلمة. أخبرهم أنه يُسمَّى «ثم لم يبقَ أحد».

- إن أبي يستخدم هذه الكلمة في كل وقت.

- أي كلمة؟

- زنجي.

- هل يفعل ذلك؟

- ليس طوال الوقت، ولكن في بعض الأحيان.

- لا بأس بذلك بالنسبة إليه على ما أعتقد، لكن لم يكن الأمر على ما يرام بالنسبة إلى أجاثا كريستي. ربما كان في ذلك الوقت، لكن ليس الآن.

سألها: «كم من الوقت يستغرق الموت شنقًا؟».

أو شيء من هذا القبيل على الأرجح. أحضر سام معه الكتاب ذا الغلاف المقوَّى المحفوظ جيدًا إلى كرسي النادي الجلدي الذي كان يحب القراءة فيه. ومن قَبيل الفضول، بحث عن قيمة هذه النسخة بالتحديد واكتشف أنها تساوي تقريبًا عشرة آلاف دولار، على الرغم من عنوانها العنصري، أو ربما بسببه. لا يعني ذلك أنه كان يخطط لبيعها أو بيع أي من كتبه الأخرى المحبوبة. لكنه قرر إعادة قراءتها، ولم تكن تلك المرة الأولى. أيًا كان ما حدث مع فرانك هوبكنز والأرواح الثمانية الأخرى غير المحظوظة في تلك القائمة، فهو يحمل بعض التشابه مع هذه الرواية بالذات. فتحها على الفصل الأول وقرأ الجملة الأولى: «في زاوية عربة تدخين من الدرجة الأولى، جلس السيد جاستس وارجريف، الذي تقاعد من القضاء مؤخرًا، يدخن لفافته ويقرأ الأخبار السياسية في جريدة «التايمز» باهتمام».



(9)

السبت، 17 سبتمبر، 4:39 مساءً

تمامًا كما كان يتوقع آرثر في ظهيرة يوم سبت لطيف، لقد كان هو الزائر الوحيد في متحف ميد للفنون لمشاهدة المعروضات التعبدية في العصور الوسطى. كان هناك نحو خمسين قطعة، تم استعارتها جميعها من متحف في ألمانيا، وقضى آرثر وقتًا في النظر إلى كل قطعة، وقراءة كل حاشية. كان مهتمًا، لكنه أيضًا غير متأثر بشكل غريب. كان هناك تمثال نصفي جميل لقديسة، منحوتة من الخشب، مع العديد من الصلبان، وصور متعددة لمريم العذراء. لقد أحب تخيل هذه الأشياء في زمنها الصحيح ومكانها الصحيح، والتأثير المذهل الذي كان يمكن أن يكون لها على أبناء الرعية في العصور الوسطى، هؤلاء الفقراء كانوا سيئي الحظ بما يكفي ليولدوا في العصور الوسطى. لكن تلك الأشياء لم يكن لها تأثير نفسي حقيقي عليه، باستثناء قطعة واحدة ربما، قطعتين في الحقيقة: زوجين من الخرز تم نحتهما ليكونا جزءًا من مسبحة. كانت كل خرزة تحمل وجهين: ذكر واحد، وأنثى واحدة، يتمتعان بصحة جيدة وخدين ممتلئين على أحد الجوانب، ولكن على الجانب الآخر.تم رسمهما على شكل جماجم وبضع قطع من اللحم الممزق. وعلى إحداهما بدا كما لو أن سحلية قد اخترقت ذقنها. قالت الحاشية إنها كانت خرزة تذكرة بالموت، تذكار بسيط بأننا على قيد الحياة لفترة قصيرة فقط، وأن لنا جميعًا نفس المصير، حتى اليوم الذي تتحلل فيه أجسادنا. كان آرثر

مأخوذًا بالخرز لدرجة أنه فكر مليًا في سرقة إحداها لمدة خمس دقائق. حتى إنه جرى بعينيه على طول السقف بحثًا عن كاميرات، لكن عندئذٍ راحت حارسة المتحف، وهي امرأة طويلة، منحنية الظهر، ترتدي نظارة مقعَّرة كقاع زجاجة (الكولا)، تتجول بالأرجاء، مما جعل آرثر يتخلَّى عن خطته.

لكنه ظل يفكر في الخرز لما تبقى من اليوم. كانت الحقيقة هي أنه على الرغم من ذهاب آرثر لكنيسته، فإنه كان في صراع مع إيمانه منذ وفاة زوجته. في الواقع، لقد كان في صراع مع إيمانه قبل ذلك الحين، منذ الوقت الذي رفضه فيه والده المتدين. ولكن بعد الحادث –بعد مجيئهم إلى المشفى ومعرفة أن زوجته وكلبته ميستي قد ذهبتا في لحظة، تاركتاه وحيدًا وكسيحًا- اختفت كل الأفكار التي عاشها بطريقة ما في عالم منظم ولطيف. لقد استمر في حضور الكنيسة، وصنع زهور الأحد بشكل دوري، ولكن فقط من منطلق الإحساس بالالتزام وطريقة لملء بعض الساعات. ولأنه كان يحب نوعية الناس الذين يذهبون إلى الكنيسة، وخاصة النساء المسنات. لقد بدا أن لديهن تقديرًا للحياة، حتى تجاه المتع الصغيرة. وربما أحب تعلقهن به.

إن الشيء الجميل بشأن الخرزات هو أنها كانت مهمة لأي شخص، لشخص مؤمن أو لشخص ملحد، وهكذا كان يعتبر آرثر نفسه الآن. جميعنا يعلم أن وقتنا على الأرض قصير، يبدو أن هذا ما تقوله الخرزات. نحن نعلم ذلك، حتى لو كنا لا نشعر به دائمًا. إن وجوهنا وأجسادنا جميلة فقط لفترة قصيرة. وعظامنا تدوم أكثر منا. ولكن بدلًا من أن تجعله خرزات التذكرة بالموت يشعر بالسوء، جعلته يشعر بالتحسن. كم كان محظوظًا لوجود زوجته في حياته طوال السنوات التي قضاها معها. كم كان محظوظًا لأنه ما يزال على قيد الحياة يشعر بأشعة الشمس على وجهه، ومَرجَة الحرم الجامعي التي تم الاعتناء بها على أكمل وجه أسفل قدميه. في منتصف المسافة قام طالبان جامعيان برمي طبق طائر ذهابًا وإيابًا، ولقد بدا جميلًا بشكل لا يوصف. قد تكون الحياة مجرد طرفة عين، لكنه كان فيها بطريقة ما.

***

عندما عاد إلى منزله تفاجأ بوجود سيارتين غريبتين في ممر السيارات الخاص به، إحداهما دورية شرطة والأخرى سيارة سيدان سوداء ذكرته لوهلة بسيارة نقل الموتى، ولكن ربما كان ذلك تأثيرًا ناجمًا عن المعرض الذي ذهب لرؤيته. لقد قيل له إنه كان تحت حماية الشرطة المؤقتة وقام عميل فيدرالي باستجوابه على طاولة مطبخه بينما قام شرطي بتفتيش المنزل لفترة وجيزة. كان الأمر يتعلق بالرسالة التي استلمها، والتي تحتوي على تسعة أسماء. لم يخبره العميل بالكثير، ولكن كان من الواضح أن شيئًا سيئًا قد حدث لواحد على الأقل من الأشخاص الآخرين الذين استلموا القائمة. تم سؤاله عن جميع أسمائهم، وكما كان من قبل، قال إنه لم يكن أيٌّ منهم مألوفًا لديه.

قال العميل الذي يُدْعى توم أوربينو: «ماذا عن أي لقب من الألقاب؟». فكر آرثر في أنه كان شابًا، ربما في الثلاثين من عمره فقط، ببشرة زيتونية وعينين عميقتين.

ألقى آرثر نظرة أخرى على النسخة المصورة من القائمة والتي كانت أمامه على طاولة المطبخ المغطاة بالمينا. «لا»، قالها متذكرًا محادثته عبر الهاتف مع عميلة أخرى في مكتب التحقيقات الفيدرالي والتي تُدْعَى جيسيكا وينسلو. كانت تعتقد أن والده ووالدها قد يكونان صديقين. هل كان لوالده صديق يدعى وينسلو؟ إذا كان له صديق كذلك، فإن آرثر لا يتذكره.

وافق على وجود سيارة شرطة خارج منزله طوال فترة الليل، وغادر العميل، في حين أن الشرطي، وهو شاب آخر، هذا الرجل الأشقر جدًا وله ذقن مملوء بالبثور، أخبر آرثر أنه سيقوم بالوردية الأولى من دورية الشرطة الخاصة به.

- أغلق أبوابك. ولا تسمح لأحد بالدخول، وإذا احتجت أي شيء يمكنك الاتصال بي.

قال آرثر: «هل يمكنك إخباري بالمزيد حول ما يجري؟»

جزئيًا لأنه أراد أن يعرف بشدة، وجزئيًا لأن مجرد وجود شخص يتحدث معه كان سيخفف من قلقه.

- بصراحة، أنا شخصيًا لا أعرف الكثير عما يحدث. إنني على أدنى درجات سلم المعرفة، على ما أظن.

- لكن هل يحدث هذا النوع من الأشياء في الكثير من الأحيان؟ من واقع تجربتك...؟

- حسنًا، لا أعتقد ذلك. لكنني جديد هنا.

عندما أدرك آرثر أنه لن يحصل على مزيد من المعلومات، أخبر الشرطي (لقد نسي بالفعل اسمه الأول ولكن لقبه كان كليفت، مثل الممثل) أنه إذا أراد البقاء في المنزل، فلا بأس بذلك بالنسبة إليه. لكن الشرطي أخبره أنه من المفترض أن يكون بالخارج في سيارته.

***

مستلقيًا في فراشه تلك الليلة، راح آرثر يفكر في ذلك اليوم السريالي: تلك الوجوه المنحوتة التي اختزلت بالموت والوقت لتصبح جماجم عابسة، الشابان اللذان كانا يلعبان الطبق الطائر في ساحة الكلية، أفكار آرثر حول مسيرته، والطريقة التي شعر بها فجأةً بالسلام مع الخسائر في حياته. لطالما تساءل عما كان الأسوأ: أن يشعر بالفراغ ولا يعرف ما الذي يجعل هذا الشعور يختفي، أو أن يشعر بالفراغ وهو يعرف بالضبط ما هو مفقود. الليلة، وأيًّا كان السبب، بدا أنه يمتلك الجواب. لقد فهم بوضوح إنجيلي كيف أن حياتنا زائلة، ومدى حماقة أن نظل في حداد على أولئك الذين رحلوا قبل الأوان.

كان الطقس في تلك الليلة أكثر برودة مما كان عليه في الليلة السابقة ونهض آرثر ليغلق النافذة. بعد عودته إلى الفراش، لف اللحاف بإحكام حوله، ووضع يديه على صدره، وبدأ يغط في النوم. لم تكن هذه مشكلة في تلك الأيام، لكن آرثر قد عانى مرارًا وتكرارًا من الأرق معظم حياته كبالغ. حتى أنه قد ذهب إلى إخصائية نوم، وعندما أخبرها بأنه ينام على ظهره ويداه مطويتان على صدره، أخبرته أنه ينام في وضع التابوت. والآن، في كل مرة يخلد فيها إلى النوم، كان يفكر في تلك العبارة الغريبة.

بعد مرور ساعتين، بدأت عبوة من الفولاذ المقاوم للصدأ والتي كانت مخبأة في إحدى حقائب آرثر الفارغة على أرضية خزانة ملابسه في إطلاق

غاز «أول أكسيد الكربون[1]» بصمت في الغرفة. لقد تم تجهيزها بصمام معدل خصيصًا يتم فتحه وفقًا لنظام توقيت. في غضون ساعة، كان تركيز أول أكسيد الكربون في غرفة النوم 3200 جزء في المليون، وكان آرثر الذي لا يزال مدسوسًا تحت أغطيته، ولا يزال في وضع التابوت، قد رحل عن هذا العالم.



(1) غاز عديم اللون وعديم الرائحة، عند استنشاقه يمنع الدم من حمل الأكسجين ويمنع الأنسجة من استعمال الأكسجين بشكلٍ فعَّال. وجود كميَّات صغيرة لا يكون ضارًا عادةً، ولكن يحدث التَّسمُّم إذا أصبحت مستويات أول أكسيد الكربون في الدم شديدة الارتفاع.

ستة

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الأحد، 18 سبتمبر، 2:01 مساءً

- هل هناك أي مكان يمكنكِ الذهاب إليه؟ أي مكان تريدين الذهاب إليه؟

قالت جيسيكا: «لقد كنت أفكر قليلًا في ذلك».

كانت تجلس في كرسيها الأكثر راحة، وهو كرسي من الجلد قابل للانحناء إلى الخلف، وكان آرون برلين يذرع غرفة معيشتها جيئةً وذهابًا، مما جعلها متوترة.

- تفضل بالجلوس، لِمَ لا تفعل؟ هل تريد جعَّة؟
- لا أعرف لماذا تتصرفين ببساطة حيال هذا. لقد لقي ثلاثة أشخاص في تلك القائمة حتفهم، وكان أحدهم يحظى بحماية الشرطة في ذلك الوقت.
- أنا لا أتعامل ببساطة حيال ذلك، صدقني. لكن تَكَلُّفي لن يساعد.
- هل لديكِ جعة في الثلاجة؟
- أجل.
- حسنًا. هل تريدين واحدة أيضًا؟
- بالتأكيد. لِمَ لا؟

عاد آرون إلى غرفة المعيشة مع علبتي جعة من نوع (إبا) من مصنع فورت أورانج للتخمير.

قال: «هل تركت هذه هنا؟»، بينما سلمها العلبة الطويلة.

- ربما. فأنا لا أشرب الكثير من الجعة.

جلس آرون، وكانت تلك البداية، لقد جلس آرون، على الرغم من أنه بدا أكثر وكأنه كان يجلس على البوصة والنصف الأخيرة من مقعد الكرسي عند مدخل غرفة المعيشة. المقعد الذي عادةً ما تلقي فيه جيسيكا بريدها.

- إذن، هل هناك مكان ما يمكنكِ الذهاب إليه، مكان ما ليس لكِ علاقة به على الإطلاق؟

قالت جيسيكا متجاهلةً سؤاله: «هل تم استجواب آرثر كروز بعد ظهر أمس؟ لقد قلت إنه تم استجوابه؟ هل تعلم إذا كان قد قال أي شيء عن والده؟».

- لا أعلم صدقًا. إنها ليست قضيتي الآن، أكثر مما هي قضيتك.

- لكنك ستحضر لي معلومات الاتصال الخاصة بوالده إذا استطعت، أليس كذلك؟

أخذ جرعة كبيرة من الجعة، والتصقت الرغوة بالمنطقة غير الحليقة من شفته العليا. احتست جيسيكا رشفة من الجعة الخاصة بها، وفكَّرت أن احتساءها يبدو مثل إقحام مخروط الصنوبر في فمها.

- لقد نقلت ما قلته عن والدك ووالد آرثر كروز وعلاقتهما المحتملة. يمكنني أن أحضر لكِ معلومات الاتصال به، لكن لا يمكنكِ الاتصال به إلا بعد استجوابه. أنت تعلمين ذلك.

- أعلم ذلك. أنا فقط لا يسعني إلا أن أعتقد أن هناك شيئًا ما. أعني، لا بد أن تكون هناك صلة بيننا.

- استمري في قول ذلك، وأنا أوافقك الرأي. لكن ألا تعتقدين بأن هناك احتمالًا أن يكون قد تم اختيارك عشوائيًا بطريقة ما؟

- لا أعتقد ذلك.

ارتشفت جيسيكا المزيد من الجعة. كانت قد بدأت تروق لها.

- أعتقد أنك إذا اخترت تسعة أشخاص في الولايات المتحدة بشكل عشوائي، فستكون النتائج أكثر تنوعًا من ناحية العرق، والعمر، وشريحة الدخل.
- هناك بعض التنوع العمري. أشخاص في الثلاثينيات والأربعينيات من أعمارهم. لقد كان فرانك هوبكنز في السبعينيات من عمره. وأنت امرأة ملونة. لا أعرف عن الدخل بالضبط، ولكن لا يبدو أن إيثان دارت كان يتمرغ في المال تمامًا.
- أجل، لكنه ليس فقيرًا، أليس كذلك؟ إنه ليس جزءًا من الطبقة الدنيا، على الرغم من أنه ذو دخل منخفض. وأنا امرأة ذات بشرة ملونة ولكنني متبنَّاة. إنه شيء ذو مغزى، أنا أعلم أنه كذلك. لا يوجد هناك تنوع بين أهالي الأشخاص التسعة في القائمة.
- أنت لا تعرفين ذلك.
- لا أعرف ذلك، لكنني أشك به. وإذا كانت تلك قائمة عشوائية حقًا، فما زلتُ أفكر لماذا لا يوجد بها عشرة أشخاص بدلًا من تسعة؟ انظر، أعلم أنني أقوم فقط بوضع فرضيات، لكن ليس الأمر كما لو أنني أعمل على هذه القضية، لذا سأقوم بالمُضي قدمًا ووضعها. وإذا كنت أعمل عليها، فإن ما سأفعله هو إنشاء ملف تعريف لكل الآباء والأمهات والبحث عن أوجه التشابه هناك. وهنالك سوف أجدهم. وسأبحث عن الأحداث الغريبة في ماضي الأهالي، مثل القضايا التي لم يتم حلها، وأشياء من هذا القبيل.

كانت جيسيكا تتحدث بسرعة، وقال آرون: «تمهلي لحظة، هلا فعلت؟».

- آسفة. أنا أتحدث عن أفكاري بصوت عالٍ. كل ما في الأمر أنني أعلم أن الأشخاص التسعة ليسوا عشوائيين، وأن هناك صلة بينهم، وأنه أيًّا كان من يفعل ذلك فهو لن يتوقف حتى نموت جميعًا. يا إلهي، أبدو وكأنني في فيلم، أشعر وكأنني في فيلم.
- ستزداد الأمور صعوبة عليه أو عليها بمرور الأيام. فسوف يكون هناك الكثير من الحماية التي توفرها الشرطة.
- مثل آرثر كروز. كلا، أنا أعلم. ولكن لا توجد حماية الآن لجاي كوتس أو أليسون هورن أو جاك راديبو.

- سيكون هناك، سوف نجدهم.

وضع آرون علبة الجعة الخاصة به على الأرض أمامه. وقد بدت كما لو كانت فارغة.

- انظري، أعرف أنكِ تتجنبين هذا السؤال، لكنني أعتقد حقًا أنه سيكون من الأفضل أن تذهبي إلى مكان آخر ما دامت هذه القضية مستمرة. فالبقاء هنا ليس بالشيء الجيد. الذهاب إلى متجر بقالتِكِ المحلي، والذهاب إلى كلوب روم، ليست فكرة جيدة. بإمكاننا أن نرسلكِ إلى مكان ما، كما تعلمين، ولكن إذا كان هناك مكان ترغبين في زيارته...

- ربما يمكنني التفكير في مكان ما.

- حسنًا... جيد. لا تخبريني عنه. سأحصل على جعة أخرى قبل أن أمضي في طريقي، وبعد ذلك ينبغي أن تُتَّخذ الترتيبات.

توارى آرون في الحمام أولًا، قبل أن يتوجه إلى المطبخ. وراحت جيسيكا تفكر في المكان الذي كان في ذهنها. لقد كان مكانًا ما في وسط ساحل ولاية مين، كان ذلك كل ما تعرفه. فقبل عامين، كانت قد ذهبت إلى حفل زفاف صديقتها بالكلية دارلين، وانتهى بها الأمر بالتسكع طوال الوقت مع امرأة تدعى جوين ميرفي. كانت قد تعرفت على جوين في الكلية أيضًا، لكنهما لم تكونا مقربتين. لكن في عطلة نهاية الأسبوع تلك، نشأت بينهما رابطة، حتى إنهما أخذتا تتسكعان قليلًا بعد حفل الاستقبال، وهو شيء لم تفعله جيسيكا منذ حياتها الجامعية -أن تتسكع مع صديقة-. وكان أحد الأشياء التي تذكَّرتها من حفل الزفاف هو حديث جوين معها حول المنزل الذي ورثته عن جدتها، كوخ في شبه جزيرة في مين، وكيف ينبغي أن تستخدمه جيسيكا في إجازتها القادمة. لم تقبل عرض جوين، ربما لأنها لم تكن تعرف ما إذا كان عرضًا لها لقضاء إجازة بمفردها أو إجازة مع جوين، لكنها فكرت في أن تتصل بها الآن. إذا كان الكوخ متاحًا، فسيكون ذلك مثاليًا. وقد كان هناك القليل جدًا -تقريبًا لا شيء- يربطها بجوين. إنهما لم تتبادلا حتى الرسائل النصية أو البريد الإلكتروني منذ حفل الزفاف.

كان آرون يذرع المكان جيئةً وذهابًا مرة أخرى، ممسكًا بجعته الثانية. لم يكن قد سأل جيسيكا عما إذا كانت تريد واحدة، وعلى الأرجح لم تكن تلك فظاظة من قبله أكثر من كونه يعرفها جيدًا ليعلم أنها لن ترغب في المزيد.

قالت له: «عليك أن تذهب إلى العمل».

- يجب عليَّ ذلك. انظري، لدي شيء لكِ.

أخرج هاتفًا مقلوبًا من جيبه.

- إنه هاتف مسبق الدفع، في حال احتجت إلى إخباري بمكانكِ. لن أثق في هاتفك الخلوي أو هاتفكِ الأرضي.

- أعرف.

قالتها وأخذت منه الهاتف.

عند الباب، قبلته على شفتيه، وعندما شعرت أنه على وشك أن يسألها عما إذا كانت تريده أن يبقى، دفعته للخارج إلى عتبة الباب. قبل أن تغلق الباب، رصدت سيارة الشرطة التي لا تحمل علامات على بعد خمسين ياردة تقريبًا.

***

وحيدة في منزلها، ذهبت إلى مكتبها وسحبت للخارج درجًا مكتظًا بالفوضى، حيث كانت تضع كل القمامة التي لم تكن بحاجة إليها حقًا ولكنها لم ترغب في التخلص منها أيضًا. حملت الدرج إلى غرفتها وأفرغت محتوياته فوق فراشها. كانت هناك برامج من جنازات قد حضرتها، وقوائم وجبات سريعة، وإيصالات قديمة، وبطاقات عيد الميلاد، وجواز سفر منتهي الصلاحية. كان هناك أيضًا العديد من بطاقات العمل، واستغرق الأمر بعض الوقت، لكنها عثرت على بطاقة جوين ميرفي. كانت تعمل وكيلة عقارات بشركة جامايكا بلين، خارج بوسطن. وباستخدام الهاتف مسبق الدفع، راحت تتصل بالرقم المدرج في البطاقة.

- جوين ميرفي تتحدث.

قالت: «مرحبًا جوين، أنا جيسيكا وينسلو». ثم أضافت بعد أن لاحظت توقفًا طفيفًا: «من الكلية».

- نعم بالطبع. آسفة، فأنا أقود السيارة.

- هل أنت بمفردكِ؟

- نعم. تفضلي، لقد وضعتكِ على مكبر الصوت.

- لدي خدمة كبيرة لأطلبها. بل خدمتان كبيرتان لأطلبهما. هل تذكرين في حفل زفاف دارلين عندما ذكرتِ لي أنكِ كنت تمتلكين كوخًا في مين؟

- بالطبع أتذكر. ما زلت أمتلكه.

- هل يوجد أحد هناك الآن؟

- كلا. إنه فارغ. لماذا؟ هل تريدين استخدامه؟

- في الواقع، كنت آمل أن أتمكن من استخدامه. أعلم أنني أطلب الكثير ولكنني كنت أفكر في التوجه إلى مين على الفور.

قالت جوين: «لا بأس بذلك بالنسبة إليَّ. هل كل شيء على ما يرام؟».

- دون الخوض في التفاصيل، أحتاج إلى الابتعاد، وأحتاج إلى القيام بذلك دون الكشف عن هويتي.

قالت جوين: «أوه، حسنًا»، واستطاعت جيسيكا سماع تغير نبرة صوتها. كانت تعلم أن صديقتها ربما اعتقدت أنها هاربة من وضع مُسيء.

- لذا فأنا بحاجة إلى أن أطلب منكِ عدم ذكر ذهابي إلى كوخكِ لأي شخص. والحفاظ على سرية هذه المحادثة تمامًا.

- بالطبع أستطيع فعل ذلك.

- أنا جادة يا جوين، عليكِ أن تعديني بأن تنسي تمامًا أنني سأكون هناك.

- أنا جادة يا جيسيكا، سأفعل ذلك.

قالتها جوين بصوت هامس، كما لو كانت تثبت لها مدى أخذها للأمر على محمل الجد. ثم زودت جيسيكا بعنوان الكوخ في شبه جزيرة «سانت جورج»، وبالمكان الذي كانت تحتفظ فيه بالمفتاح الإضافي. ووعدتها بعدم حضور أي شخص آخر إلى الكوخ.

بعد انتهاء المكالمة، أخذت جيسيكا تفكر لخمس دقائق، وتقنع نفسها بأن الاختفاء في مين كان الخيار الأمثل، برغم حقيقة أن الأمر بدا كما لو كانت تهرب بعيدًا. غسلت علبة الجعَّة الخاصة بها وبدأت في حزم أمتعتها.

***

(2)

الأحد 18 سبتمبر، 4:07 مساءً

كان ذلك في وقت متأخر بعد الظهر، ولم تكن أليسون قد غادرت الشقة طوال عطلة نهاية الأسبوع، ليس منذ أن عادت من موعد العناية بالأقدام في الصباح السابق.

قالت لنفسها أنها كانت تحيا في رفاهية نادرة، حيث قضت عطلة نهاية أسبوع كلها لنفسها، لكنها الآن تشعر بالملل وعدم الراحة. منذ عشرة أعوام كان بإمكانها استدعاء أي عدد من أصدقائها الذين ما زالوا يعيشون في المدينة، لكنهم قد غادروا جميعًا باستثناء دوج، الذي كان خارج البلدة، وناتالي، التي كانت لا تزال في وسط المدينة آخر مرة تحققت فيها. كانت صامدة بالكاد، وقد تمكّن منها إدمان الكحول وتعيش على أموال صندوق ائتماني متضائل. متى كانت آخر مرة خرجت فيها هي وناتالي؟ منذ ستة أشهر على الأقل، أو ربما قبل عام. نظرت إلى هاتفها -لا يزال لديها رقم ناتالي- وقررت الاتصال بها. ربما يمكنهما الذهاب إلى حانة «سوان» في جنوب حي «إيست فيليدج»، تحتسيان مشروب (بلودي ماري) على العشاء، ثم تنتظران طوال الليل، لمعرفة من سيأتي. سيكون الأمر كما لو كانت تعود بالزمن إلى الوراء.

أجرت المكالمة، لكن صوتًا آليًا أخبرها أن الرقم مرفوعٌ من الخدمة. تحققت لترى ما إذا كان لديها عنوان بريد ناتالي الإلكتروني -لقد فعلت-

وكتبت: «مرحبًا نات، أنا أل، لقد أردت أن أعرف ما إذا كنت ترغبين في قضاء أمسية أحد صاخبة من أجل الأيام الخوالي. ما زالت حانة سوان تعمل، أليس كذلك؟».

وبعد أن أرسلت الرسالة، شعرت بالغرابة حيال ذلك، قررت البحث عن ناتالي، لمعرفة ما إذا كانت لا تزال تعيش في نيويورك. استغرق الأمر منها بعض الوقت للتوصل إلى اسم عائلتها -فلقد كانت مدرجة ببساطة باسم نات ج في قائمة جهات الاتصال بهاتفها- لكنها استطاعت الوصول إليه. لقد كان «جيمبل»، مثل المتجر القديم. سجلت سريعًا «ناتالي جيمبل» وأول ما ظهر لها في البحث هو نعي منذ شهرين. نقرت عليه، ورأت صورة لصديقتها القديمة، تبتسم للكاميرا، لها بشرة مجعدة بفعل أشعة الشمس وخطوط رمادية في شعرها. كانت قد غادرت نيويورك بالفعل وعاشت في مدينة «سيدونا»، أريزونا. لم يكن هناك سبب للوفاة، لكن النعي ذكر أنه بدلًا من الزهور، يرجى إرسال التبرعات إلى مركز علاج «هانيسكل»، وربطت أليسون الأمور ببعضها. كيف لم تسمع بذلك؟ ألم يكن أي من أصدقائها القدامى على علم بذلك، وإذا كانوا قد عرفوا، فلماذا لم يخبروها؟

أخذت أليسون نفسًا عميقًا، لكنها شعرت بضيق في قصبتها الهوائية، كما لو أنها لا تستطيع الحصول على ما يكفي من الأكسجين. آلمها صدرها، وبدت غرفة معيشتها النظيفة والمرتبة وأغراضها، غريبة فجأة في نظرها، وغير واقعية، كما لو كانت تراها لأول مرة. شعرت بأن أطرافها مُجَوَّفة، وقال صوت ما في رأسها: «إنك تحتضرين، هذه هي النهاية». لكن صوتًا آخر قال: «إنها نوبة هلع. لقد انتابتكِ واحدة من قبل، في الكلية، وهكذا كان شعوركِ تمامًا». وقد فاز الصوت الثاني. لم تتصل بـ 911، لكنها انتظرت ببطء أن يمر ذلك الشعور، وقد فعل في النهاية.

***

بحلول موعد العشاء شعرت بأنها قد عادت بشريةً مرةً أخرى، كانت مرهقة، وتشعر بالجوع بما يكفي لتناول الزبادي. بينما كانت تأكل، راحت تقلب عبر قنوات التلفاز، لكنها لم تستطع العثور على أي شيء لتشاهده،

لذلك سجلت الدخول إلى «أمازون برايم» منغمسةً في مشاهدة معظم حلقات الموسم الثاني من «Fleabag»، وهو مسلسل كانت قد شاهدته بالفعل عدة مرات. بين الحلقتين الثانية والثالثة، فتحت زجاجة من نبيذ الفيرمينتينو وجذبت عبوة ذات حصة واحدة من اللوز الخام. في أثناء الحلقة الأخيرة تلقت مكالمة من جوناثان مفاجأة للغاية لأنها كانت في وقت متأخر من مساء يوم الأحد. أوقفت التلفاز مؤقتًا، ثم التقطت السماعة وقالت: «مرحبًا».

قال: «آل».

لقد كان نادرًا ما يتصل وعندما يفعل كانت دائمًا ما تعتقد بأن صوته يبدو أكبر بكثير مما كان يبدو عليه. صوت من فيلم قديم، ذكوري ومتقطع.

كانت على وشك أن تلقي ملاحظة ساخرة بشأن اتصاله بها يوم الأحد، لكنها قالت بدلًا من ذلك: «هل كل شيء على ما يرام؟».

قال «نعم ... ولا. لقد تركتني جين».

كانت جين زوجته، وبناءً على ما كان قد قاله لأليسون عنها، كان من المفترض بها أن تكون ذلك النوع من الزوجات اللواتي لا ينفصلن عن أزواجهن أبدًا.

- ماذا تقصد بذلك؟ هل تركتك للأبد؟

تنحنح قائلًا: «إنها صدمة تامة، لكنها في الواقع التقت شخصًا آخر، واستيقظت وغادرت بعد ظهر أمس. إن لديهما شقة معًا بالفعل».

- أوه يا إلهي، جوناثان. كيف حالك؟

- بصراحة، أنا مذهول، لكنني أيضًا... أنا أيضًا متفرغ الآن، على ما أظن.

- يبدو كذلك.

- وأول شخص فكرت فيه كان أنت.

قالت: «عزيزي».

كان ذلك هو التعبير الذي تستخدمه لإظهار محبتها له، ولم تكن تستخدمه كثيرًا.

- هل تريدين الذهاب بعيدًا لبضعة أيام؟ كنت أفكر أنه بإمكاني اصطحابك إلى منزلي في برمودا. سيكون الطقس...

- أجل. أجل.

قالت وهي تعتدل في جلستها بسرعة كبيرة لدرجة أنها ركلت زجاجة النبيذ التي كانت على الأرض، وسكبت الكمية القليلة المتبقية.

- لدي بعض الأشياء لأقوم بها، لكنني فكرت في أنه ربما يمكننا المغادرة في نهاية الأسبوع، وأن نكون هناك بحلول عطلة نهاية الأسبوع المقبل.

- سيروق لي ذلك.

- عظيم. سوف أوافيكِ بالترتيبات. يمكنني حجز رحلة خاصة من «تيتربورو»، ويمكنني الحصول على سيارة لإحضاركِ. هل أنتِ متأكدة أنكِ مستعدة لقضاء كل هذا الوقت مع رجل عجوز؟

- أنا متحمسة حقًا. ولا أقول ذلك بغرض المجاملة فحسب، جوناثان.

بعد إنهاء المكالمة، شغلت أليسون مجموعتها الموسيقية (going out) «الخروج» على تطبيق سبوتيفاي بصوت عالٍ إلى الحد الذي اعتقدت معه أنها لن تتلقى شكوى بشأن الضوضاء، بحثت عن الطقس في برمودا، ثم بدأت في وضع الثياب المحتملة على فراشها، على الرغم من أنه سيكون لديها عدة أيام قبل أن تذهب.

بعد أن أعدت قائمة بالأشياء التي ستحتاج إلى شرائها هذا الأسبوع، استمعت إلى رسالة غريبة للغاية من رجل يعرِّف عن نفسه بأنه العميل برلين من مكتب التحقيقات الفيدرالي، متسائلًا عما إذا كانت قد استلمت في البريد رسالة بقائمة مدرج فيها اسمها. ترك لها رقمه للاتصال، بالإضافة إلى الرقم المحلي لمكتب التحقيقات الفيدرالي في مانهاتن، حيث يمكنها أن تسأل عن العميل جاريت. كانت تعلم أن هذه القائمة تشكل أنْبَاءً سيئة، وحذفت البريد الصوتي دون أن تدوِّن أيًا من الأرقام. لقد قررت بالفعل أنها ستكون أفضل حالًا إذا لم تكن تعلم. علاوة على ذلك، في غضون أسبوع ستكون في برمودا.

***

(3)

الأحد 18 سبتمبر، 5:31 مساءً

كان جاك قد أمضى وقتًا طويلًا داخل منزله وهو ينقر على القصص الإخبارية في جوجل، ويُجري مكالمات هاتفية لأشخاص مختلفين في عمله، وقرر أنه سيُعدُّ لنفسه مشروبًا ثم يجلس بالخارج ويستمتع به قبل حلول الظلام.

كانت هناك خزانة جدارية في غرفة الطعام وكان هذا هو المكان الذي أقام فيه البار الخاص به.

فتح قنينة جديدة من مشروب الجن من نوع بليموث، معتقدًا أنه سيُعدُّ لنفسه شراب مارتيني، ثم تذكر أنه ليس لديه أي زيتون. «لا يهم» فكَّر في نفسه، وقرر أن يصنع لنفسه المشروب الذي أطلق عليه في عقله «ذا ترافيس ماكجي»، والذي سُمي تيمنًا باسم المشروب المفضل لدى الشخصية الرئيسية في سلسلة من روايات الإثارة التي اعتاد أن يقرأها بنهم في السابق. لقد كانوا جميعًا يحملون أسماء ألوان في عناوينهم، هكذا كانت الكتب، وتذكر كتابًا كان يحمل اسم (The Amber Place for Dying) «مكان بلون العنبر للموت[1]» أو شيء من هذا القبيل. لم يستطع تذكر اسم المؤلف، لقد كان

(1) العنوان الصحيح للكتاب هوA Purple Place for Dying أو (مكان أرجواني للموت) للكاتب جون.د.ماكدونالد.

شيئًا ما ماكدونالد، ربما كان جون أو جريجوري، لكن بطل الرواية كان يُدْعَى ترافيس ماكجي، ولسبب ما، ربما لأنه كان مشروبًا لعينًا رائعًا، فلقد تذكر كيفية إعداد شراب ترافيس ماكجي المفضل.

بعد أن ألقى حفنة من الثلج في قدح، راح يسكب القليل من نبيذ الشيري الجاف في الكأس. ثم تخلص من الشيري وملأه بمشروب جن بليموث. وجد ليمونة في الثلاجة وأضاف بضع قطرات من عصير الليمون. لم يكن بمقدوره أن يتذكر ما إذا كان ينبغي إضافة بعض قشر الليمون لكنه قرر فعل ذلك على أي حال. بدا ذلك رائعًا، فلطالما كان جاك ينظر إلى احتساء الشراب على أنه نشاطٌ جماليٌّ قبل كل شيء. كان سيحضر شرابه إلى الفناء الخلفي، لكنه غيَّر رأيه، وخرج من باب المنزل الأمامي، متخذًا لنفسه مقعدًا على الأريكة القابعة على يمين الباب الأمامي. لم يكن الأمر مريحًا، لكن سيكون من الرائع مشاهدة السيارات ومنزِّهي الكلاب وهم يمرون.

وازن كأس الشراب على المقعد المعدني للأريكة وزرر سترته الصوفية. ثم تناول رشفة طويلة من مشروب الجن اللذيذ، وفي صمت شرب نخب المؤلف الذي ابتكر شخصية ترافيس ماكجي.

كان عدد السيارات الذي يمر أقل مما كان يعتقد، ثم أدرك أن اليوم هو الأحد. ولكن كان هناك الكثير من المشاة، كان معظمهم يسيرون بهدف، أو على الأقل بدا أنهم كذلك. وكان هناك العديد من العدائين، معظمهم من الرجال. لكن حتى المشاة، وخاصة النساء، بدا أنهم يسيرون في خطوات واسعة مبالغ فيها، وكانوا جميعًا يرتدون ملابس رياضية وسراويل ضيقة سوداء وقمصانًا ذات ألوان زاهية. ولم يكونوا يسيرون بتصميم متجهم فحسب، بل كانوا جميعًا يتحدثون في نفس الوقت، وقد استغرق جاك بعض الوقت ليدرك أنهم كانوا يستخدمون هواتفهم، ويتحدثون عبر مكبرات الصوت المتدلية من سماعاتهم.

أنهى شرابه وكان على وشك الذهاب الى الداخل في هذا المساء، عندما رصد جارته -كان اسمها قد فر من ذاكرته بالفعل- وهي تمشي بمحاذاة الرصيف. كانت لتلفت نظره، حتى لو لم يكن يعرفها. أولًا، لم تكن ترتدي ملابس رياضية. كانت ترتدي الجينز وكنزة عالية الياقة، وكانت تمشي ببطء،

وهي تنظر عاليًا إلى الأوراق التي لا تزال معلقة بالأشجار. لم تكن ترتدي حتى سماعات الأذن.

قال: «مرحبًا»، وعندما بدا أنها لم تسمعه، قالها مرة أخرى بصوت أعلى.

قفزت قليلًا، ثم أدارت رأسها قائلة: «لقد أخفتني، لقد كنت غارقةً تمامًا في أفكاري».

- أرجوكِ عودي إليها، أنا آسف لأنني قاطعتكِ.
- يا إلهي، كلا. إذا عرفت أفكاري، فلن ترغب في أن تنغمس فيها. أنا لم أرك هناك. لقد كنت مندمجًا في جانب منزلك.

نظر جاك إلى نفسه. كان يرتدي سروالًا بنيًا، وسترة صوفية ذات لون بني محمر وقد أدرك الآن أنه ربما كان مستترًا خلف الجزء الخارجي المبني من القرميد.

قال: «صحيح. كنت على وشك الدخول والحصول على مشروب آخر. هلا انضممتِ إليَّ على مقعدي؟».

هزَّت جارته، التي صعدت إلى حديقته، كتفيها وقالت إنها ستفعل.

سأل، وهو لا يزال يحاول أن يأتي باسمها: «ماذا يمكن أن أحضر لكِ؟».

- ماذا كنت تحتسي؟
- الجِنْ مع مكعبات الثلج، والذي يبدو مشروبًا خطيرًا للغاية في ليلة الأحد، إنني أدرك ذلك الآن.
- إنه كذلك. رغم هذا إذا كان لديك بعض التونيك[1]، فسوف أحتسي مشروب الجن مع التونيك.
- أظن أنه ربما يكون لدي.

عندما عاد جاك مع مشروبين من الجن والتونيك، كانت تجلس على المقعد في انتظاره. ناولها الكأس، وقالت: «ربما أضطر إلى تركك فجأة. لقد ذهب زوجي إلى المكتب اليوم، ومن المقرر أن يعود قريبًا، لذا آمل ألا تمانع...».

---

(1) ماء التونيك (أو ماء التونيك الهندي) هو مشروب غازي مكربن تذوب فيه مادة الكينين. وقد كان يُستخدم ماء التونيك في الأساس كعلاج وقائي ضد مرض الملاريا، ولكن انخفض محتوى مادة الكينين به بدرجة كبيرة الآن وبات يُشرب لمذاقه المرّ المميز. وكثيرًا ما يضاف إلى المشروبات المختلطة، وخصوصًا إلى مشروب الجن والتونيك.

- أعدكِ أنني لن أشعر بالإهانة عندما ترحلين. هذه بقعة جيدة. ستكونين قادرةً على رؤيته من هنا حين يصل.

«سأفعل»، قالتها، وأخذت رشفة من مشروبها.

قال جاك: «أشعر بالحرج من الاعتراف بذلك، لكنني نسيت اسمكِ بالفعل. إنني ألوم الشيخوخة».

قالت: «إنه مارجريت. وأنت بالكاد تبدو عجوزًا».

- مارجريت. هذا صحيح. وهل هذا ما يدعوكِ به الناس؟ أم أن لديك لقبًا ما؟

- أعتقد أنني مارجريت الوحيدة المتبقية في العالم. فأنا لست ماجي أو ميجان أو ميج.

قال جاك: «أو بيج».

- صحيح، أو بيج، رغم أنني لا أظن بأن هناك من يُدعَى بيج في هذه الأيام. كلا إنني مارجريت فحسب. لقد كان لدي صديق في الكلية يدعوني بماجي وقد أحببت هذا في ذلك الوقت، لكننا انفصلنا بعد ذلك...

- ولا مزيد من (ماجي).

- هذا صحيح.

كانا صامتين للحظة، وكان كلاهما يحتسي مشروبه. قال جاك: «هل يعمل زوجك دائمًا أيام الأحد؟».

- إنه طموح، وهو يقول إنه إذا ذهب أيام الأحد، فبإمكانه إنجاز المزيد من العمل في ثماني ساعات أكثر مما ينجزه في الأسبوع بأكمله. إنني لا أمانع. لقد قضيت اليوم في القراءة، ثم قررت أنني بحاجة إلى ممارسة بعض التمارين. يجب أن تقابله. لقد أخبرته عنك، وقد قام بالبحث عن كتابك وقال إنه حتمًا يتذكره. لماذا لا تأتي لتناول العشاء؟

قال جاك وقد تفاجأ قليلًا بمدى سرعتها في التحدث: «أوه. سيكون من دواعي سروري تناول العشاء معكِ وزوجكِ».

- حسنًا. دعني أفكر. ماذا عن ليلة الخميس القادم؟ هل تعتقد أن ذلك سيكون مناسبًا؟

- أعلم أنه من المفترض بي الآن أن أتلعثم وأحاول التظاهر بأنني أقوم ذهنيًا بالتحقق من جميع ارتباطاتي الاجتماعية القادمة، لكنني واثق تمامًا من أنني متفرغ يوم الخميس. سيسعدني المجيء.

- عظيم. فلتحضر في الساعة السادسة. أعلم أن هذا مبكرٌ بعض الشيء، لكننا نميل إلى تناول الطعام مبكرًا. وهل هناك أي شيء لا تأكله؟

- إنني آكل كل شيء ما عدا الأخطبوط، لكنني أشك بطريقة ما في أنكِ كنت تفكرين في طهي أخطبوط.

- لماذا لا تأكل الأخطبوط؟

- إن مذاقها جيد للغاية، لكنني شاهدت فيلمًا وثائقيًا عنها، ووقعت في حبها نوعًا ما. إنها ذكية للغاية وغامضة تمامًا. أنا فقط لا أستطيع تحمل ذلك. أعني، أعلم أن الخنازير ذكية، وأن الدجاج يمكنه الارتباط بالناس، وكل ذلك، لكن بطريقة ما، الأمر مختلف. أو أنني مجرد منافق.

- هذا عادل بما يكفي. لا أخطبوط. ولا داعي لإحضار أي شيء فيما عدا نفسك. وفي اللحظة المناسبة تمامًا، ها هو قد وصل.

كانت تنظر إلى الشارع، حيث كانت سيارة دفع رباعي سوداء تتجه نحو ممر السيارات الخاص بها. خرج منها رجل حسن المظهر يرتدي ما بدا لجاك أشبه بملابس الجولف. سروال تشينو بقصة ضيقة وقميص بولو مدسوس به. أنهت مارجريت شرابها سريعًا، وناولت جاك الكأس، ثم نهضت واقفة. خطت بضع خطوات للخروج إلى حديقة جاك الأمامية، ثم لوحت لزوجها. سار باتجاههما، واعتقد جاك أن مارجريت بدت متوترة.

- جاك، هذا إريك. إريك، هذا هو جارنا الذي حدثتك عنه. الذي ألَّفَ الكتاب.

وقف جاك وصافح يد إريك. كان قد تأهب للقبضة القوية لخبير مالي شاب لكنه كان لا يزال مصدومًا من مدى إيلامها فعليًا.

قال إريك: «نعم، لقد أخبرتني عن كتابك، لكنها لم تستطع إخباري بأي شيء عن محتواه بالطبع. لقد بحثت عنك. ستة أشهر على قائمة «التايمز» للكتب الأكثر مبيعًا. هذا ليس بقليل».

قال جاك: «كان ذلك منذ وقت طويل».

قالت مارجريت وهي تتطلع إلى ملامح إريك من الجانب: «سيأتي جاك إلى منزلنا لتناول العشاء ليلة الخميس. لقد تم التخطيط لكل شيء. لن يكون هناك أخطبوط في القائمة».

«صحيح»، قالها إريك وهو يعقد حاجبيه لجاك كما لو كانا صديقين قديمين، وكانت مارجريت هي الغريبة التي تفوهت بأشياء غريبة.

- لقد سألتني مارجريت عما آكله، وقلت لها إنني آكل أي شيء باستثناء الأخطبوط.

- أوه، يا رجل. هل ذهبت إلى ذلك المكان الإسباني في وسط المدينة؟ إنه يدعى شيء ما شيء ما تاباس بار. الأخطبوط هناك لذيذ للغاية. سوف تغير رأيك، أعدك.

شبكت مارجريت ذراعها بذراع إريك وقالت: «دعنا نترك جاك وشأنه الآن. فأنا بحاجة للبدء في إعداد العشاء على أي حال».

التفت إليها زوجها، وقال: «هل كنت تحتسين الشراب؟».

ووجد جاك نفسه يركز نظره على الأوتار في رقبة إريك.

- تناولت مشروبًا واحدًا، بفضل ضيافة جاك.

- تفوح منكِ رائحة الجن. ماذا ستصنعين على العشاء؟

- تعالَ معي، وسأخبرك. جاك، شكرًا على الشراب. إننا نتطلع إلى يوم الخميس.

استدارا وشقا طريقهما نحو منزلهما، ووقف جاك في مكانه لبعض الوقت، وهو يشعر بحزن مفرط.

عندما عاد إلى المنزل راح يتنقل من غرفة إلى أخرى، ويشعل الأضواء. كان وقت الغسق الآن قد حلَّ تمامًا، وهو أقل الأوقات تفضيلًا لديه في اليوم، وكان الشيء الوحيد الذي يمنع تلك العتمة من إحباطه هو منزل جيد الإضاءة. وفي المطبخ فتح ثلاجته، متسائلًا عما قد يتناوله على العشاء، على الرغم من أنه شعر في الغالب بالرغبة في تناول مشروب جن آخر.

***

(4)

الاثنين، 19 سبتمبر، 10:06 صباحًا

كانت جيسيكا تنظر إلى حقيبة سفرها، التي كانت تقبع فوق طاولة القهوة الخاصة بها. كانت ترتدي بنطالًا رياضيًا وكنزة رياضية بغطاء للرأس. وكانت ستستغرق ثماني ساعات على الأقل بالسيارة للوصول إلى كوخ جوين في مين، وأرادت أن تشعر بالراحة.

اتخذت قرارًا مفاجئًا، ذهبت إلى مكتبها، وفتحت الخزانة، ووجدت صندوقًا كبيرًا من الورق المقوى مليئًا بالأوراق القديمة التي كانت تنوي تمزيقها قبل ستة أشهر تقريبًا من الآن. قامت بإلقاء الأوراق على أرضية الخزانة وأحضرت الصندوق معها إلى غرفة المعيشة، ثم نقلت جميع ملابسها ومستحضرات الزينة إلى الصندوق. كان ذلك أفضل.

كانت قد أغلقت هاتفها الآيفون مسبقًا ووضعته في درج مكتبها. كان من الغريب أن تكون من دونه، لكن حياتها غريبة الآن، بغض النظر عن أي شيء.

التقطت صندوق الكرتون بكلتا ذراعيها، وفتحت بابها على نحو أخرق، خطت إلى الخارج نحو عتبة منزلها الأمامية، وأغلقت الباب خلفها. سارت نحو سيارتها الكامري، ووضعت صندوق الكرتون على المقعد الخلفي، وهي تدرك أنها مراقبة من قبل السيارة السيدان الزرقاء المتوقفة بالقرب من حمام

السباحة المشترك. سارت في اتجاه السيارة وهي تلوح لراكبها. انخفضت النافذة للأسفل عندما اقتربت بما يكفي للتحدث.

- فقط أحيطك علمًا بأنني متجهة إلى المكتب لأوصل بعض الأشياء. ثم سأعود مباشرة إلى هنا.

كان الرجل الذي في مقعد السائق مألوفًا لها باعتباره عميلًا جديدًا في مكتبها. كان يمتلك الأكتاف العريضة والعينين المتباعدتين لعضو سابق بالجيش.

- إنه توقيت جيد في الواقع، فأنا في نهاية ورديتي.

- هل لاحظت أي شيء الليلة الماضية؟

- فقط سباح عار في وقت متأخر من الليل.

ضحكت جيسيكا وقالت: «أنت تقصد بوب. هذا ما يفعله كل ليلة في منتصف الليل وحتى شهر أكتوبر تقريبًا. آسفة لأنك اضطررت لمشاهدة ذلك».

- وأنا كذلك.

- هل أنت عائد إلى المكتب؟

- سأتبعكِ إلى هناك، ثم سأعيد السيارة. ستقومين بتسجيل الوصول مع العميل برلين، أليس كذلك؟

- سأفعل.

قادت جيسيكا سيارتها متوجهة إلى المكتب، وهي تراقب العميل الذي يتبعها في الخلف. توقفت في ساحة الزوار، وانحرف هو بعيدًا ليوقف السيارة حيث يتم الاحتفاظ بسيارات الشركة، اندفعت بالسيارة في حركة دائرية واستدارت منعطفةً للخلف وخرجت من الساحة. ثم اتجهت شمالًا على طريق787. كانت قد خططت لشق طريقها عبر فيرمونت ثم نيو هامبشاير ومنها إلى مين، مبتعدةً عن الطرق ذات الرسوم. كانت قد أحضرت معها أطلس الطريق القديم وكانت تتطلع بالفعل إلى العثور على مكان باستخدام خريطة ملموسة بدلًا من(GPS) «نظام تحديد المواقع العالمي».

كانت تائهةً قليلًا حول كونكورد في نيو هامبشاير وتوقفت لتناول طعام الغداء في مطعم. كانت تجلس في مقصورة، في انتظار الهمبرجر الخاص بها

وتحتسي البيبسي، لم يكن لديها صدقًا أي فكرة عما يجب أن تفعله من دون هاتفها. عادةً كانت لتقوم باستعراض الأخبار أو لعب لعبة ثريز أو التحقق من الطقس فحسب. شعرت بأنها غير مقيدة، وبدلًا من ذلك قامت بالتركيز على ما كان حولها، الطاولة البالية المصنوعة من الفينيل، النادلة ذات العرج الملحوظ، الزوجان الأكبر سنًا اللذان يتناولان الحساء معًا بصمت. تساءلت عما سيكون عليه الحال في مين في كوخ جوين. كانت تعلم أن به إنترنت لاسلكي، وقد أحضرت جهاز الحاسوب المحمول الخاص بها حتى تتمكن من متابعة أي معلومات عامة تم الإبلاغ عنها حول الأشخاص الموجودين في القائمة. الشيء المحدد الوحيد الذي خططت لفعله هو الاتصال بوالد آرثر كروز، ومعرفة ما إذا كان يعرف والدها. وبخلاف هذا الجانب من التحقيق، لم تكن تعرف ما هي خططها، باستثناء كونها خفية حتى يتم القبض على القاتل. كانت تأمل أن يكون هناك بعض الكتب الجيدة في الكوخ، لأنها أغفلت بغباء أن تحزم أيًا منها.

بعد أن تناولت الهمبرجر الخاص بها، خرجت جيسيكا عائدة إلى سيارتها، ودرست الخريطة، مستكشفةً الطريق الأفضل. كانت السماء قد بدأت تمطر، والتف ضباب رقيق في الهواء، ليجعل كل شيء غير واضح قليلًا. وجدت محطة إذاعية جامعية كانت تعزف أغنية لـفاليري جون، وضعت المسَّاحات على أبطأ سرعة وانطلقت إلى مين.

***

وصلت إلى الكوخ في شبه جزيرة سانت جورج بعد الغسق مباشرة. تحول المطر الرقيق إلى طبقات غزيرة ورياح شديدة. أوقفت السيارة في أقرب مكان ممكن من الباب الأمامي للكوخ الخشبي، لكنها استغرقت خمس دقائق للعثور على المفتاح الذي كان مختبئًا تحت صخرة على شكل قلب بمحاذاة الحديقة الأمامية. كانت مبتلَّة كليًا وترتجف بحلول الوقت الذي كانت فيه بالداخل مع صندوق ملابسها. قبل أن تستكشف المنزل، خلعت ملابسها وأخذت دشًا ساخنًا لفترة طويلة في حمام الطابق السفلي. بعد ذلك، ارتدت لباس نوم من الفانيلا، وأفرغت محتويات صندوقها، ثم ذهبت وبحثت في المطبخ عن شيء لتأكله. كانت الثلاجة ملأى في الغالب بالتوابل، ورغم ذلك

كانت هناك زجاجة جعة واحدة والتي اتضح بعد أن أخذت منها رشفة غير سارة بشكل صادم، أنه نبيذ تفاح. في إحدى الخزانات كانت هناك علبة من حساء الزفاف الإيطالي، وقد قامت بتسخينها في مقلاة. هذا الحساء مع نبيذ التفاح سوف يكونان عشاءها.

كان الكوخ المكون من غرفتي نوم صغيرًا، وله عوارض سقف مكشوفة مطلية باللون الأبيض، والكثير من اللوحات التجريدية على الحائط والتي عند التمعن فيها بدقة بدت جميعها مناظر بحرية. أفرغت جيسيكا أمتعتها في الغرفة الأكبر، ثم ذهبت لتتفقَّد رف الكتب في بهو الطابق العلوي من أجل الحصول على شيء تقرأه. كانت تحب عادةً روايات الغموض والإثارة، لكن معظم كتب جوين كانت خيالًا أدبيًا معاصرًا. سحبت كتابًا بعنوان شائق يُدعى «بدأت مبكرًا، أخذت كلبي» وقررت إعطاءه فرصة. قرأت ربع الكتاب وهي مندسة في الفراش غير المألوف، ثم أطفأت المصباح المجاور للسرير، واستمعت إلى الرياح طوال الساعة التي استغرقتها للإخلاد إلى نوم عصبي غير عميق.







(5)

الاثنين، 19 سبتمبر، 3:33 مساءً

قالت كلارا: «مرحبًا أيها المحقق».

تفاجأ سام هاميلتون برؤيتها خلف مكتب استقبال منتجع ويندوارد. إن آخر مرة التقى فيها كلارا كانت تعمل نادلة في نزل «كينويك هاربور إن».

قال لها: «هل عدت إلى هنا الآن، كلارا؟».

- أنا أحل محل كارين فقط لأنها في إجازة، إنني ما زلت في النزل أيضًا.

- هل المكان مزدحم هناك؟

- في النزل؟ لقد كان جنونيًا. أما هنا، فليس كثيرًا.

لاحظ سام الرائحة العطنة قليلًا لويندوارد في أثناء سيره عبر المشمع البالي للوصول إلى مكتب الاستقبال. لقد افترض أن الشيء الوحيد الذي يُبقي الفندق القديم في العمل كان إصرار مالكه. الآن بعد أن رحل، فهو يشك في أن يظل ويندوارد مفتوحًا لمدة عام.

عرف سام معظم سكان كينويك على مدار العام، على الأقل بالنظر إن لم يكن بالاسم، لكنه كان يعرف كلارا تحديدًا بشكل جيد لأنها تعقبته خلسة لمدة يومين منذ نحو ثمانية أعوام، عندما كانت مراسلة في جريدة مدرسة كينويك الثانوية في عامها الدراسي الأخير. كان يعلم أنها ارتادت جامعة بوسطن لدراسة الصحافة، ولكنها عادت إلى المدينة قبل عامين وعملت أولًا في منتجع

ويندوارد، ثم نادلة في كينويك هاربور إن. كانت الشائعات تقول إنها قد عادت إلى كينويك بسبب براد رومر، وهو مواطن محلي آخر لم يكن جيدًا بما يكفي لها.

- كلارا، هل تعتقدين أن بإمكاني إلقاء نظرة على مكتب فرانك؟ أنا متأكد من أن شرطة الولاية مرت بذلك، لكنني فكرت في إلقاء نظرة بنفسي.

هزت كتفيها وقالت: «لا مشكلة لدي. أنت تعرف مكانه، أليس كذلك؟ لا أعتقد أنك ستجده مغلقًا».

- نعم، أعرف.

بدأ سام بالسير في اتجاه الردهة المؤدية إلى مكتب فرانك الخلفي، لكنه توقف، وقال: «هل توجد أي ثرثرة هنا؟ حول وفاة فرانك؟».

عبست كلارا بينما فكرت في السؤال، وفكر فرانك كم كانت تبدو مثل والدتها جون، وهي واحدة من دائرة سكان كينويك الذين يتناوبون على دور ثمل المدينة المثير للجدل.

- تقصد، مثل مَن أراد قتله؟

- هذه نقطة جيدة للبدء بها.

- لا أحد، على ما أظن. لقد كان الجميع يحب فرانك.

قال سام: «حسنًا».

بدت كلارا وكأنها ما زالت تفكر، لذلك قال سام: «وماذا عن العلاقات العاطفية؟».

تجهمت قليلًا، وقالت: «فرانك؟ لا أظن ذلك. لقد كان معجبًا بشيلي، لكن هذه كانت علاقة من طرف واحد بالتأكيد. كلا، أنا آسفة يا سام، لا أعتقد أن بإمكاني مساعدتك».

- ستخبرينني إذا سمعتِ بأي شيء.

- سأفعل، لكن الشائعات الوحيدة التي تدور ليست تلك التي قد تكون مهتمًا بها.

قال سام: «ماذا تعنين؟».

- أوه، تقول الشائعة الكبيرة إن منتجع ويندوارد مسكون بالأشباح. يبدو أنك لم تكن تعرف ذلك.

- كلا.

- حسنا، هذا ما يقوله الموظفون. هناك روائح وهمية في الطابق الثاني من الملحق، أنت تعرف عن أي مكان أتحدث، ويبدو أن اثنتين من عاملات التنظيف تدعيان أن هناك شبحًا في قاعة الرقص القديمة.

- اممم.

قالت كلارا: «أجل، لم أعتقد أنك ستكون مهتمًا جدًا».

كانت تتكئ الآن على كرسي دوار مرتفع خلف المكتب. اعتقد سام أن وجهها قد بدا منتفخًا بعض الشيء.

- ما علاقة شائعات الأشباح هذه بمقتل فرانك على الشاطئ؟

- هل تعرف ميلانا؟ إنها واحدة من عاملات النظافة. لقد قالت إن الأشباح طاردته وجعلته ينزل إلى هناك ويغرق نفسه.

قامت كلارا بتقليد لكنة أوروبا الشرقية.

- ليس إلا إذا كان هذا الشبح قد أمسك به من الخلف ودفعه في الماء.

تجهمت كلارا مرة أخرى، واعتذر سام قبل أن يشق طريقه إلى مكتب فرانك.

كانت مساحة المكتب صغيرة، والتي أصبحت ضيقة أكثر بسبب الصناديق المكدسة مقابل كل جدار. كان هناك مكتب واحد، وكرسي واحد، وكان المكتب مثقلًا بالأوراق. لم تكن لديه فكرة من أين يبدأ، قرر سام أن يجلس في كرسي المكتب المنجد، حيث كان فرانك يجلس طوال تلك الأعوام. فتح سام الدرج الأوسط، الذي كان مكتظًا بفواتير قديمة وزجاجات براندي صغيرة، معظمها فارغ وبعضها ما زال محكم الإغلاق. كانت الأدراج الأخرى مكتظة بأوراق أيضًا، جميعها على ما يبدو مرتبطة بإدارة الفندق. سام، الذي لم يكن حتى مكلفًا رسميًا بهذه القضية، لم تكن لديه الطاقة اللازمة تمامًا للخوض في هذه الأكوام. قام بسحب حزمة واحدة من ورق ذي لون أصفر باهت سميك محاط برباط مطاطي محشور أسفل جانب الدرج الأكبر؛ تفتت الرباط المطاطي

الذي كان متيبسًا تمامًا عندما سحبه، وكان ينظر إلى مجموعة من القوائم المصفرة من عشاء أمسية عيد الميلاد في عام 1986. كوكتيل الجمبري، ثم لحم بقر ويلينجتون. اجتاحت سام موجة من الحزن بسبب مرور الزمن، متسائلًا عما إذا كان هناك أي شخص يتذكر هذا العشاء بالذات. هل حدث أي شيء ذو أهمية؟ علاقات عاطفية؟ انفصالات؟ كم من ضيوفه ما زالوا على قيد الحياة؟

أعاد القوائم إلى حيث وجدها وحدق إلى الأمام مباشرةً. كانت هناك لوحة منشورات متكئة على سطح المكتب وفي مقابلة الحائط. ومثل كل شيء آخر في هذا المكتب كانت مكتظة بالأعمال الفندقية: إيصالات قديمة؛ أوراق الملاحظات اللاصقة، وطلبات التوظيف. كانت معظمها موضوعة في هيئة طبقات فوق بعضها، ولكن كانت هناك صورة واحدة مثبتة في لوحة المنشورات، وعلى الرغم من أنها كانت مغطاة جزئيًا على طول حوافها، فإنه كان من الواضح أن فرانك لم يرغب في تغطيتها بالكامل. انتزعها سام من اللوحة. كانت صورة عائلية بالأبيض والأسود، وكانت باهتة بعض الشيء. كانت تظهر زوجين شابين، الرجل يرتدي حلة وقبعة، والمرأة ترتدي فستانًا صيفيًا منقَّطًا. وكان بينهما طفلان، فتاة ربما كانت في الثانية عشرة من عمرها، وصبي أصغر يبلغ من العمر تقريبًا ثمانية أعوام. كان الصبي متجهمًا قليلًا، كما لو كان مضطرًا أن يقف لفترة أطول قليلًا من أجل هذه الصورة بالذات. كان من الواضح أنه فرانك، إن وجهه لم يتغير كثيرًا طوال سنوات حياته، وكان من الواضح أن هذين هما والداه، المالكان الأصليان للفندق. كانوا يقفون أمام المدخل الرئيسي لويندوارد، وكانت اللافتة الخشبية المنحوتة كما هي دون تغيير.

جلس سام ساكنًا لبعض الوقت دون حراك يفكر، بينما الصورة في حجره.

فكَّر: (يوجد سبب لكل هذا. إن القائمة ليست عرضية وليست من قبيل المصادفة. ولقد قُتِل فرانك أولًا). في الحقيقة، لقد سلم القاتل القائمة بيده إلى فرانك مباشرة، وتركه يفتحها، ثم قام بقتله. لم يسع سام إلا أن يفكر في أن شيئًا ما قد فعله فرانك، أو شيئًا ما تم فعله به، كان جوهريًا في معرفة ما كان يحدث.

وما استنتجه سام من الصورة هو أن حياة فرانك، على عكس معظم الناس هذه الأيام، قد قضاها بالكامل في مكان واحد، هنا في كينويك، بولاية مين، في منتجع ويندوارد. وقد جعل ذلك سام يفكر بأن الإجابة على كل ما يحدث قد تكون موجودةً هنا، في هذا الفندق المتهالك، حيث قضى فرانك حياته. لقد فكر في الأشباح التي لا يراها إلا عمال النظافة الأجانب، وفكر في جميع الأشخاص الذين أقاموا هنا على مدار الأعوام الطويلة. سيكونون بالآلاف بالتأكيد. هل سيكونون مئات الآلاف؟

أعاد سام الصورة إلى لوحة المنشورات، دافعًا المسمار للخلف خلال الثقب الموجود مسبقًا عند حافتها العلوية. وتساءل عن شقيقة فرانك الكبرى، وعما إذا كانت لا تزال على قيد الحياة.

***

(6)

الاثنين، 19 سبتمبر، 4:35 مساءً

مرت عدة أشهر منذ أن تلقى تود فيشر مكالمة هاتفية من المرأة التي يعرفها باسم ليندا فقط. لقد تخيل أن ليندا على الأرجح قد تلقت مكالمة هاتفية من شخص ما، ربما شخص يدعى فريد، فقط الاسم الأول وصوت عبر الهاتف. وأخبر فريد ليندا أن تتصل به. معلومات يتم تمريرها عبر سلسلة من الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم بعضًا، وكلهم يتحدثون على هواتف محمولة غير مسجلة.

الشيء الغريب بشأن ليندا أنها كانت تبدو سعيدة دائمًا لسماع صوته، كما لو كانا صديقين قديمين، أو ربما مجرد زملاء عمل ودودين، وقد خمن أنهما كانا كذلك بطريقة ما.

قالت: «مرحبًا. ليندا تتحدث».

لم تستخدم اسمه قط، ربما لأنها لم تكن تعرفه. لقد كان بالنسبة إليها رقم هاتف وصوت.

قال فيشر: «لقد مضى وقت طويل».

قالت ليندا: «أعلم، أليس كذلك؟».

فيشر، الذي كان يشاهد ابنه الأصغر يلعب كرة القدم في حقل ضبابي على بعد بلدتين من حيث يقطنان، لم يقل شيئًا، ثم أضافت في النهاية: «هل لديك قلم رصاص في متناول يدك؟».

كانت دائمًا ما تسأله عن ذلك، وكان فيشر دائمًا ما يقول: «بالطبع»، رغم أن ما كان لديه هي ذاكرة جيدة للغاية.

- حسنًا إذن. جيسيكا البيرتس وينسلو. سأتهجّاها لك فقط تحسبًا.

وبينما كانت تتَهجّى الاسم، راح فيشر يتصور الحروف وهي تُكتب على سبورة. بمجرد أن أصبح الاسم هناك، عرف أنه لن ينساه أبدًا.

- تاريخ ميلادها هو 3 ديسمبر 1975، وعنوانها الحالي هو 17 طريق تماراك ميدو، في مدينة ثورنتون، نيويورك. خارج ألباني مباشرة.

قال فيشر: «حسنًا، فهمت».

ولأنه كان يقف على بعد خمسة عشر ياردة تقريبًا من ملعب كرة القدم، أصبح من المستحيل معرفة أي من لاعبي كرة القدم المصغرين باللونين الأسود والأحمر هو ابنه جيروم. ورغم ذلك، استطاع أن يعرف أن فريق ابنه (ذا تروجان)، قد تخلى عن إحراز هدف.

- إنها عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي من مكتب ألباني الميداني.

كانت هناك علامة استفهام طفيفة في صوت ليندا تجاهلها فيشر.

قال: «حسنًا».

- لكن الأمر هو، أنها ليست في نيويورك حاليًا. يعتقد العميل أنها في مين لكنه لا يعرف مكانها في مين بالتحديد. لقد تم تعقبها، لكن فقد أثرها في مكان ما على طول الطريق 1 شمال توماستون وروكلاند. إنها تقود سيارة تويوتا كامري بيضاء، موديل 2012، ورقم لوحتها هو ...

قال فيشر: «صبرًا ليندا، أمهليني لحظة».

أجل، كانت ذاكرته جيدة جدًا، لكنه لم يكن متأكدًا من أنه قد حفظ رقم لوحة سيارتها بشكل صحيح، إلى جانب كل هذه المعلومات الأخرى. هرول إلى سوزي ماريس، وهي أم لم تفوت قط أي مباراة من مباريات ابنها، وامرأة كانت تحمل حقيبة بحجم الديك الرومي في عيد الشكر. لقد كان متأكدًا من أنها تمتلك قلمًا وورقة في مكان ما في هذه الحقيبة. وقد فعلت، ثم عاد إلى حيث كان يقف ودوَّن الرقم.

قالت ليندا: «هل أنت مستعد للجزء الجيد؟».

قال: «أنا مستعد دائمًا».

- خمسة عشر ألفًا سيتم إرسالها إلى حسابك مباشرةً عند قبول المهمة. خمسة وثلاثون ألفًا عند الانتهاء. هذا ليس بقليل.

قال: «ليس بقليل. هل هناك أي تعليمات خاصة؟».

- في الواقع أجل. كلمة واحدة. دونَ ألم.

قالت ذلك بصوت خافت قليلًا، كما لو كانت تخبره باسم قطتها.

قال: «حسنًا، فهمت». لم يكن ذلك مصدر قلق. فلقد كان «دون ألم» هو تخصصه.

- هل تقبل، أم تريد بعض الوقت لتفكر في الأمر؟

- ما هو الإطار الزمني المحدد؟

- أوه، آسفة. لقد نسيت بشأن ذلك. كل ما يقال هو بأسرع وقت ممكن. وإلى جانب ذلك لا يوجد جدول زمني محدد.

- حسنًا.

- حسنًا، هل تقبل؟

قال فيشر: «بالتأكيد».

- عظيم.

قالت ليندا وامتلأ صوتها بسعادة حقيقية، رغم أنه لم يسبق لفيشر أن رفض مهمة من قبل.

قالت: «هل لديك كل التفاصيل؟».

- لدي جميع التفاصيل، ليندا، شكرًا.

***

في ذلك المساء، بعد أن نامت زوجته فاليري على الأريكة وهي تشاهد برنامجًا عن تصميم المنازل، نزل فيشر إلى مكتبه في القبو مكتمل التشطيب. قام بتشغيل الحاسوب الذي كان يستخدمه في مهامه وحصل على القليل من المعلومات الإضافية عن جيسيكا وينسلو، بما في ذلك صورة لها من صفحتها على موقع (linked In لينكد إن). كان يعتقد أنه من العجيب مدى السرعة التي توصل بها إلى صورة لها، لكنه كان يعرف العديد من أفراد قوات الأمن والشيء الوحيد المشترك بينهم جميعًا هو شعورهم بأنهم لا يقهرون. بالنظر

إلى الصورة، أدرك، بطريقة خالية من العاطفة، أنها كانت جميلة جدًا، وليست مختلفة كثيرًا عن زوجته جسديًا. لقد كان لها نفس لون البشرة، عظام وجنتين عاليتين، عينان بنيتان فاتحتا اللون. ولم يجعله ذلك يشعر بأي شيء على وجه الخصوص باستثناء ربما القليل من الاهتمام. لقد تساءل عما إذا كانت قد خدمت في الجيش كما فعل هو وزوجته. لقد كانت تمتلك تلك النظرة. وتساءل عما إذا كان لديها عائلة، وربما أطفال. تساءل عن هذه الأشياء بنفس الطريقة التي قد يتساءل بها عن شخص كان يقرأ نعيه. كان ينظر إلى امرأة ميتة. لقد كانت ميتة في اللحظة التي قَبِل فيها المهمة، وبسبب هذه الحقيقة قد تحسن أمان أسرته وأحوالهم الاقتصادية وما خلاف ذلك. هكذا كانت تسير الأمور، ولطالما سارت على هذا النحو.

وجد فيشر صورة أخرى لجيسيكا، كانت هذه الصورة من صحيفة مدينة صغيرة، حيث أُطلق عليها فيها رياضي العام بالمدرسة الثانوية في لعبة كرة القدم. كانت تقف وحيدة على أرض الملعب، مرتدية زيًا بنيَّ اللون، وتضع قدمها فوق كرة القدم. بالنظر إلى الصورة، وتذكر ملامحها، أخذ يفكر أكثر بشأن المعادلة بين وفاتها، وبين أمان عائلته، جزء من الطقوس التي يمر بها في كل مرة يقبل فيها مهمة. لم يكن ذلك شيئًا عسير الفهم. إن الموارد على هذا الكوكب كانت محدودة، حتى وإن لم يكن البشر على وعي بذلك دائمًا. وكان العالم مكانًا قاسيًا غير متسامح، حقيقة أخرى لم يدركها الأمريكيون دائمًا. إما هم وإما أنت، لأنه لم يكن هناك ما يكفي للجميع، والذي كان يعني، لطالما كان يعني، أن عائلتك تحتاج للحماية. لم يكن المال الشيء الوحيد في هذا العالم الذي يمنح الحماية، لكنه كان الشيء الأكثر أهمية. كان فيشر متأكدًا من ذلك.

كان يعلم أن ما يفعله لم يكن أخلاقيًا، ولكن ما فعله في أفغانستان لم يكن أخلاقيًا أيضًا. لقد كانت ببساطة الطريقة التي يعمل بها العالم.

أرسل رسالة نصية إلى ستيف، ليخبره بأنه لن يكون موجودًا في الجوار ليقدم له يد العون في مرأبه خلال الأيام القليلة المقبلة، وتلقَّى رسالة نصية على الفور تفيد بأن ذلك لن يشكل مشكلة. ثم استعاد فيشر المفتاح المخبأ خلف صندوق الكهرباء وذهب لفتح خزانة سلاحه.

***

(7)

يوم الاثنين، 19 سبتمبر، الساعة 10:46 مساءً

بعد أن شاهد فيلم (Boyhood) «الصبا» مع صديقته ميجان، ذهب إيثان إلى حانة كانت تحبها في شمال أوستن. أخذا يتحدثان عن الفيلم الذي كانت قد أحبته بينما حاول إيثان أن يتحمَّله. حسنًا، أكثر من أن يتحمله على ما يظن. كل ما في الأمر أن الفيلم قد ذكَّره بطفولته، وتركه يشعر بالاكتئاب والانزعاج. كانت ميجان تحتسي التكيلا، وكان هو يحتسي جعة من البرميل والتي تساوي ثلاثة دولارات، وقد جعلته يشعر بالنعاس. وعندما صادفت ميجان بعض الأصدقاء الذين كانت تعرفهم، اعتذر منهم وعاد إلى المنزل، على الرغم من أن الوقت كان مبكرًا.

كانت كارولين قد أرسلت له رسالة نصية بعد ظهر ذلك اليوم تخبره فيها بأنها كانت تتناول العشاء مع زملائها، وكان يشعر بالغيرة بشكل غريب. لقد حدث نفسه بأنه لن يرسل لها رسالة أخرى حتى اليوم اللاحق، لكنه لم يستطع تمالك نفسه. وبعد أن استلقى في فراشه ومعه كتاب جون بريمان (The Dream Songs) «أغاني الحلم»، نسخة إيثان المتضمنة شرحًا وافيًا، أرسل إليها رسالة نصية سريعة، يسألها عما إذا كانت في المنزل بعد. وبعد خمس دقائق، ردت برسالة نصية: «لقد وصلت للتو. وأنت؟».

رد قائلًا: «الشيء نفسه».

ثم، قبل أن يفقد أعصابه، كتب بسرعة: «هل يمكنني الاتصال بكِ؟».

لم يكن قد سبق لهما التحدث على الهاتف قط.

بعد نحو ثلاثين ثانية طويلة للغاية، كتبت ردًا: «هل أنت متأكد من أننا مستعدان لهذه الخطوة؟».

ثم أرسلت رمزًا تعبيريًا، وجهًا ضاحكًا، وهو شيء لم تفعله قط.

- من الواضح أنكِ تشعرين بالارتباك لأنكِ لجأت إلى رمز تعبيري.

ردت قائلة: «هاها». ثم أضافت: «بالتأكيد، اتصل بي».

جلس إيثان في فراشه، مسندًا الوسائد خلفه، وأجرى المكالمة.

قالت بصوت أعمق قليلًا مما كان يتخيله: «مرحبًا».

- أهلًا. شكرًا لسماحك لي بالاتصال.

وتساءل عن رأيها في صوته، الذي بدا غبيًا إلى حد ما في رأسه في الوقت الراهن.

- هل أنت على وشك أن تخبرني بشيء خطير؟ لقد شعرت بالقلق فجأة.

- لا لا. لقد اعتقدت فقط أننا كنا نتراسل كثيرًا، وأردت سماع صوتكِ. هل هذا شيء غريب؟

قالت كارولين: «كل شيء غريب في الوقت الراهن. ألا تعتقد ذلك؟».

- تقصدين بسبب حماية الشرطة؟ إنني بالكاد ألاحظها الآن. في بعض الأحيان لا أراها.

- أنا أراها، لأنني لا أذهب إلى أي مكان جديد مطلقًا. إنهم يوقفون سياراتهم في نفس المكان في الشارع المقابل لي.

- لقد ذهبتِ إلى مكان جديد الليلة.

- هذا صحيح، لقد فعلت. وأردت أن أخبر الجميع عن الأمر في حفل العشاء، لكنني لم أفعل. هل تخبر الناس؟

- كلا. أعني، هذا ليس صحيحًا تمامًا. لقد أخبرت صديقتي هانا، لكن ذلك كان في وقت متأخر من الليل ولست متأكدًا من أنها صدقتني. رغم ذلك، فلقد طلب مني تشارلي أن أحتفظ بالأمر لنفسي.

- من يكون تشارلي؟

- أوه، آسف. إنه ضابط الشرطة المسؤول عن حمايتي.

- هل تدعوه باسمه الأول؟

- أجل أفعل. لقد أصبح صديقي. بماذا تنادين ضابط الشرطة الخاص بك؟

- الضابط هانلي. إنها لطيفة لكنها جادة للغاية، ولا أستطيع أن أتخيل مناداتها باسمها الأول.

- ربما هذا هو الأفضل. إن شخصًا يدعى الضابط هانلي يبدو وكأنه شخص سيحافظ على حياتك. بينما شخص اسمه تشارلي هو الرجل الذي ينزف بجوارك بعد أن يتم إطلاق النار على كليكما.

قالت كارولين: «لكنك ستموت إلى جوار صديقك المفضل الجديد. سيكون ذلك رومانسيًا».

- نعم أنتِ على حق. إذا كنت سأذهب، فأنا أريد تشارلي بجانبي.

كان إيثان قد انزلق لأسفل بطول فراشه واسترخى. وكان الحديث مع كارولين يسير على ما يرام.

قالت: «هل أنت خائف؟».

- من الموت؟

- حسنًا، ليس من الموت فحسب، بل الموت قريبًا. الموت لأننا على القائمة.

- أنا خائف، على ما أظن. كنت خائفًا جدًا عندما أخبروني لأول مرة أنهم سيضعونني تحت حماية الشرطة، لكنني الآن قد اعتدت على ذلك تقريبًا. أيضًا، كنت أبحث في جوجل يوميًا عن الأسماء المدرجة في القائمة بحثًا عن تقارير الوفاة، ولم أرَ اسم أي شخص يظهر منذ ماثيو بومونت.

- إذن أنت لم تر آرثر كروز؟

- ماذا؟

دفع إيثان نفسه لأعلى قليلًا فوق كومة الوسائد.

- رأيته اليوم. كان هناك حفل تأبيني أقيم لآرثر كروز في ماساتشوستس. ولم يكن هناك شيء يتعلق بكيفية موته.

- كيف فاتني ذلك؟

- أعتقد أن الخبر جديد تمامًا. رأيته بعد ظهر هذا اليوم.

- إذن تلك ثلاثة.

قالت كارولين: «نعم، تلك ثلاثة. ثلاثة نعرف بشأنهم، على أي حال. اعتقدت أن هذا هو سبب رغبتك في الاتصال بي».

- لا، أنا فقط... أردت فقط التحدث إليك فعليًا لمرة واحدة، بدلًا من إرسال الرسائل النصية.

- أنا سعيدة لأنك فعلت. من اللطيف سماع صوتك.

- يا إلهي. هل ذكرت المقالة متى لقي حتفه؟

- لا. لا شيء. لقد كانت مجرد إشعار قصير حول حفل تأبينه وكيف أنه كان يعمل ممرض أورام. عليك أن تسأل تشارلي بشأن ذلك. ربما لديه بعض المعلومات.

- تشارلي وأنا لا نتحدث عن العمل معًا. إننا أصدقاء موسيقى أكثر. وأصدقاء في شرب الجعة. إنه يتحدث كثيرًا عن مصانع الجعة الحرفية. إنني سأموت حقًا وتشارلي بجواري، أليس كذلك؟

- يبدو ذلك.

ضحك كلاهما قليلًا، ثم هدأ للحظة.

قال إيثان: «لحظة صمت محرجة».

- لم تكن محرجة. كنا نفكر. ينبغي أن تحتوي المحادثات على المزيد من لحظات الصمت، وليس أقل، على ما أعتقد.

- عميق جدًا، أيتها البروفيسورة.

- شكرًا لك.

قال إيثان: «إذن ماذا عنكِ، هل أنت خائفة من الموت؟».

- أشعر بالتوتر بالتأكيد. لكن الأمر هو، أنني كنت دائمًا متوترة بشأن كل شيء. أشعر بالتوتر بشأن كل فصل أدرسه، وأشعر بالتوتر عندما يحين دوري لتقديم طلبي في المقهى، وأشعر بالتوتر بسبب مكالمتي الأسبوعية مع والدتي، على الرغم من أن كل ما نتحدث عنه هو التلفاز

وما أعدته للعشاء في الليلة السابقة. لكن الآن لدي شيء حقيقي لأكون متوترة بشأنه. إن اسمي مدرج في قائمة أشخاص يبدو أنهم سيموتون، ولا بأس بأن أكون متوترة.

يبدو الأمر كما لو أن مشاعري تتطابق مع الواقع وفجأة أشعر بتحسن. هل يبدو أي من ذلك منطقيًا؟

قال إيثان: «أظن ذلك. فلماذا القلق بشأن طلب القهوة الخاص بكِ بينما يمكنكِ أن تقلقي بشأن تعرضكِ للقتل؟».

- أعتقد أن هذا هو الأمر إلى حد كبير.

- آسف. لم أقصد التقليل من شأن الأمر برمته.

قالت كارولين: «لا، لم تفعل».

لكن كان بإمكان إيثان أن يعرف أن نبرته خففت من المحادثة بطريقة ما.

- أن تكون محكومًا بالموت يضع الأمور في نصابها، على ما أعتقد.

- على الرغم من أننا دائمًا محكومون بالموت.

- بالضبط.

كانت هناك وقفة طفيفة أخرى، وأجبر إيثان نفسه على عدم التعليق عليها. بدلًا من ذلك، قال: «أعلم أنني سألتك عن هذا مسبقًا، لكن هل لديك أي نظريات جديدة حول ماهية الرابط بيننا؟ لماذا نحن جميعًا على هذه القائمة معًا؟».

- لا شيء جديد. أعتقد أن الأمر عشوائي، لقد تم اختيارنا عشوائيًا بطريقة ما.

قال إيثان: «أحدث نظرية تفيد بأن القائمة عبارة عن ستار لإخفاء الحقيقة. فمثلًا ربما أراد شخص ما قتل فرانك هوبكنز، أول من قتل. لذلك يقوم بوضع قائمة بثمانية أشخاص عشوائيين بالإضافة إلى فرانك، ومن ثم يرسل القائمة، ثم يقتل فرانك، وتصبح الشرطة قلقةً للغاية بشأن القائمة لدرجة أنهم يغفلون عن المشتبه به الواضح الجالس أمامهم مباشرةً».

قالت كارولين: «باستثناء أن شخصين آخرين قد توفيا».

- ربما يكون الأمر عشوائيًا. أعني، إذا فكرت في الأمر، فإن أي قائمة مكونة من تسعة أشخاص هي قائمة من تسعة أشخاص سيموتون.

- لكن ليست قائمة بتسعة أشخاص سيُقتلون.

- صحيح.

قالت كارولين: «تلك الحبكة التي وصفتها هي حبكة رواية لأجاثا كريستي، لكن لا يمكنني تذكر أي واحدة كانت».

- إنها من رواية جرائم الأبجدية، إحدى روايات المحقق بوارو.

- هذا صحيح. هل أنت من محبي روايات الغموض والألغاز؟

قال إيثان: «كنت كذلك، حين كنت طفلًا. لقد قرأت جميع كتب أجاثا كريستي، وجميع كتب فليتش، والأب براون، وأشياء من هذا القبيل. ثم اكتشفت تشارلز بوكوفسكي وجاك كيرواك وتوقفت عن قراءة الألغاز».

- لقد قرأت جميع روايات أجاثا كريستي عندما كنت طفلة أيضًا. ولكنني اكتشفت بعد ذلك جين أوستن.

- حسنًا، على الأقل لدينا أجاثا كريستي كرابط مشترك.

- لدينا الكثير من الأشياء المشتركة. كلانا يحب الشعر. لدينا نفس حس الدعابة. ماذا أيضًا؟

- نحن على قائمة للموت؟

قالت كارولين: «نعم، نحن على قائمة للموت».

كان هناك صمت صغير آخر، وأجبر إيثان نفسه على عدم ملئه.

قالت كارولين: «أعتقد أنني يجب أن أخلد للنوم».

- حسنًا. أنا سعيد لأننا تحدثنا عبر الهاتف. كان هذا لطيفًا.

- لقد كان كذلك. كان لطيفًا. الآن لدينا شيء آخر مشترك.

- يتفق كلانا على أن التحدث عبر الهاتف أمر لطيف.

- إنه لشيء قديم الطراز للغاية من قبلنا.

- أجل، فالأطفال اليوم لا يتحدثون حقًا عبر الهاتف.

- إنهم لا يفعلون.

قال إيثان: «هل يمكنني الاتصال بكِ مرة أخرى؟».

- في أي وقت.

***

(8)

الثلاثاء، 20 سبتمبر، 1:03 مساءً

وصل فيشر، الذي كان يقود سيارته شمالًا على طول الطريق 1، إلى ضواحي روكلاند، بولاية مين، وانعطف بسيارته الأكوينوكس في ساحة انتظار كوخ أسماك. كان على وشك البدء في القيادة باتجاه الجنوب عندما قرر أن يضع بعض الطعام في معدته، على الرغم من أنه لم يكن جائعًا بشكل واضح، وأن يعاود الاتصال ببراندون ليرى ما إذا كان قد حصل على مزيد من المعلومات حول المكان الذي قد تكون جيسيكا وينسلو مختبئة فيه. كان براندون واحدًا من زملاء فيشر الذين كان يعرفهم فقط كصوت على الهاتف واسم أول مزيف بلا شك، ولكن منذ أن بدأ العمل كقاتل مأجور، كان براندون هو الرجل الذي يتصل به للحصول على معلومات حول طريدته. فكَّر فيشر في براندون على أنه أمين مكتبة مرجعي لمهنته الخاصة.

لم يكن قد سبق لفيشر الوجود بولاية مين من قبل، لذلك ومن أجل الاحتفال بهذه المناسبة، طلب لفافة جراد البحر، على الرغم من أنها كانت تساوي عشرين دولارًا. سُئل عما إذا كان يريد المايونيز أو الزبدة، وبسبب تردده، قالت الفتاة الشابة الجميلة: «ماذا عن كليهما؟»، ووافق.

كان الجو باردًا في الخارج، والسماء تنذر بالأمطار، لكن فيشر جلس على إحدى طاولات النزهة. كانت هناك إشارة إرسال واحدة على هاتفه الخلوي. قام بالاتصال ببراندون.

قال براندون: «إذا كانت هاربة، فلا يمكنني العثور على أحد له صلة بها في ذلك الجزء من ولاية مين».

- ماذا عن مين بشكل عام؟
- أحد أصدقائها يعيش في بورتلاند بولاية مين.
- أي نوع من الأصدقاء؟
- لا أعرف بالضبط. إنه مجرد شخص صادقته على حساب الفيس بوك الخاص بها الذي لم تعد تستخدمه. جاي أندرسون. إنه نادل. هذا كل ما لدي.
- حسنًا، شكرًا.

بعد تناول لفافة جراد -كان رأيه كهاوٍ أنها أفضل مع الزبدة المذابة- نظر فيشر إلى تطبيق الخرائط الخاص به. كان من الواضح أن جيسيكا وينسلو قد علمت بأنها مستهدفة وقامت بالفرار. أيًا كان من أراد موتها كان لديه شخص ما يلاحقها، وفي مرحلة ما على طول الطريق 1، فقد أثَرَها. ربما كان تعقبًا منفردًا، لذلك لم يكن مفاجئًا أنهم سمحوا لها بالتفوق عليهم، خاصةً كونهم على طريق رئيسي. لكن بعد ذلك كانوا ليسرعوا، ويحاولوا اللحاق بها، وإذا لم يكونوا قد شاهدوها مرة أخرى، فمن المحتمل أنها انحرفت عن الطريق 1. كان من المحتمل أن تكون قد ذهبت إلى داخل البلاد، بالطبع، لكن فيشر ظن أنه من المنطقي أكثر أن تكون قد انعطفت إلى شبه جزيرة سان جورج. كان ذلك هو المكان الذي سيبدأ فيه بالبحث. لم تكن شبه جزيرة صغيرة بالضبط، كانت تتكون من ثلاث قرى، ولكن بها طريق رئيسي واحد فقط. قرر فيشر التركيز على الأكواخ والمنازل الأقرب إلى الشاطئ والبحث عن سيارتها. كانت جيسيكا وينسلو من الطبقة المتوسطة العليا. إذا كانت تبحث عن مكان لتختبئ فيه، فستقترض أحد الأماكن الصيفية المملوكة لأحد أصدقائها. وقد بدا ذلك منطقيًا أكثر.

***

قاد فيشر سيارته إلى شبه الجزيرة. كانت هناك أرض زراعية على كلا الجانبين، تتخللها مناطق مشجرة، بعض الأوراق تُغَيِّرُ ألوانها بالفعل. وكلما ذهب أبعد، ازداد الضباب. عندما رأى المحيط لأول مرة، كان كل ما استطاع

رؤيته هو الصخور الداكنة والرغوة البيضاء للشاطئ. كان الضباب يكتنف كل شيء آخر، على الرغم من أن الجو كان صافيًا في أماكن معينة، وكان بإمكان فيشر رؤية جزيرة مظلمة ذات أشجار مدببة ليست بعيدة عن الشاطئ. تساءل للحظة عما إذا كانت جيسيكا وينسلو قد ذهبت إلى جزيرة -فقد رأى لافتات تعلن عن خدمات العبارات- وفكَّر في أنها إذا فعلت ذلك، فسيكون من الصعب جدًا العثور عليها. نفض فيشر الأمر بعيدًا عن ذهنه، وركز انتباهه على فحص ممرات السيارات بحثًا عن السيارات البيضاء، ثم محاولة التأكد مما إذا كانت سيارات كامري. في ميناء تينانت، رأى سيارة كامري بيضاء متوقفة أمام المتجر العام، وظن فيشر للحظة أن الحظ قد حالفه، لكن رقم اللوحة كان خاطئًا.

أخذ يتجول في بضعة شوارع جانبية، كانت معظمها طرقًا مسدودة، وقد أولى أكبر قدر من الاهتمام للممتلكات التي تبدو وكأنها منازل صيفية. لم تكن هناك سيارات متوقفة أمام العديد منها -كان الموسم قد انتهى بالتأكيد- وكان للعديد منهم ممرات طويلة أو كانت محاطة بغابات من أشجار الصنوبر. تجاهل هذه المنازل. وإذا اضطر إلى ذلك، فسوف يقوم بتفقدها لاحقًا، لكن في الوقت الحالي، كان يأمل فقط أن يحالفه الحظ. قاد سيارته طوال الطريق إلى بورت كلايد، وهي أبعد قرية في شبه الجزيرة، وسلك طريقًا إلى منارة جميلة بها مركز للزوار. كانت هناك سيارة سيدان بيضاء في موقف السيارات والتي تبين أنها كورولا. تراجع، وسلك طريقًا آخر قاده إلى وسط القرية. كانت هناك عَبَّارَة تنزل الركاب على رصيف الميناء. أوقف سيارته، واعتمر قبعة فريق تورنتو رابتورز الخاصة به، وأخذ يتجول في المدينة، يتفحص السيارات، ويتفحص الميناء كذلك. كانت السماء لا تزال مظلمة ولكن كانت هناك فجوة في السحب حيث كان ضوء الظهيرة يتدفق من خلالها، مضيئًا بقعة من الماء الساكن. كانت طيور النورس تحوم فوق رأسه، والهواء تفوح منه رائحة البحر بشدة. لقد نشأ فيشر على ساحل خليج فلوريدا، في عائلة وبلدة كان في أشد الحاجة إلى مغادرتهم، والتحق بالجيش في اللحظة التي كان مؤهلًا فيها. لم ير نفسه قط شخصًا يُكِّن مشاعر خاصة تجاه المحيط بطريقة أو بأخرى، لكن رائحته الآن، رائحة مختلفة عن تلك التي بفلوريدا، رغم أنها رائحة المحيط نفسه، بطريقة ما أعادته إلى فترة طفولته البعيدة

القلقة، كان والده يعمل في بعض الأحيان ولكن ليس في أغلب الأوقات، غالبًا ما كانت والدته غائبة، وغالبًا ما كانت في حالة ثمالة. كان فيشر هو الأكبر بين أربعة أطفال وكان هو في أغلب الأحيان من يصنع العشاء كل ليلة.

كان يأمل أن يجد جيسيكا وينسلو قريبًا حتى يستطيع أن يرجع إلى سيارته ويعود إلى دياره في فرجينيا وإلى عائلته.

أمسك بامرأة شابة تنظر إليه؛ كانت تخرج من العبارة، مرتدية حقيبة ظهر، وتسحب خلفها كلبًا كان نصفه على الأقل من سلالة البيتبول مقيدًا بلجام. كان لتلك المرأة بشرة فاتحة ومنمشة -لا تختلف عن بشرة فيشر- وشعر أحمر باهت. رفع حاجبه ليحييها، وقد جعلها ذلك تحيل نظرها بعيدًا. لم يفته أن رصد جيسيكا وينسلو هنا في مين قد يكون أسهل من رصد سيارتها. لقد كان كل من شاهدهم حتى الآن ذوي بشرة بيضاء، إن امرأة ملونة مثل جيسيكا سيكون من السهل رصدها. وكرجل أبيض له زوجة ذات بشرة سوداء، وثلاثة أطفال، كان فيشر يفكر كثيرًا في العنصرية. يتظاهر الناس بأن الجميع في أمريكا سواسية، لكن كل ما يعنيه ذلك هو أن المسؤولين سيكونون سعداء بسحقك بغض النظر عن لون بشرتك.

***

عاد فيشر إلى سيارته وخرج من القرية وبدأ يشق طريقه بعيدًا عن شبه الجزيرة، سالكًا الطرق الجانبية كلما أمكنه ذلك، مبقيًا عينيه على السيارات المتوقفة في الممرات. عندما عاد إلى الطريق 1، قرر أن يذهب ويتفقد روكلاند. لقد بدت وكأنها بلدة ذات حجم مناسب، وفقًا لنظام تحديد المواقع الخاص به. كان المتعقب الذي فقد أثر (جيسيكا) جنوبًا من هنا ليُسرع على الفور لمعرفة ما إذا كانت لا تزال تتجه شمالًا. لذلك كان من الممكن حتمًا أن تكون روكلاند هي وجهتها. قاد فيشر سيارته داخل البلدة، وأوقف سيارته على طريق رئيسي، على جانبيه واجهات متاجر من القرميد.

كان الظلام قد بدأ يحل وعرف فيشر أنه لن يجدها اليوم. بصراحة، ستكون معجزة إذا فعل. ومع ذلك، أخذ يسير في البلدة وهو يحدق في واجهات المحلات، لكنه في الواقع كان ينظر إلى انعكاسات السيارات المارة،

باحثًا عن سيارة بيضاء اللون. توقف عند مطعم وأخذ يقرأ قائمة الطعام الخارجية، مفتونًا بطبق الليلة، الذي كان عبارة عن سمك القد المقلي. كانت زوجته طاهية بارعة، لكنها لم تكن مبدعة. لقد كانت تحب الدجاج وشرائح اللحم والهامبرجر. لم تكن مولعة بالسمك، ولم تكن مولعة بالتأكيد بأي شيء يذكرها كثيرًا بالحيوان الذي كانت تتناوله. كانت تحب لحم الخنزير المسحوب، لكنها لم تكن لتلمس الضلوع، وكان غالبًا ما يفزعها رؤية زوجها مثلًا وهو يتناول شيئًا يحتوي على عظام. ولذلك فمتى كان فيشر بالخارج من أجل مهمة، كان يحب أن ينتهز الفرصة ويجرب طعامًا مختلفًا كنوع من أنواع المغامرة. احتوت القائمة التي ينظر إليها على المحار، وكانت قد مرت فترة طويلة منذ أن تناول واحدة من هؤلاء. كان من الأفضل بالتأكيد أن يتناول الطعام دون أن تحدق إليه فاليري عبر المائدة وعلى وجهها نظرة رعب.

لكنه كان بحاجة إلى مكان للنوم أولًا. لقد اجتاز العديد من النزل والموتيلات على الطريق 1، ولكن ما لم يضطر إلى ذلك تمامًا، فلقد كان يفضل عدم المبيت في مكان حيث سيتوجب عليه استخدام بطاقة الائتمان. كان يعرف أنه يتوخى الحذر بشكل مفرط، لكن حتى الآن في حياته كان توخيه الحذر بإفراط قد نجح معه. عاد إلى سيارته، وتوجَّه أبعد نحو الشمال، مارًا بالطرق الجانبية حتى وجد بداية طريق دون سيارات متوقفة في ساحاته. سار نحو مائة ياردة أسفل درب ضيق مظلم محاط بصفوف سميكة من أشجار الصنوبر حتى وصل إلى بقعة خالية كبيرة بما يكفي لخيمته الفردية. نصب الخيمة، ثم عاد إلى سيارته.

كانت خطته تقتضي العودة إلى المدينة وتناول الطعام في المطعم الفاخر الذي يحتوي على المحار وسمك القد. سوف يرى إذا كان بإمكانه الحصول على مقعد بجوار النافذة حتى يتمكَّن من مشاهدة السيارات العابرة والمارة. ثم سيقود عائدًا إلى بداية الطريق، سيُوقِف سيارته، ويذهب إلى النوم في الخيمة، وسيحرص على أن يستيقظ ويعود إلى الطريق بحلول الفجر. سيمنحه ذلك يومًا بطوله غدًا للبحث عن السيارة الكامري البيضاء وعن جيسيكا وينسلو. إنها في مكان ما هنا وسوف يجدها!

***

(9)

الأربعاء، 21 سبتمبر، 11:14 صباحًا

لأول مرة منذ وصولها قبل يومين، التقطت جيسيكا الهاتف المثبت بجدار المطبخ في المنزل الريفي وتفقدت نغمة الاتصال. كانت هناك واحدة مما جعلها تتفاجأ، في الغالب لأن الهاتف نفسه كان قديم الطراز. كان لونه أخضر باهتًا، وهو لون المطابخ القديمة، وكانت سماعة الهاتف متصلة بسلك طويلٍ ملتوٍ.

كانت قد تفقدت رسائلها، في الليلة السابقة، ووجدت هناك واحدة من آرون، يهنئها فيها على إفلاتها من حراستها الأمنية، وكذلك يعطيها رقم هاتف آرت ستيرن كروز، والد آرثر كروز. لقد أخبرها ألا تتصل بكروز حتى اليوم التالي على أقرب تقدير، وأنه من المقرر أن يتم استجوابه من قِبَل أحد العملاء المسؤولين عن التحقيق.

وعلى الرغم من حاجتها الماسة للتحدث مع آرت كروز، لمعرفة ما إذا كان يعرف والدها حقًا، فقد انتظرت. قضت يومها الأول في مين بالكامل تقريبًا داخل الكوخ، رغم أنها أخذت نزهة في الصباح الباكر، أولًا نزولًا إلى منارة بيضاء على طرف شبه جزيرة صخرية. وبسبب الضباب البارد الذي لا يمكن اختراقه، لم تتمكن جيسيكا حتى من رؤية المحيط الذي امتد بلا شك إلى ما وراء المنارة، التي يدور مصباحها، وينطلق بوقها بصفة دورية. كان الأمر كما لو أن ستارة رمادية قد أُسْدِلَت على طول خط الشاطئ. كلا، لم يكن

الأمر كذلك تمامًا. كان الأمر أشبه بالنظر إلى لا شيء، كما لو أن العالم لم يعد موجودًا ببساطة بعد نقطة معينة.

سارت من المنارة إلى قرية بورت كلايد، وهي مكونة من مجموعة صغيرة من الأرصفة والمباني على طول ميناء مزدحم. كان هناك مطعم واحد، ومتجر واحد للآيس كريم، ومتجر عام واحد. ذهبت جيسيكا إلى المتجر وابتاعت ما يكفيها من البقالة والنبيذ لبضعة أيام، ثم حملت الأكياس الثقيلة صاعدة أعلى التل حتى كوخها. حاولت جيسيكا التأقلم مع حياتها المؤقتة الجديدة ما تبقى من اليوم. كان الكتاب الذي شرعت في قراءته جيدًا -كل شيء عن الحياة بعد وباء مدمر- ولكن بين فترات القراءة كانت تشعر بالتوتر والاضطراب، وتذرع المنزل جيئةً وذهابًا. عندما حان موعد العشاء، أعدت لنفسها المعكرونة مع البطلينوس واحتست نصف زجاجة من نبيذ شاردونيه. ثم أشعلت التلفاز، وأمضت ثلاثين دقيقة في محاولة اكتشاف أجهزة التحكم عن بعد الثلاثة المنفصلة، واستقرت أخيرًا في مكانها لمشاهدة فيلم (Rio Bravo) على محطة تي سي ام. كانت على دراية بالفيلم لأنه كان واحدًا من أفلام والدها المفضلة، على الرغم من أنها لم تتذكر كونه مضحكًا كما كان. وقد جعلها ذلك ترغب في الاتصال به، رغم أن هذا كان مستحيلًا. لقد كان يقيم في جناح الذاكرة في منشأة للرعاية الدائمة، وفي الآونة الأخيرة، أصبح يواجه مشكلة في التعرف على أفراد الأسرة عندما يمرون لزيارته، ناهيك باتصالهم به.

«يجب أن أتصل بوالدتي»، فكرت جيسيكا. على الأقل لتخبرها بأنها في منتصف قضية ما وقد يصعب الوصول إليها لفترة من الوقت. يمكنها أيضًا أن تسأل والدتها عن آرت كروز، رغم أنها كانت تشك في أن والدتها قد تعرف أي شيء عنه. ومع ذلك، افترضت أن بإمكانها أن تطلب من والدتها أن تسأل والدها عن آرت كروز. فعلى الرغم من أن حالته كانت تزداد سوءًا، فإنه لا يزال لديه لحظات من الصفاء الذهني، خاصة عندما يتعلق الأمر بالماضي البعيد.

لذلك فإن المكالمة الأولى التي أجرتها في صباح اليوم التالي في الساعة الحادية عشرة والنصف، كانت على رقم الهاتف الخلوي لوالدتها، وتلقت «مرحبًا» مرحة.

- أمي، أنا جيسيكا.

- أوه، إن هاتفي لم يتعرف على رقمك، أتساءل لِمَ لا؟
- إنني أتصل بكِ من رقم مختلف. لهذا السبب أتصل بكِ، إنني غارقة في العمل وسأغلق هاتفي الخلوي لبضعة أيام.
- ما الذي يجري؟ كلا، لا تخبريني. سوف أقلق فحسب. هل أنت بالمنزل؟ هل أستطيع الاتصال بكِ على رقم منزلكِ؟
- لم يكن لدي رقم للمنزل منذ ثلاث سنوات، لكن إذا كان هناك أمر طارئ، أرسلي لي رسالة عبر البريد الإلكتروني. حسنًا؟
- حسنًا عزيزتي. خمني أين أنا الآن؟
- لا أعرف، أين؟
- أنا في منزل مارجي لوري، من أجل الغداء. هل تذكرين مارجي؟
- نوعًا ما، على ما أظن.
- هل تذكرين داني لوري؟

طفت على سطح ذاكرتها ذكرى لصبي خجول بدرجة مؤلمة يرتدي نظارة سميكة وله شعر أحمر فاتح. لقد كان في فصل جيسيكا منذ روضة الأطفال حتى السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية، على الرغم من أنها كانت تشك في أنهما قد تبادلا كلمة واحدة من قبل.

- أنا أتذكر داني. هل أنت في منزل والدته؟
- إنها تقيم مأدبة غداء صغيرة للم شمل قادة القوات السابقين، أمهات البراوني.
- أوه، يبدو ذلك مسليًا. لن أعطلك، لكن هل يمكنني أن أطلب منكِ فعل شيء من أجلي؟

قالت والدتها: «بالطبع»، واستطاعت جيسيكا سماع ثرثرة الآن في الخلفية، صوت نساء مسنات يثرثرن.

- متى ستذهبين لزيارة والدي في المرة القادمة؟
- كنت أفكر في الذهاب بعد ظهر هذا اليوم بعد الغداء، لأن مارجي تعيش الآن في ويستفورد لذلك فأنا في الواقع في منتصف الطريق.

- عندما ترينه، هل يمكنك أن تسأليه سؤالًا عن واحد من أصدقائه القدامى؟ شخص ما يدعى آرت كروز.

- آرت كروز؟ أحد أصدقاء والدكِ القدامى؟

- أنا متأكدة من أنه كان كذلك، ألا يعني لكِ هذا الاسم شيئًا؟

- ليس حقًا يا عزيزتي، ولكن ربما. أنت تعرفين والدك...

- أعرف. فقط اسأليه، أنا لا أتوقع الكثير. هل ستتذكرين الاسم؟

- هل يمكنك إرساله إليَّ؟

- في الواقع، لا أستطيع.

- صحيح، صحيح. لا هاتف. قلتِ إنه كان آرت كروز. هل يمكنكِ تهجئته لي؟

تهجت جيسيكا الاسم، ووعدتها والدتها بسؤال والدها عنه. كانت تشك في أن يؤدي ذلك إلى أي شيء، لكنه لن يضر.

بعد أن أنهت المكالمة مع والدتها، قامت بإدخال الرقم الذي أعطاه لها آرون لآرت كروز في فلوريدا. وبعد عدة رنات، قال رجل، بصوت أجش: «مرحبًا؟».

قالت جيسيكا: «هل هذا آرت كروز؟».

- يعتمد ذلك على من يتصل.

- سيد كروز، معك العميلة وينسلو، أتصل من مكتب التحقيقات الفيدرالي. أنا متأكدة من أنك تحدثت بالفعل مع زميلي...

- أجل، بالأمس. لقد أعطاني قائمة بمائة شخص تقريبًا، لم أسمع بأي منهم، لكنه لم يخبرني عن سبب كل ذلك. أعتقد أن لذلك علاقة ما بوفاة ابني.

قالت جيسيكا: «بالمناسبة أنا آسفة جدًا بشأن ذلك يا سيد كروز».

- أوه، حسنًا. لم نكن مقربين، لكنه كان ابني على أية حال.

- لن أطرح عليك الكثير من الأسئلة، لكنني أردت تتبع أحد الأسماء فقط، والتأكد من أنه ليس شخصًا تعرفه. هل أنت موافق؟

- بالتأكيد. أشك أن باستطاعتي منحكِ أي معلومات اليوم أكثر مما كنت أستطيع منحكِ إياه بالأمس، لكن تفضــلي على أي حال.

- إنه جاري وينسلو. سيكون في نفس عمرك الآن تقريبًا. خذ وقتك وفكر في الأمر.

تساءلت عما إذا كان يتذكر أنها قدمت نفسها على أنها العميلة وينسلو ويربط بينهما، لكنها شكت في الأمر بطريقة ما.

تنحنح قائلًا: «لقد عرفت عدة أشخاص باسم جاري في حياتي، ومن المحتمل أن أحدهم كان يُدعَى وينسلو، لكنني لست متأكدًا من ذلك».

- كيف عرفت هذا الشخص؟

- حسنًا، دعيني أفكر للحظة. لقد كان ذلك منذ وقت طويل الآن، ولكن أعتقد أنه كان هناك جاري الذي جاء لزيارتي في منزل البحيرة في نيو هامبشاير. كنت بالجامعة حينها.

- من يمتلك منزل البحيرة؟

- لقد ابتاع والداي منزلًا على البحيرة في سكوام بعد تخرجي من المدرسة الثانوية. لم يعد موجودًا بعد الآن، أو أنه موجود ولكن لا أحد من عائلة كروز يمتلكه. أتذكر أنه كان هناك ذلك الفتى، جاري، بشعر هيبي طويل ولحية. كان والداه صديقيْن لوالدي. وأعتقد أن هذين الوالدين كانا يُدعيان وينسلو. لست متأكدًا حقًا من أي من هذا، لكنه نوعًا ما يقرع ناقوس الذكريات.

- هل تتذكر أي شيء آخر عن جاري، بخلاف الشعر؟

كانت هناك وقفة طويلة، وتمنت جيسيكا بشدة أن ترى وجه آرت كروز في هذه اللحظة بالذات. حتى عندما كانت تستمع إليه على الهاتف شعرت يقينًا بأنه يُخفي عنها شيئًا ما.

قال أخيرًا: «لا. كان يتعاطى المخدرات قليلًا، أتذكر أن هذا ما كنت أعتقده».

- ماذا عن والدي جاري. ما الذي تتذكره عنهما؟

- لست متأكدًا من أنني أستطيع تمييزهما وسط مجموعة من الناس. لقد بدوا مثل والدي، وكانوا جميعًا يلعبون الورق معًا. وأتذكر والدتي وهي تشكو من أنهم أطالوا المكوث أكثر مما هو مرحبٌ بهم.

- كم من الوقت مكثوا؟

- ليس لدي فكرة. بضعة أسابيع، على الأرجح، ومكث جاري طوال الصيف.

- مكث جاري طوال الصيف؟

- أجل، لقد حصل على وظيفة هناك في محطة الوقود على البحيرة، وأقام معنا.

- إذًا لا بد أنك تعرفه جيدًا.

- كما قلت، ليس حقًا.

سألته جيسيكا بضعة أسئلة أخرى، على أمل اكتشاف شيء ما، لكنه إما لا يتذكر الكثير عن والدها وإما أنه لم يقل ما يعرفه. قبل إنهاء المكالمة، أخبرته مرة أخرى بمدى أسفها على ابنه.

قال: «صحيح».

- لقد تحدثت معه عبر الهاتف منذ أقل من أسبوع، بدا لطيفًا جدًا.

- أجل، حسنًا، أعتقد أنه اتخذ خياراته.

تخيلت جيسيكا أنها سمعت شرخًا صغيرًا في صوته، بعض بقايا من عاطفة، ولكن ربما كانت مجرد بحة في صوته، ربما كان مدخنًا شرهًا، مثل والدها.



(10)

الأربعاء، 21 سبتمبر، 3:03 مساءً

كان فيشر في سيارته معظم اليوم، يشق طريقه بشكل منهجي جنوبًا من روكلاند، متفقدًا كل قرية ساحلية صغيرة، وكل طريق جانبي، وكل طريق مسدود، بحثًا عن أي أثر لجيسيكا وينسلو أو سيارتها. كان قد بدأ يشعر بالقلق من أن يكون من تعقبها بينما كانت تفر إلى مين ثم فقد أثرها جنوب روكلاند، ربما قد أضاعها حقًا. فإذا كانت قد استمرت في التوجه شمالًا، وكان المتعقِّب قد فقدها على الطريق 1، إذن فبإمكانها أن تكون في أي مكان. يمكنها أن تكون في كندا على حسب معلوماته. وإذا كان الأمر كذلك، إذن فسيحتاج فيشر إما إلى معجزة وإما إلى بعض المساعدة الخارجية لتحديد مكانها.

ولكن في الوقت الحالي، كان يعمل على افتراض أنها انحرفت عن الطريق 1 في مكان ما بين داماريسكوتا وروكلاند. كان قد أصبح في داماريسكوتا الآن، جالسًا في سيارته المتوقفة، يدرس خريطة ابتاعها من متجر عام يدعى (رينيس)، عندما رن هاتفه الخلوي. كان براندون هو المتصل.

قال فيشر: «مرحبًا».

- مرحبًا، هل حالفك الحظ؟

- كلا، لا شيء.

قال براندون: «من المحتمل أن يكون لديَّ شيء ما».

- من فضلك أخبرني.

- قد لا يكون شيئًا مهمًا، لكنني جمعت قائمة بجميع معارف جيسيكا وينسلو من صفحتها الملغية على الفيس بوك، بالإضافة أيضًا إلى صفحتها على لينكد ان التي لم تعد تستخدمها بعد الآن، حتى إنني تمكنت من تجميع بعض الأسماء من حسابها القديم على فريندستر. لقد كنت أتصفح حسابات وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بكل شخص في تلك القائمة، ووجدت أن واحدة من معارفها، جوين ميرفي، التي كانت في صف تخرجها بالكلية، لديها حساب على الانستجرام. تعيش ميرفي في بوسطن الآن ولكن هناك الكثير من الصور لولاية مين في بث صفحتها. يبدو أن لديها منزلًا هناك. غالبية الصور من قرية بورت كلايد...

- في شبه جزيرة سانت جورج.

قال براندون: «هذا صحيح، أفهم من ذلك أنك قد ذهبت إلى هناك بالفعل».

- لقد فعلت لكنني سأعود وألقي نظرة ثانية.

- هذا ليس بالكثير ولكنني فكرت أن أبلغك به.

أدار فيشر محرك سيارته، وكان سعيدًا جدًا بالحصول على خيط، حتى لو تبين أنه لا شيء. لقد كان يعتقد طوال الوقت أن جيسيكا وينسلو ربما اقترضت مكانًا صيفيًا يخص أحد أصدقائها، وقد بدا ذلك منطقيًا. ولربما كانت جوين ميرفي ذلك الصديق. انعطف عن الطريق الرئيسي إلى شبه الجزيرة، مرورًا بالمناظر الطبيعية المألوفة الآن للمروج المتموجة ولون الخريف المبكر وضوء الظهيرة الخفيف. كان الجو لطيفًا هنا، في مين، وكان قد بدأ يفكر بالفعل في أخذ العائلة في إجازة، ربما في الصيف المقبل. إنهم عادة ما يستأجرون منزلًا في جبال سموكي، لكن مين ستكون تغييرًا لطيفًا في الوتيرة. لقد ذكره قربه من المحيط بطفولته المزرية في فلوريدا، لكنه استطاع تجاوزها. إلى جانب ذلك، كانت ابنته الصغرى مثله، تحب أي نوع من المأكولات البحرية.

***

عندما وصل إلى ضواحي «بورت كلايد»، أبطأ فيشر من سرعته حتى يتمكن من النظر إلى جميع السيارات في الممرات. قاد سيارته باتجاه المنارة مرة أخرى، راغبًا في إلقاء نظرة عليها عندما لم يكن الضباب كثيفًا. أوقف سيارته وخرج منها. كان مندهشًا من عدد الجزر التي كانت مرئية، بعضها ليس بعيدًا للغاية عن الشاطئ. كانت المياه قد تناثر بها السلطعون العائم، ملتقطًا ما تبقّى من ضوء النهار. أراد البقاء لفترة من الوقت، فقط لاستيعاب المشهد، لكنه عاد إلى سيارته وتوجه إلى وسط القرية، باحثًا عن أي شوارع جانبية لم يجربها بعد. كان أول يسار متجهًا شمال غرب المتجر العام هو طريق هورس بوينت، ولكنه رفض أن يسلكه. ارتفع الطريق قليلًا ليمنح مناظر شاسعة للميناء، وكان للعديد من الأكواخ ذات الألواح الخشبية الجذابة لافتات في المقدمة، تُعلن عن نفسها على أنها عقارات للإيجار.

بعد نحو ثلاثة أرباع ميل أسفل الطريق رصد فيشر سيارة كامري بيضاء متوقفة أمام منزل رمادي مكون من طابقين بزخرفة زرقاء. أبطأ سرعته، فقط بما يكفي للتأكد من صحة أرقام لوحة تسجيل السيارة، ومن أنها كانت سيارة جيسيكا وينسلو. لقد وجدها!

اجتاحته موجة صغيرة من الإثارة، ووخزت مؤخرة رقبته. لكن بينما كان يتفحص المنزل قبل أن يستدير عائدًا أدراجه إلى الطريق، لمح شخصًا يقف في نافذة الطابق الأول، ينظر باتجاهه.

لقد تم اكتشاف أمره أيضًا!

كان طريق هورس بوينت طريقًا مسدودًا، واستدار بسيارته ببطء. لقد فكر للحظة وجيزة في التوقف في ممر السيارات التابع للمنزل الذي كانت جيسيكا وينسلو تختبئ فيه، وكسر الباب الأمامي، والقضاء عليها داخل المنزل، لكن سيكون ذلك من الحماقة على العديد من المستويات. لقد كانت عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالي ومن شبه المؤكد أنها كانت تمتلك مسدسًا. وحتى لو تمكن من الإيقاع بها، فسوف يكون من المستحيل جعل موتها من دون ألم، وقد كانت تلك إحدى التعليمات من عميله.

قاد السيارة عائدًا إلى الطريق، ولم يُدِرْ رأسه لينظر إلى السيارة أو الكوخ. ربما كان هناك احتمال أن تكون اعتقدت ببساطة أنه قد وصل إلى طريق مسدود عن طريق المصادفة.

***

(11)

الأربعاء، 21 سبتمبر، 4:22 مساءً

كانت جيسيكا وينسلو على الهاتف مع والدها عندما رصدت سيارة تشيفي إكوينوكس تبطئ من سرعتها أمام منزلها. داخل السيارة، أدار الرجل -على الرغم من أنها افترضت احتمالية أن تكون امرأة- رأسه لينظر إلى سيارتها. كان يعتمر قبعة بيسبول ولكن كان ذلك كل ما استطاعت رؤيته.

كان طريقها ينتهي بنهاية مسدودة، لذا أخبرت والدها أنها ستعاود الاتصال به على الفور، وهرعت إلى الطابق العلوي إلى حيث غرفة نوم الضيوف، وانتزعت زوجًا من المناظير الفاخرة التي كانت قد رأتها على رف الكتب في وقت سابق. ذهبت إلى غرفة النوم الرئيسية، ووضعت كرسي مكتب أمام إحدى النافذتين الأماميتين، وضبطت بؤرة المنظار. كان عليها فقط أن تنتظر قرابة ثلاثين ثانية قبل أن تتخطّى السيارة المنزل، دون أن تتباطأ هذه المرة. ألقت نظرة فاحصة على اللوحة المعدنية، لكنها كانت ملطخة بالطين، وكل ما استطاعت تبينه هو الرقم 3 وربما حرف ل.

حقيقة أن أرقام لوحة السيارة قد تم حجبها عن قصد، كان يعني أنه تم العثور عليها. اجتاحها مزيج من الخوف والانتصار. لقد كان قريبًا للغاية. وكيف تمكن من ذلك؟ افترضت أنه قد تمت ملاحقتها من ألباني، أو ربما تم التنصت على محادثتها الهاتفية مع جوين، على الرغم من أنه لم يكن لديها

أدنى فكرة عن مدى إمكانية ذلك. وإذا كان قد تم ملاحقتها هنا، فلا بد أنها كانت مهمة متعددة السيارات. لأنها لم ترصد أي شيء.

تساءلت عما إذا كان الشخص الموجود في السيارة هو صاحب فكرة القائمة، أو مجرد موظف فحسب. ربما هو شخص أرسل لقتلها، أو ربما كان شخصًا أرسل لإيجادها فحسب. كان جسدها كله مفعمًا بما بدا كالكهرباء، وذهبت وحصلت على مسدسها -جلوك موديل 27 - لمجرد أن يكون بالقرب منها.

كانت تحاول أن تقرر ما ستفعله بعد ذلك عندما تذكرت أنها بحاجة إلى معاودة الاتصال بوالدها، فقط لأنها أخبرته أنها ستفعل. عندما سألته عن آرثر كروز كان هناك صمت طويل، متبوعًا بسؤاله عما إذا كان آرثر شخصًا ينبغي له أن يعرفه.

قالت جيسيكا: «كلا يا أبي. كنت أتساءل فقط إذا كنت تعرفه، إنه شخص كنت لتعرفه منذ عدة سنوات».

كانت هناك وقفة أخرى. ثم قال: «ما زلت أتساءل أين تركت سيارتي».

كان هذا آخر شيء قاله قبل أن تخبره جيسيكا بسرعة أنها ستتصل به مرة أخرى. لم تكن بحاجة إلى ذلك حقًا. فهو لن يتذكر المحادثة الهاتفية. ولكن لأنها قالت إنها ستفعل، فقد اتصلت به على أي حال.

- مرحبًا أبي، إنها جيسيكا تتصل بك مرة أخرى. ابنتك.
- أعرف أنكِ ابنتي.
- لقد فكرت أن أودعك وداعًا لائقًا فحسب لأن حديثنا قد قطع بشكل مفاجئ من قبل.

قال وقد بدا وكأنه مصاب بنزلة برد: «هذا شيء جيد».

- ما هو الشيء الجيد؟
- وداعًا لائقًا! لم يعد أحد يقولها بعد الآن.

ضحكت وقالت: «لا، لا يفعلون، أليس كذلك؟ حسنًا يا أبي، أنا ذاهبة. أحبك».

- هل كنت أنت من يسألني عن آرتي كروز الصغير؟

وقفت جيسيكا، التي كانت لا تزال جالسة على الكرسي في غرفة نومها وقالت: «نعم، كان هذا أنا».

- لقد كان فاشيًا صغيرًا، هذا كل ما أعرفه.
- متى عرفته يا أبي؟
- حسنًا، لا أعرف مدى معرفتي به على الإطلاق، لكنني مكثت في منزل والديه في بحيرة سكوام صيفًا واحدًا.
- أوه، أجل، لقد سمعت بذلك.
- وأردته أن يتحدث عن ذلك، ويتحدث عما فعلناه. لكنه لم يفعل. لقد تظاهر بأن ذلك لم يحدث قط.
- ما الذي تظاهر بأنه لم يحدث؟
- ما فعلناه. عندما كنا أطفالًا.

قالت جيسيكا، وحافظت على صوتها لطيفًا: «أوه، نعم».

أخذ والدها يبدو مضطربًا، هذا ما يحدث له عندما تكون ذكرى ما بعيدة المنال.

- لماذا تعتقد أنه لا يرغب بالحديث عن ذلك؟
- لأنه لم يرد التفكير في الأمر، لهذا السبب. هذا هو السبب في أن الناس لا يريدون التحدث عن الأشياء، عادة.
- أوافقك. لكنك لا تريد أن تنسى يا أبي. لا بد أنك أردت أن تتذكر لأنك أردت التحدث معه عن ذلك.
- ما الذي نتحدث عنه مجددًا يا روز؟

روز كان اسم والدة جيسيكا، لكنها تجاهلت تلك الزلة. كانت تعلم أن والدها على وشك أن يفقد خيط المحادثة، لذلك قالت: «نحن نتحدث عن آرت كروز، آرتي كروز الصغير كما دعوته، والشيء الذي لم يكن يريد التحدث عنه».

كان هناك صمت طويل، وعرفت جيسيكا أنها فقدته. عندما تحدث مرة أخرى، قال: «هل من المفترض أن أعرفه؟».

قالت: «لا، لا أفترض ذلك يا أبي. لا بد أن موعد عشائك قد حان هناك».

- ربما المعكرونة بالجبن مرة أخرى.

- هل هذا شيء سيئ؟

- كلا، لا أعتقد.

- حسنًا يا أبي، أنا أحبك، وسأنهي المحادثة الآن.

- أنا أحبك أيضًا يا روزي.

بدأت جيسيكا تخطو سريعًا، ومسدسها في جرابها باتجاه مؤخرة وركها. كان هناك الكثير لتفكر فيه، وكانت تحاول ترتيب أفكارها. بادئ ذي بدء، كان هناك صلة، رابط محدد، بين والدها ووالد آرثر كروز، وشيء ما -شيء سيئ- قد فعلاه. مهما كان هذا الشيء السيئ، فهو مفتاح ما كان يحدث. كانت متأكدة من ذلك. لكن المسألة الأكثر إلحاحًا كانت السيارة الأكوينوكس الرمادية التي أبطأت أمام منزلها. لقد لاحظها، لكنها قد لاحظته بالمثل. تساءلت عما إذا كان سيحاول الوصول إليها الليلة، وقد ارتابت في ذلك بطريقة ما. كانت في منزل مغلق ومعها مسدس. شعرت بالأمان نسبيًا. جزء منها كان يأمل في الواقع أن يقوم بمحاولة.

لقد تساءلت عما إذا كان قد رآها في النافذة في أثناء مروره بالسيارة لأول مرة، وما إذا كان يعلم أنها قد لاحظته. إن كان الأمر كذلك، فقد ينسحب فحسب، على افتراض أنها ستستدعي تعزيزات. لكنها لن تفعل ذلك، على الأقل ليس بعد. اعتقدت أنها يمكن أن تصل إلى هذا الرجل. كانت تعرف كيف تبدو سيارته، وكانت تعرف أنه في المنطقة. كان الظلام قد حل الآن، وكانت تستعد لمواجهة الأسوأ، غدًا سوف تذهب للبحث عنه.

***

(12)

الأربعاء، 21 سبتمبر، 11:41 مساءً

كان فيشر قد خسر اللعبة الأخيرة، لذا وضع ثمانية أرباع في فتحات العملات لإطلاق كرات البلياردو، ثم سددها، بينما نظر دونالد بينيت بتركيز مُصطنع لشخص بالغ الثمالة، متكئًا قليلًا على عصا البلياردو خاصته.

قال: « فلتسددهم على نحو صحيح هذه المرة».

قال فيشر: «بالتأكيد أيها الزعيم. لكنها لن تحدث فرقًا. فأنت ما زلت مكتسحًا كالجبان».

أصدر دونالد صوتًا بدأ ككلمة وانتهى بصوت استهزاء، وابتسم ابتسامة عريضة، وهو يترنح نحو فيشر، ويسدد له ضربات مرحة. لامست أصابع يده اليمنى شعر فيشر المستعار، ذلك الشعر الغامق المقصوص قصة الموليت[1] مما جعله يبدو كالشخص الأحمق الذي قد يخسر لعبة بلياردو أمام الرجل الأكثر ثمالة في الحانة.

---

(1) قَصَّة شعر الـ «موليت» هي قَصَّة تميَّز بها مشاهير موسيقى الروك أند رول في شكل خاص، ومن ميزاتها الأساسية أنها تعتمد على خصلات مشذبة بشكل قصير جدًا من الأمام وطويلة من الخلف، يتخللها طبقات مهشمة عند أطراف الشعر، وطبقات متدرجة حول تاج الرأس.

كان قد رصد دونالد قبل ساعتين، وهو يقول شيئًا ما للنادلة المتعبة جعلها تشيح بنظرها بمجرد أن أدارت له ظهرها لتجلب له جعة ميلرلايت من المبرد. كان يُطلق على الحانة اسم «لوبستر بوت»، وكانت عبارة عن هيكل خرساني من طابق واحد والتي كانت بعيدة عن الطريق الرئيسي، في منتصف طريق العودة لشبه الجزيرة من بورت كلايد. منذ وصول فيشر في الثامنة، أخذ يحتسي ببطء ثلاثة أنواع من الجعة، ويتناول شطيرة هامبرجر يابسة، بينما كان يبحث عن شخص قد يكون ذا نفع له. ولكن كان من المثير للدهشة وجود عدد قليل من شاربي الكحول بمفردهم، أو ليس من المستغرب، باعتبار أنه كان يوم أربعاء من شهر سبتمبر.

دخلت امرأة بمفردها، تتمايل بحذاء ذي كعب مستدق، لكنها كانت هناك لتثرثر مع النادل، وتحتسي كأسًا واحدًا من الأماريتو الحامض وتغادر. وكان هناك رجل وحيد يشرب، رجل في الستينيات من عمره يحتسي جعة البرميل بنفس البطء الذي كان يحتسي به فيشر جعته. وعلى الرغم من شعره الدهني ومعطفه البالي، بدا الرجل ذكيًا، والأهم من ذلك، حذرًا.

كان فيشر على وشك الاستسلام عندما وصل دونالد بينيت، كان غير مستقر بالفعل. وبينما كان يستقر على المقعد المغطى بالفينيل، مدَّت النادلة يدها إليه، وراحة يدها لأعلى، وأصابعها مضمومة. صفع يدها قائلًا بصوت عالٍ ونهيق: «كيف الحال؟!»، ثم ضحك وبحث بعمق في جيوب بنطاله الجينز ليسلم مفاتيحه. ثم قال لها شيئًا آخر لم يستطع فيشر تبينه.

«الشيء نفسه، دونالد»، أجابت بعد أن أسقطت مفاتيحه في وعاء سمكة ذهبية فارغ في الجزء الخلفي من الحانة. وبينما كان يحصل على الجعة الخاصة به راح فيشر يتفحَّصه. كان الرجل ذو الوجه المرن كالعجين الذي يرتدي سترة من الجينز وقبعة فريق ستيلرز زبونًا منتظمًا وغير مرغوب فيه.

كل ما كان على فيشر فعله هو شراء لفة دولارات من فئة الأرباع من النادلة، ثم الذهاب إلى طاولة البلياردو. بعد أن سدد بعض الضربات بنفسه، جاء الرجل، وقدم نفسه على أنه دونالد بينيت، وقدم بعض الاقتراحات حول الطريقة التي يجب أن يمسك بها فيشر عصاه، ثم طلب أن يلعب لعبة. وبمجرد أن لعبا سبع مرات، وابتاع فيشر لدونالد ثلاث عبوات من الجعة وجرعتين من

الكحول، كانا قد أصبحا صديقين مقربين. أخبر فيشر دونالد أنه من نيو هامبشاير، وأنه قد ذهب لتوه لتفقد بعض العقارات المعروضة للبيع، وأنه كان يفكر في فتح مكان لبنادق الطلاء. لم يكن دونالد يعرف الكثير عن ذلك -لقد كان يعمل في إصلاح شباك مصائد السلطعون لكسب لقمة العيش- لكنه كان يعلم أنه إذا كان فيشر يبحث عن بعض العلاقات الجنسية فقد أتى إلى الحانة الخاطئة اللعينة. ثم أخذ يضحك مثل الضبع، كاشفًا عن صف من الأسنان التي بدت مثل جذوع متعفنة. فكر فيشر أنه إذا كان في فيلم، فسيكون مبتذلًا لدرجة ستجعل زوجته تهمهم في سخرية وستتحدث إلى الشاشة بفظاظة.

قال فيشر: «أنت تعيش بالقرب من هنا، أليس كذلك؟».

أخبره دونالد أنه على الرغم من كونه يقطن على بعد أقل من ميل واحد، فإن تيري، النادلة، كانت تأخذ مفاتيحه دائمًا عندما يأتي.

قال فيشر بارتياب: «كأنك لا تستطيع القيادة لمسافة ميل واحد لعين بعد القليل من الجعة».

- صحيح. تلك العاهرة اللعينة.

نظر نحو البار ليتأكد من أنها لم تسمعه.

***

أوصل فيشر دونالد إلى منزله في تلك الليلة، الذي كان عبارة عن مزرعة صغيرة ورثها عن والديه بعد وفاتهما. في الداخل، كان هناك ورق حائط مقشر عن الجدران، وكانت الرائحة مثل دخان السجائر واللحم المتعفن. تناولا ويسكي «فاير بول» وقال فيشر: «لقد كذبت عليك، أيها الصديق الطيب، بشأن سبب وجودي هنا في مين».

- أوه، حقًا؟

أشعل دونالد سيجارة، ثم قذف عود الثقاب المستهلك بحركة من إصبعه على الأرض. كان الكرسي الذي يجلس عليه فيشر مغطى بنوع من المواد الاصطناعية المنقوشة، وكان هناك العديد من الرقع الداكنة والمتموجة في التنجيد حيث تُرك عود ثقاب مشتعلًا. لقد كان مندهشًا من أن دونالد بينيت

قد أمضى بطريقة أو بأخرى كل هذا الوقت دون أن يحرق نفسه حتى الموت في منزله.

قال فيشر: «انظر، أنا أخبرك فقط لأنك رجل صالح، وربما يمكنك المساعدة. يمكنني حتى أن أدفع لك يا رجل، فلدي الكثير من المال الآن. إن صديقتي تعيش هنا في بورت كلايد. لقد هجرتني منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر وأخذت معها قرابة خمسين ألفًا من أموالي».

قال دونالد وهو يلوح بطرف سيجارته: «ما هذا الهراء يا رجل؟».

- نعم، دون مزاح. الأمر هو، ربما تكون قد شاهدتني، وهي تعرف سيارتي، وأنا الآن أتساءل...

- أنت تريد بعض المساعدة في استعادة أموالك منها، وإنني سأساعدك على القيام بذلك.

فكر فيشر، الذي كان يريد فقط مكانًا للنوم ليلًا، وربما سيارة مختلفة ليقودها غدًا، فيما قاله دونالد. ربما يكون لهذا الشخص عديم القيمة فائدة أكثر مما كان يعتقد.

- لماذا أخذت أموالك يا رجل؟

قال دونالد، بصوت عالٍ، يحدوه الفضول حقًا، كما لو أنه لا يستطيع أن يفهم تمامًا كيف يريد أي شخص إيذاء صديقه المفضل الجديد.

كان فيشر يفكر ولم يجب على الفور. وعندما حرَّك عينيه من السقف المنخفض المصنوع من الستايروفوم[1] إلى دونالد بينيت، لم يكن متفاجئًا بأن صديقه الجديد قد فقد وعيه وهو ما يزال جالسًا، والسجائر مشتعلة بين أصابعه. أطفأ فيشر سيجارة الرجل، ثم لف بطانية ملونة قديمة مصنوعة من الكروشيه على طراز مربعات الجدة حول وضعية نومه وذهب لتفقد بقية المنزل.

---

(1) هي علامة تجارية لرغوة البوليسترين، والتي يطلق عليها عادةً «اللوحة الزرقاء»، يتم تصنيعها كلوح عازل للمباني والجدران والأسقف والأساسات كعازل حراري وحاجز مائي.

بينما كان يتجول، حريصًا على عدم ترك بصمات أصابعه على أي أسطح صلبة، راح يفكر أكثر في الاحتمالات لليوم التالي، والطرق التي قد يكون من خلالها دونالد بينيت مفيدًا. كان المنزل يحتوي على ثلاث غرف نوم صغيرة في الطابق الثاني، وكان من الواضح أن إحداها هي غرفة النوم الرئيسية، حيث كان والدا دونالد ينامان وقد بدا أنها لم تتغير، وكانت النوافذ مغطاة بستائر بُنيَّة ثقيلة، والفراش مغطى بشرشف من الشنيل، ولحاف آخر ملون منزلي الصنع. كانت هناك طبقة رقيقة من الغبار تلتصق بكل شيء في الغرفة. لقد كان من الواضح أن دونالد ينام في غرفة طفولته، التي لم تتغيَّر أيضًا على ما يبدو. كان هناك ملصق لفريق (Nickelback) على الحائط، ومرتبة فوتون من دون ملاءة عليها. وبجانب المرتبة كانت هناك منفضة سجائر مكتظة وعدة مناديل مكومة. كانت غرفة الطابق العلوي الثالثة هي مصدر الرائحة الكريهة للمنزل. لقد امتلأت بالكامل بأكياس قمامة، بعضها مشقوق ويُسرِّب. خَطَا فيشر إلى الداخل بما يكفي لقلب مفتاح الضوء بسرعة وسمع قارضًا ما يندفع مسرعًا للعثور على مكان للاختباء. من الذي بدأ بإحضار القمامة إلى الطابق العلوي؟ افترض أن أيًّا من الوالدين قد نجا من الآخر. لقد بدا دونالد ذكيًا بما يكفي ليعرف أين ذهبت القمامة، لكن لا يزال يتعين عليه إفراغ هذه الغرفة.

بعد مراسلة زوجته ليتمنى لها ليلة سعيدة وليخبرها بأن مؤتمر أداة الطاقة في أوهايو كان يسير على ما يرام، استقر في مكانه مرتديًا ملابسه بالكامل فوق السرير المرتب في غرفة نوم آل بينيت الرئيسية وتمكن من الحصول على ست ساعات من النوم المتواصل.



(13)

الخميس 22 سبتمبر، 10:43 صباحًا

لم تكن تعرف الكثير عن الشخص الذي كتب القائمة، الشخص الذي قتل حتى الآن ثلاثة أشخاص على الأقل، لكنها كانت تعلم أنه لم يكن يطلق النار على ضحاياه بشكل عشوائي في الشارع. على الأقل ليس بعد. لقد أغرق فرانك هوبكنز في المياه الضحلة على شاطئ عام، وأطلق النار على ماثيو بومونت من الخلف في مكان منعزل، وسمم آرثر كروز بأداة غريبة ودقيقة. ولم يكن هناك شهود في الحالات الثلاث. وبسبب ذلك، شعرت جيسيكا بالأمان نسبيًا وهي تحتسي قهوتها الصباحية على مقعد خارج متجر بورت كلايد العام.

كان صباحًا باردًا مشمسًا، وقد أمسكت بكوب القهوة بكلتا يديها لتدفئهما. أخذ جسدها يرتجف لكنها كانت قلقة بشأن ذلك أقل من قلقها على يديها المخدرتين. كان مسدسها الجلوك في جرابها الجانبي، وقد تحتاج إلى أيدي سريعة للوصول إليه.

كان هناك تيار مستمر ولكن بطيء الحركة من السيارات التي تأتي وتذهب عبر بورت كلايد. تجمع الركاب على الرصيف لأخذ العبارة إلى جزيرة «مونهيجان»، وكانت القوارب الصغيرة قادمة من الجزر القريبة، وبعض الناس يتناولون القهوة أو الإفطار فقط ثم يعودون. سطعت الشمس من خلف فندق ذي ثلاثة طوابق للمبيت والإفطار، وتحركت جيسيكا على طول المقعد

لتجلس في ضوئها الواهن. في ذلك الوقت، رأت السيارة التي كانت تنتظرها، السيارة الشيفروليه ذات اللون الرمادي الداكن، تتوقف في ساحة انتظار العبَّارة، ثم انسحبت مرة أخرى لتتجه إلى المنحدر المؤدي إلى خارج القرية.

هرعت جيسيكا إلى سيارتها الخاصة، تاركة فنجان قهوتها وراءها. أدارت المحرك وابتعدت عن الرصيف، مبعثرةً الحصى خلفها. أخبرت نفسها بأن تبطئ، وبأنهم كانوا على شبه جزيرة، وكانت هناك أماكن محدودة للذهاب إليها. بعد أن صعدت تلًا صغيرًا، رصدت السيارة أمامها متجهة إلى الشمال الشرقي. وكان بينهما شاحنة فيدكس. كانت لترغب في إبقاء الشاحنة تمامًا حيث كانت، لكنها كانت تندفع ببطء تحت الحد الأقصى للسرعة، وتوارت الشيفروليه عن ناظريها، لذلك زادت من سرعتها حولها عند زاوية وواصلت سرعتها حتى تمكنت من رؤية السيارة مرةً أخرى. لاحقتها بمسافة بدت لها معقولةً؛ وبطريقةٍ ما لم تكن تمانع بشكل خاص أن يتم اكتشافها. لقد كان بحوزتها سلاح، وإذا اكتشف أنها كانت تتعقبه، عندئذٍ دعه يحاول الانقضاض عليها.

مرا بقرية «تينانتس هاربور»، انخفضا أسفل تل ليعبرا مدخلًا عند انخفاض المد، ثم عادا إلى منحدر حيث انعطفت السيارة الشيفروليه إلى اليمين أسفل طريق جانبي. تبعته جيسيكا وهي تبطئ من سرعتها الآن، وتفكر أنه في الأحوال غير المتوقعة لم يتم اكتشافها، فلماذا تخاطر بذلك الآن، وقادت السيارة مسافة ميل حتى نهاية الطريق دون أن ترى السيارة الشيفروليه مرة أخرى. استدارت وعادت ببطء إلى الشارع المظلم المملوء بالأشجار، وأخذت تتفقَّد ممرات السيارات، ثم شاهدت طريقًا ترابيًا كانت قد فوتته. سلكته، وانحنى الطريق بحدة، مارًا بمبنى مهجور من الجرانيت، ثم انتهى بنهاية مسدودة. إما أن الشيفروليه قد توقفت في المرأب المغلق الخاص ببيت المزرعة ذي السطح المائل الذي كان آخر بناية على ذلك الطريق، وإما أنها قد قطعت الممر الضيق والمختنق بالأعشاب الضارة والذي مر عبر لافتة باهتة تعلن عن «محجر لونج كوف».

فكرت جيسيكا «هذا فخ».

لكنها كانت تمتلك أيضًا مسدسًا يرقد الآن على مقعد الراكب الأمامي الخاص بها، وقد أُغلق زر الأمان الخاص به. وسواء كان فخًا أو لا، كانت هذه فرصة. تدفق الأدرينالين في جسدها، وقادت سيارتها في المسار الفردي، خلال جيوب كثيفة من الأشجار على كلا الجانبين، وظهرت في مساحة مفتوحة حيث تبعثرت هنا وهناك أكوام من الجرانيت المهملة والآلات الصدئة. كانت هناك منحدرات من جميع الجوانب، وحفرة سباحة تلمع في الشمس، عاكسةً الأوراق الملونة للأشجار التي تصطف على قمة المنحدرات.

كانت السيارة الأكوينوكس متوقفة على بعد عشرين ياردة. أوقفت جيسيكا سيارتها، وأطفأت المحرك، وأحكمت قبضتها حول مسدسها. ترجل من السيارة رجل ينظر إليها مباشرة. كان يعتمر قبعة بيسبول، كما فعل عندما شاهدته في اليوم السابق. لقد كانت قبعة فريق ستيلرز، مما بدا أمرًا خاطئًا بطريقة ما. نظر نحوها ورفع ذراعيه ببطء ليبين أن يديه فارغتان.

ترجلت من السيارة، والمسدس أسفل جانبها، وإصبعها مستقرة على ماسورة السلاح القصيرة. خطت خطوات قليلة تجاهه، وصاحت: «انبطح على الأرض».

وهي ترفع مسدسها ببطء، لكن ليس كما لو أنه موجه إليه. لم تسمع جيسيكا أي شيء، ولم تشعر بأي شيء، ولكن للحظة قابلة للإدراك، علمت أنها كانت حمقاء، وأنها قد خسرت هذه اللعبة بالذات. كان الرجل الذي أمامها طُعمًا، وكانت هي الآن واقعة في الفخ!

انطلقت رصاصة أسرع من الصوت الذي أحدثته قادمة من مسدس ريمينجتون عيار (إم 24) مصيبةً جيسيكا وينسلو في مؤخرة جمجمتها، لترسلها مندفعةً إلى الأمام على لوح من الجرانيت المرقط.

وقف دونالد بينيت متجمدًا للحظة، يشعر بالارتباك رغم أنه قد سمع صوت إطلاق النار، وشاهد المرأة التي ترتدي سترة من الصوف وهي تحلق في الهواء قليلًا قبل أن ترتطم بالأرض مثل غزالة تلقت رصاصة في الرأس. لقد كان يتصرف بتهور طوال الصباح بسبب فكرة الانتقام من صديقة صديقه الجديد، لكنه الآن لم يعد متأكدًا مما كان يجري. لقد عرف للتو أنه كان شيئًا سيئًا. ولم يسمع الطلقة التالية التي أصابته في النقطة المميتة بصدره.

عندما وصل فيشر إلى سيارته الأكوينوكس، مُخبِئًا بندقيته في حقيبة سيارته، استشعر الصوت الخافت لصافرة إنذار بعيدة، على الأرجح ليست لها علاقة به. لكنه مع ذلك شعر فجأة أنه عرضة للخطر في وضح النهار، في محجر به جثتان ومخرج واحد فقط. اتخذ قرارًا سريعًا بأن يترك الجثتين حيث سقطتا ويقود سيارته خارج المحجر بأسرع ما يمكن. عندما بدأ هذا العمل لأول مرة، كان حريصًا على التستر على جرائمه، ولكنه أصبح قلقًا حيال ذلك أقل فأقل بمرور الأعوام. في الحياة الواقعية، لم تكن الشرطة جيدة كما كانت برامج التلفاز والأفلام تجعلها تبدو.

بينما كان يغادر شبه الجزيرة، مرَّت سيارة شرطة من أمامه في الاتجاه الآخر. ربما تم الإبلاغ عن الطلقات النارية، لكنه كان يتجه بالفعل جنوبًا على الطريق 1. نظر إلى ساعته، مدركًا أنه إذا اندفع دون توقف، سيكون بإمكانه العودة إلى فراشه مع زوجته بحلول منتصف الليل.



خمسة

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الخميس، 22 سبتمبر، 6:00 مساءً

كانت السماء تمطر مطرًا خفيفًا، لكن المسافة التي كان عليه سيرها من منزله إلى منزل جارته كانت أقل من خمسين ياردة، لذلك لم يكن جاك راديبو يرتدي أي سترة عندما دق جرس الباب، محتضنًا زجاجتين من النبيذ في ذراعه الخالية.

أجابت مارجريت الباب، ولوهلة ظن أنه ربما قد أخطأ الليلة لأن نظرة اندهاش، أو ربما نظرة خوف، عبرت وجهها. لكنها قالت بعد ذلك: «أوه، لقد أخبرتك ألا تحضر شيئًا، وها أنت قد جلبت معك زجاجتين من النبيذ». مدت يديها وسلمها النبيذ.

- لم أكن أعرف ما الذي سنتناوله لذا أحضرت زجاجة نبيذ حمراء وزجاجة نبيذ بيضاء.
- تعال. لقد اتصل إريك للتو وسيغادر المكتب الآن، لذلك سيكون هنا في أية لحظة.

قال جاك: «تبدو الرائحة شهية هنا».

- ضلوع اللحم البقري المطهو ببطء. آمل أن يكون ذلك مناسبًا.
- يبدو مثاليًا.

قادته مارجريت إلى غرفة معيشة ذات سقف مرتفع، وأشارت إلى أريكة بيضاء باهظة الثمن ليجلس عليها. على طاولة القهوة أمام الأريكة كان هناك طبق من المقبلات. حلقات من الخبز مغطاة بالقليل من السلمون المدخن، حفنة مما بدت كالكريمة الحامضة، وذرَّة من الثوم المعمر.

قالت مارجريت: «ماذا يمكنني أن أحضر لك لتحتسيه؟».

كانت تمسح يديها بطول تنورتها القطنية، واعتقد جاك أنها بدت متوترة، ولو لم تكن متوترة، فهي منزعجة. كانت هناك لمعة من العرق على جبينها.

- حسنًا، ماذا لديك؟

- يمكنني أن أصنع لك أي شيء ترغب به. فلتكن مبتكرًا.

طلب جاك جن مارتيني، واختفت مارجريت في المطبخ لتصنع له واحدًا. نظر حوله في أرجاء الغرفة التي كانت نظيفة للغاية ولكن كانت شحيحة الأثاث. لم يكن هناك فوضى، ولا شيء شخصي تحديدًا حيال ذلك. لم يكن هناك أيضًا، رفوف كتب ولا كتب، والذي بدا لجاك أمرًا غريبًا بما أن مارجريت كانت تعمل أمينة مكتبة.

عادت مع مشروبه في نفس اللحظة التي فُتح فيها باب المنزل الأمامي، وصاح إريك داخل المنزل بصوت عالٍ للغاية: «آسف، آسف».

سكبت مارجريت القليل من الجن وهي تناوله كأس المارتيني الكبيرة. أخذ رشفة على الفور ووضع الكأس على طاولة القهوة، وهو يقف في نفس اللحظة التي دخل فيها إريك إلى غرفة المعيشة، وهو يخلع عنه معطف واق من المطر.

قال إريك: «أجل، أنا أحمق. إن الضيف هنا بالفعل، وأنا قادم للتو».

كان يتحدث بطريقة مسرحية، كما لو كان يحاول تقديم عرض لصف خلفي ما ليس له وجود.

- لقد وصلت هنا للتو.

قالها جاك وهو يمد يده فوق الأريكة ليصافح يد إريك، وهو يجهز نفسه لقبضة يده المحكمة.

- مرحبًا، أعلم أنك لا تعتقد أنني أحمق، لكن هذه تفعل.

ابتسم ابتسامة عريضة نحو مارجريت، التي بدت محرجة.

- على حد علمي، لم أقم مطلقًا في حياتي بدعوتك بالأحمق، لقد وصلت في الوقت المناسب، إريك، لذلك لا داعي للقلق.
- هذا ما تقوله هي. اسمع، هل لدي وقت لأحتسي الجعة وأستحم ثم أعود إلى هنا في الوقت المناسب لتناول العشاء أم أن ذلك سيفسد كل شيء؟

قال جاك: «لا بأس بالنسبة إليَّ»، في نفس الوقت الذي قالت فيه مارجريت: «لا توجد مشكلة».

بعد أن احتسى إريك الجعة، ثم صعد إلى الطابق العلوي للاستحمام، أخبر جاك مارجريت كم أحب المارتيني.

قالت: «أوه. شكرًا لك. إنه شيء ممتع. لقد اعتدت أن أصنعه لأبي، عندما كنت طفلة صغيرة. لا يبدو ذلك مناسبًا الآن، على ما أعتقد».

- لا، يبدو ذلك لطيفًا.
- سأذهب لإحضار النبيذ الخاص بي وأنضم إليك، لأننا لن نتناول الطعام لبعض الوقت.

بعد أن استقرت على كرسي عصري يبدو غير مريح، قالت: «قد يبدو إريك للناس مبالغًا فيه في بعض الأحيان، إنه حقًا شخص طيب في أعماقه، لكنني قلقة من أنه سيحاول إثارة إعجابك وسينتهي به الأمر ليبدو كأحمق».

- لقد قابلت في حياتي كل أنواع الأشخاص، وأنا بالفعل أحب إريك لأنك تحبينه، لذلك لا تقلقي بشأن ذلك.
- حسنًا. شكرًا. على الأقل سيكون الطعام جيدًا، على ما أظن.
- كيف التقيتما ببعضكما؟

بينما أخذت تسرد نسخة أكثر تفصيلًا عن كيفية لقائها مع إريك في الكلية، تساءل جاك مجددًا لماذا ينتهي الأمر بالنساء الطيبات مع رجال سيئين. لم يكن ذلك أعظم ألغاز الحياة، لكنه بالتأكيد كان واحدًا منها. إن إريك بالطبع، سيكون بالضبط ما بدا عليه عند الانطباع الأول. متنمر مراوغ يمارس استبداده على أولئك الذين يشعر بتفوقه عليهم، ويتذلل لمن يعتقد أن لديهم قوة أكبر منه. وسوف يضرب هذه المرأة المسكينة حتى تتركه أو

تصاب بانهيار عصبي. علم جاك أنه كان يبني الكثير من الفرضيات حول رجل قد أمضى معه أقل من عشر دقائق، لكنه كان متأكدًا من أنه على حق.

تكشفت بقية الأمسية تدريجيًا على غرار ما كان يعتقد أنه سيكون. بعد أن عاد إريك من حمامه، مرتديًا الجينز وقميص أكسفورد أخضر، كان بخير في البداية، كما لو أن الجعة هدَّأته بدرجة كافية بحيث أجرى بالفعل محادثة قصيرة لائقة مع جاك. ولكن مع استمرار الأمسية، بمجرد أن شرب الجميع كثيرًا، بدأ إريك في انتقاد زوجته. بدأ الأمر بالطعام. لقد طلب أن يتم إحضار الملح والفلفل إلى المائدة، رغم أنه كان يجلس الأقرب إلى المطبخ. بعد أن أحضرتهما مارجريت له، قام برش كميات كبيرة من كليهما على طبق ضلوع اللحم المطهو ببطء الخاص به، ثم مرر زجاجات الملح والفلفل إلى جاك وقال: «لا تكن مهذبًا يا جاك، إن مارجريت لا تفهم كيف تتبل الطعام».

قال جاك: «أعتقد أن مذاقه مثاليّ»، رغم أنه كان عليه أن يعترف بأن الطعام كان متبلًا أقل من اللازم بقليل.

- إنه يتصرف بتهذيب فحسب يا عزيزتي، لا أقصد الإهانة. لكن الطعام كان ينقصه الملح.

قالت مارجريت: «أعتقد أن لدينا براعم تذوق مختلفة».

قال إريك بصوت بدا كما لو كان يكبح غضبه: «في الواقع، هذا ليس صحيحًا علميًا حتى، لكن لا يجب علينا الخوض في ذلك الآن».

بعد تلك المناقشة، كانت هناك وقفة قصيرة في المحادثة، حيث كانوا جميعًا يلتهمون طعامهم. كسرها جاك بإخبارهم قصة القائمة التي تلقاها عبر البريد. لم يكن يخطط لإخبار أي شخص عن ذلك، لكنها بدت كأرض محايدة، والتي في نطاقها ستعود الأمسية إلى مسارها الصحيح.

قالت مارجريت بعد أن أخبرهما جاك عن عرض حماية الشرطة: «إذن فهم يأخذون الأمر على محمل الجد».

- أظن ذلك، لقد أمضوا بالتأكيد وقتًا أطول في طرح الأسئلة بدلًا من الإجابة عنها، لذلك ليس لدي أي فكرة عما يدور حوله الأمر.

قال إريك: «أنت مؤلف ذو شأن عظيم. أنا متأكد من أن لديك بعض الأعداء بالخارج هناك».

- ربما، لا أعلم. لكنني لم أتعرف على أي من الأسماء الأخرى.

قالت مارجريت وهي تسكب المزيد من النبيذ الأحمر الذي أحضره جاك: «إذن، هل هناك شرطي يجلس بالخارج الآن؟».

- كلا، لقد رفضت حماية الشرطة. لقد حاولوا جاهدين إقناعي، لكن بدا الأمر وكأنه مضيعة للوقت. علاوة على ذلك، سوف أسافر غدًا. إنني فقط لست قلقًا بشأن ذلك.

- هل مات أشخاص آخرون ممن هم على القائمة؟

- مرة أخرى، لم يخبروني بالكثير، لكنني بحثت عن بعض الأسماء وهناك بعض الوفيات المشبوهة مؤخرًا، لذا فمن يدري. ربما أنا فقط لا أكترث بهذا القدر. أعلم أن هذا يبدو شنيعًا، لكنني رجل عجوز، وقد عشت معظم حياتي. إذا أراد شخص ما إطلاق النار عليَّ، فماذا يهمني؟

كانت التَحْلِيَة عبارة عن بودينج الزبدة بالكراميل، وهو شيء اعتادت والدة جاك أن تصنعه في عصر الديناصورات! أعاده المذاق الأول بالزمن إلى الوراء بضراوة لدرجةٍ -تقريبًا- كان يصعُب تحملها.

قال جاك: «لم أتناول بودينج الزبدة بالكراميل منذ أن كنت طفلًا»، ثم تساءل عما إذا بدا ذلك كإهانة.

قال إريك وهو يضم شفتيه: «إنه حلو للغاية».

قال جاك: «إنه لذيذ».

قالت مارجريت: «شكرًا».

اعتقد جاك أنها بدت متعبة، كما لو أن الليلة قد أرهقتها. وقرر أنه بمجرد أن ينهي طبق الحلوى الخاص به، سيقول إن الوقت قد حان لمغادرته. ولسوء الحظ، بينما كان يستعد لإعلانه، سأله إريك عن كتابه، كما لو كان ينتظر إلى ما بعد الوجبة.

- لقد طلبته من أمازون، لذا لم أقرأه بعد، لكني قرأت التعليقات. إنك معلِّم يا رجل.

كان جاك قد فقد منذ وقت طويل أي اهتمام بعالم الأعمال، أو بكتابه، لكنه جلس بأدب مع إريك، ومنحه فلسفة الصورة الكبيرة لنهجه، متطرقًا إلى وضعه الاستشاري. حتى إنه أفصح عن بضع قصص ممتعة من جولة الكتاب التي استمرت ستة أشهر والتي قام بها بعد وصول الكتاب إلى قائمة الكتب الأكثر مبيعًا بـ «نيويورك تايمز». قامت مارجريت بتنظيف الطاولة، واحتسى إريك الجعة بينما تناول جاك كوبًا من الشاي. في عالم أكثر مثالية، تخيل جاك أن إريك هو من ينظف الطاولة بينما يتحدث هو ومارجريت عن أي شيء سوى العمل. بعد الانتهاء من تناول الشاي الخاص به، نهض جاك واقفًا وأعلن أنه قد تجاوز موعد نومه. عند الباب، شكرته مارجريت على قدومه، ووجهها يلمع من غسل الأطباق، وأخبرها جاك أن هذه كانت أفضل وجبة تناولها منذ سنوات.

قال إريك، الذي كان يقف على بعد قدمين خلف مارجريت: «إذن عليك أن تذهب إلى «كوارتو» في وسط المدينة يا رجل، إذا لم تكن قد ذهبت. إنه المطعم الأفضل في هارتفورد. صدقني، أفضل بكثير مما تناولناه الليلة». كان يؤرجح قبضته الكبيرة قليلًا، حول زجاجة الجعة، وتخيل جاك للحظة السعادة المطلقة التي سيحصل عليها من لكم هذا الرجل في أنفه.

كان الجو باردًا في الخارج، ولكن المطر قد توقف، ووقف جاك للحظة أمام باب منزله، مستنشقًا أنفاسًا عميقة من الهواء النقي. مرت سيارة ببطء، معكرةً البرك الصغيرة في الشارع. لم يشعر بالخوف، رغم أنه تساءل كيف سيكون الشعور بالخوف من الموت. حاول أن يتخيل ذلك، لكنه أخذ يتساءل بعد ذلك عن شكل المحادثة في منزل جيرانه في هذه اللحظة بالذات. سيجعلها إريك تشعر بالسوء حيال شيء قالته أو فعلته أو طهته في ذلك المساء. فكر جاك أنها ربما ستتركه يومًا ما، رغم أنه يشك في ذلك. فتح باب منزل طفولته وتقدم نحو الردهة وهو يشعر بالارتباك للحظة، لقد كان يشم رائحة بودينج الزبدة بالكراميل في المنزل، على الرغم من أن ذلك كان مستحيلًا.

***

(2)

الجمعة، 23 سبتمبر، 9:10 صباحًا

قال آرون برلين: «إنه لا يريد أن يؤذيهم».

كان في مكتب روث جاكسون، وكان الباب مغلقًا. عُرِضَ عليه كرسي لكنه كان ما يزال واقفًا.

- لقد قام بإيذاء فرانك هوبكنز، أليس كذلك؟

- إن فرانك حالة شاذة. وقد اعتقدت جيسيكا ذلك أيضًا. لقد أُغْرق، لذلك عرف أنه سيموت. كان لديه الرسالة، لكنها لم تكن مختومة لذا فقد قام شخص ما بتسليمها إليه مباشرة. لقد كان في السبعينيات من عمره.

- جاك راديبو في السبعين من عمره.

- لذلك فكلاهما حالة شاذة.

قالت روث: «كم عدد الحالات الشاذة المسموح بوجودها على قائمة من تسعة أسماء؟»، لم تكن قد غيرت وضعيتها، متكئة على كرسيها المريح، منذ أن دخل آرون المكتب.

- تبًا روث، وكيف لي أن أعرف. يا إلهي!

عبست قائلةً: «أعلم أنك منفعل بسبب ما حدث مع جيسيكا، لكن لا تُلقِ بالأمر على عاتقي، حسنًا؟».

- آسف، إنكِ محقة. أنا لا أتذكر حتى ما جئت لأخبركِ به.

- أنه لا يريد أن يؤذيهم.

- صحيح. فباستثناء فرانك هوبكنز، أصيب ماثيو بومونت برصاصة في ظهره، وتسمم آرثر كروز بالغاز في أثناء نومه، وأصيبت جيس من الخلف أيضًا. وكأنه لا يريدهم أن يعرفوا بأنه قادم.

قالت روث: «دونالد بينيت عرف أنه قادم، أو ربما كان يعرف».

استغرق آرون لحظة للتعرف على الاسم. كان دونالد بينيت هو الشخص الآخر الميت في مكان الحادث، وهو رجل محلي على الأرجح تم إحضاره إلى هناك من قبل الشخص الذي أطلق النار على جيس. على الأقل كان من الواضح أنه لم يركب سيارة جيس. قالت تيري ميشود، وهي نادلة في حانة «لوبستر بوت»، أن دونالد بينيت -وهو زبون منتظم- قد غادر الحانة مع رجلٍ غريبٍ دفع نقدًا، رجلٍ ذي مظهرٍ دهني وقصة شعر موليت. تفيد النظرية الحالية بأن دونالد بينيت قد تم تجنيده من قبل الشخص الذي أطلق الرصاص على جيسيكا.

قال آرون: «لقد فكرت فيه أيضًا. إذا كان بينيت قد وافق على مساعدة القاتل، لإيصال جيس بطريقة ما إلى هذا المكان المعزول، إذن فبينيت مذنب أيضًا. لذلك لا يهم كيف يموت».

نفض آرون قطعة من الوبر عن بنطال بدلته.

- إذا كنت بريئًا، فهو يتأكد من أنك تموت دون أن تعلم أن ذلك يحدث.

قالت روث: «إنها نظرية».

- مما يعني أن فرانك هوبكنز كان مذنبًا بشيء ما. لكنه مات أولًا حتى لا نتمكن من استجوابه تمامًا بشأن هذا الموضوع.

قالت روث: «انظر، هل يمكننا تأجيل هذا في الوقت الحالي؟ فلدي بعض المكالمات الهاتفية لأجريها».

- أوه، حقًا. أنا آسف. لقد جئت إلى هنا فحسب لمعرفة ما إذا كان هناك أي شيء جديد.

- لقد مرت ساعة.

- إذن...

قالت روث: «في الواقع، هناك شيء جديد».

ابتسمت، أما آرون، الذي كان يحب روث، فقد أراد فجأة أن يصفع تلك الابتسامة على وجهها.

- لقد وجدوا جاي كوتس.
- ماذا؟ حيًا أم ميتًا؟
- على قيد الحياة. إنه في مدينة «ديكاتور»، جورجيا. لقد تلقى الرسالة لكنه ألقى بها. هذا كل ما أعرفه عن الأمر.
- كم عمره؟
- كما قلت لك، هذا كل ما أعرفه عن الأمر. إنه رجل تقني أو شيء من هذا القبيل، لذلك على الأرجح ليس متقدمًا في العمر لهذه الدرجة. إنه ليس متقاعدًا على أي حال.
- حسنًا. إذن هؤلاء هم الجميع الآن باستثناء أليسون هورن.
- يبدو هذا صحيحًا.

قال آرون، وهو يتطلع للخارج من نافذة روث إلى موقف السيارات أدناه: «هل سيستجوبون جاي كوتس بشأن والديه؟».

- أنا متأكدة من أنهم سيفعلون، آرون. إنني واثقة من أنهم سوف يسألونه عن كل شيء.
- كان هذا أحد الأشياء التي قالتها لي جيسيكا، آخر مرة تحدثنا فيها وجهًا لوجه. قالت إنها إذا كانت مكلفة بالقضية، فإنها ستنشئ ملفًا تعريفيًّا للآباء والأمهات، وستبحث عن أوجه التشابه هناك، وأن الإجابة كانت موجودة هناك.

قالت روث: «أعتقد أنها كانت محقة في ذلك».

وتحركت بشكل جزئي، وهي تميل بكرسيها إلى الأمام.

- هل سمعتِ شيئًا؟
- لن أخبرك بكل شيء أسمعه لأنني في الوقت الحالي أشعر بالقلق قليلًا حيالك، آرون.

- أوه، هناك رابط بين الآباء والأمهات؟

حركت روث كرسيها بوصة أخرى واستقرت قدماها بقوة على الأرض.

- لا أعرف إن كان هناك رابطٌ، ما أعرفه هو أنه جغرافيًا، إذا نظرت إلى الأهالي، فستجدهم متكتلين بشكل عام في منطقة نيو إنجلاند.

- ذلك مثير للاهتمام.

- والآن بعد أن أعطيتك المعلومة الوحيدة التي يجب أن أعطيها لك، فأنا بحاجة إلى أن أدعك تذهب. إنني أكلفك بقضية برووندي لتكمل من حيث توقفت جيسيكا.

- ظننت أن إلين ستفعل ذلك.

- كانت، والآن لم تعد، الآن أنت من سيفعل، مما يعني أنك بحاجة إلى أن تكون مستعدًا للإدلاء بشهادتك، على الرغم من أن احتمالية إحالة الأمر للمحاكمة أقل من الصفر.

***

عندما عاد إلى مكتبه، نظر آرون إلى ملفات قضية برووندي لكنه لم يستطع التركيز. في الجزء الخلفي من درج الملفات الخاص به كان هناك نصف لتر من ويسكي دوار وكأسان قصيرتان. كان يتخيل دومًا أنه في وقت متأخر من ليلة ما في أثناء العمل بالمكتب سيخرج الزجاجة والأكواب ويتناول مشروبًا مع زميل. لقد رأى ذلك يجري بما يكفي في مسلسلات الشرطة الغبية. لكن بطريقة ما لم يحدث ذلك قط. ترك الزجاجة تنزلق في الجيب الداخلي لسترة بدلته وصعد إلى الطابق العلوي حيث الحمام الهادئ في الطابق الخامس. قام بحبس نفسه هناك في مقصورة، وجلس على غطاء مقعد المرحاض، واحتسى بعض الويسكي. ثم وضع وجهه في كلتا راحتيه وراح يبكي في صمت قدر استطاعته لما يقرب من دقيقتين.

***

(3)

الأربعاء، 28 سبتمبر، 5:45 مساءً

كان جاي كوتس، المتخصص في الأمن السحابي[1]، والذي يبلغ من العمر 41 عامًا ويعيش في ديكاتور، جورجيا، قد قرر أخيرًا أنه ارتكب خطأً فادحًا عندما أخبر الشرطية التي بدت جميلة عبر الهاتف بأنه: نعم، استلم قائمة غامضة في البريد منذ قرابة الشهر. كان عليه أن يعترف بكذبته بمجرد أن ظهر العميلان الفيدراليان في مبنى شقته وسألاه عما إذا كان سيعود معهما إلى مكتبهما للإجابة عن الأسئلة. لكن الرجلين، كلاهما يرتدي بدلة رمادية، وكلاهما بشعر رمادي، على الرغم من أن أحد الضباط كان أبيض البشرة والآخر ذا بشرة سوداء، كان لهما مظهر جاد للغاية، ولديهما مثل هذه الأصوات العميقة، بحيث لم يستطع جاي حمل نفسه على الاعتراف بأنه لم يتلقَ قائمة قط من قبل.

«هل سيتم استجوابي من قبل المرأة التي اتصلت بي؟ لقد قالت إن اسمها الضابط تشين». قالها جاي، وبدا الرجلان في حيرة من أمرهما.

---

(1) الأمن السحابي هو حماية البيانات المخزنة عبر الإنترنت عبر منصات الحوسبة السحابية من السرقة والتسرب والحذف. تشمل طرق توفير الأمان السحابي جدران الحماية، واختبار الاختراق، والتشويش، والترميز، والشبكات الافتراضية الخاصة، وتجنب اتصالات الإنترنت العامة. الأمن السحابي هو شكل من أشكال الأمن الإلكتروني.

هزَّ الرجل ذو البشرة السوداء -والذي كان الأكبر سنًا- رأسه ببطء، وقال: «نحن سنقوم باستجوابك».

قاموا بإحضاره إلى غرفة استجواب بها معدات تسجيل وعازل للصوت على الجدران، عرف حينها أنه لا يستطيع قول الحقيقة. لحسن الحظ، لم يكن من الصعب جدًّا أن يكذب. عندما تحدث إلى الشرطية اللطيفة عبر الهاتف، منحته تفاصيل كافية حول القائمة حتى يتمكن من الحديث عنها بصورة معقولة.

قال لها: «لقد حصلت على قائمة كهذه، أعتقد أنني فعلت على أي حال».

- هل يمكنك وصفها؟
- آه، لقد كان ذلك منذ فترة. كما قلتِ، ربما قرابة شهر.
- هل كانت تسعة أسماء مدرجة في ورقة بيضاء، بما في ذلك اسمك؟
- أجل، يبدو ذلك مألوفًا.
- هل تعرفت على أي من الأسماء الأخرى؟
- لا أظن ذلك.
- هل تتذكر أيًا من الأسماء الأخرى الآن؟
- كلا. إنني أتذكر فقط أن اسمي كان على القائمة. آسف.
- لا تتأسف. لا بأس بذلك إطلاقًا. أعني، لماذا سيخطر لك أنه قد يعني أي شيء على الإطلاق...
- صحيح، أعلم ذلك. صحيح.

لذلك أخبر العملاء ببساطة بما أخبر به الشرطية تشين عبر الهاتف. أنه لم يتذكر التاريخ بالضبط، أو أيًا من الأسماء الأخرى، لكن اسمه كان مدرجًا فيها. جاي كوتس. وبعد انتهاء المقابلة، قرر أن الأمر سيكون على ما يرام، وأن أحدًا لن يكتشف أبدًا أنه كان يكذب، تمامًا كما لم يكتشف أحدٌ مطلقًا تلك المرة في المدرسة الثانوية عندما أخبر أفضل صديقين له أنه فقد عذريته في معسكر المبارزة.

لكن كان قد مر الآن ما يقرب من أسبوع، وعندما يغادر مبنى شقته المكون من أربع وأربعين وحدة، يكون متنبهًا دومًا للشيفروليه التي لا تحمل علامة مميزة والتي تلاحقه حتى ساحة انتظار المكتب حيث كان يعمل. وعندما يعود ليلًا ويسير في وقت مبكر من الغسق من موقف السيارات إلى مدخل بنايته، يشعر بأنه مراقب. لقد طُلِبَ منه أن يمارس حياته بشكل طبيعي قدر الإمكان، ولكن عليه تنبيه العميل المسؤول دائمًا -رجل آخر يرتدي حلة رمادية، ولكن دون أي شعر استحال لونه إلى الرمادي- إذا كان يخطط لفعل أي شيء، أو سيذهب إلى أي مكان، خارج جدوله المعتاد. لكنه لم يفعل. كان يذهب للعمل ذهابًا وإيابًا فحسب، وكان يطلب الطعام من الخارج كل مساء. الليلة، كان يطلب البيتزا مرةً أخرى، على الرغم من علمه بأنه لا يجب عليه ذلك، حتى إنه وجد نفسه يضيف جبنًا إضافيًا إلى البيتزا البيروني الكبيرة الخاصة به، ثم طلب زجاجة بسعة 2 لتر من مشروب «دكتوربيبر». لعب لعبة «دارك سولز2» في أثناء انتظار البيتزا الخاصة به، ثم شاهد فيلمًا وثائقيًا عن أسماك القرش بينما كان يتناول الطعام.

عندما ذهب للنوم في تلك الليلة فوق عدة وسائد، لأن ارتجاعه الحمضي كان قد عاوده مرة أخرى، أخذ يفكر في خيالات اعتادت أن تراوده، حيث كان يخضع فيها لتجربة ما دون أن يعرف. فعلى غير دراية منه، يقوم العلماء بزرع أجهزة تسجيل في عينيه وأذنيه حتى يتمكن الفريق من مراقبة متوسط العمر -متوسط عمره- أربع وعشرون ساعة في اليوم. سوف يرون العالم كما يراه. في هذه الخيالات، كان يتخيل مجموعة من المُرَاقِبين يراقبون كل تحركاته، يرون الطريقة التي يصنع بها بيضه المخفوق في الصباح، والطريقة التي ينظف بها صحونه، والأشخاص الذين يتحملهم في العمل دون أن يشتكي أو ينفس عن غضبه أبدًا. سيدون العلماء الملاحظات، سيحاولون أن يكونوا موضوعيين غير منحازين، لكنهم لن يكونوا قادرين على مراقبته دون إبداء إعجابهم بحياته البسيطة، بذكائه وطيبته، وسيدركون أيضًا كيف يبدو ألَّا أحد من حوله يكترث. سيدركون أنه لم ينل التقدير في أي شيء. لقد استهان به الناس، أو كانوا وقحين أو غير مكترثين. في بعض الأحيان كان يدع الخيالات تستمر حتى يتخيل إحدى العلماء تترك وظيفتها، وتتخلى عن مهنتها، لكي تستطيع أن تأتي وتبقى معه. اعتاد أن يفكر في أن تلك الخيالات

ستصنع كتابًا رائعًا، وربما حتى فيلمًا أفضل، وفكر في كتابته بنفسه، لكنه كان يعلم أنه على الأرجح لن يفعل أبدًا.

لكن الآن، وبعد أن كان يراقبه ضباط شرطة مجهولون في سيارات رمادية، لم يكن متأكدًا من مدى إعجابه بالأمر. لقد تساءل عما إذا كانوا ينظرون إلى سجل تصفحه للإنترنت أيضًا، ولهذا السبب، فمنذ أن أخبر تلك المرأة على الهاتف بأنه كان على القائمة، توقف عن تصفح مواقع إلكترونية معينة، ولقد افتقدها الآن بشدة.

مستلقيًا في فراشه الآن وعيناه مغلقتان، أخذ يستحضر صورة إيفي أرورا، فتاة الكاميرا التي لطالما كانت سعيدة برؤيته، في السابق في الأيام الخوالي قبل أن يتلقى تلك المكالمة الهاتفية من مكتب التحقيقات الفيدرالي.

***

(4)

السبت، 1 أكتوبر، 10:30 صباحًا

كان جاي كوتس، جاي كوتس الذي يعيش في لوس أنجلوس، كاليفورنيا، يستعد لمحادثته الأسبوعية مع والدته عن طريق القيام ببضع حركات تاي تشي بينما كان يحدق خارجًا من نافذة شقته إلى السماء ذات الضباب الدخاني.

رن هاتفه مباشرةً بالوقت المناسب.. 10:30 وقته، 12:30 وقتها.

قال: «مرحبا أمي».

- مرحبا يا عزيزي. أنا لا أتصل بك في وقت سيئ، أليس كذلك؟

- كلا. لقد كنت أتوقع مكالمتكِ.

- أوه، جيد. لقد أنهيت غدائي للتو.

قال جاي: «ماذا تناولتِ؟»، ثم أنهى حركاته والهاتف في يده بمجرد أن سمعها تقول شيئًا عن سلطة طماطم.

- هل أنت هناك يا عزيزي؟ أعتقد أن الاتصال ينقطع.

- أنا هنا.

- أوه. جيد. حدثني عنك، هل حصلت على ذلك الإعلان الذي كنت تسعى إليه؟

- لقد أرادوا مني ذلك، لكنني رفضته. أعني، كان من الممكن أن يكون المال جيدًا، لكن ليس هذا ما جئت إلى هنا لأفعله، كما تعلمين.

استطرد ليخبرها عن مسرحية رائعة كان سيشارك فيها، وعندما سألته عما إذا كان بإمكانها القدوم لرؤيتها، أخبرها أنها كانت تعرض فقط من أجل المُطَّلعين على شؤون الصناعة. لم يكن واثقًا من أنها صدقته، لكنها تابعت حديثها. كان من الصعب الكذب بشأن النجاح في التمثيل، لأن التمثيل كان أداءً عامًا ظاهرًا للعلن. في بعض الأحيان كان يخبرها أنه يكتب سيناريوهات أيضًا، وأنه قد باع القليل منها، رغم أنه من يعلم متى سيتم إنتاجها. لقد أرادت دائمًا أن تعرف ما إذا كان قد كتب دورًا لنفسه، كما فعل مات وبن في فيلم (Good Will Hunting[1])، وقد أخبرها أنه لم يكن بذلك الغرور. لقد نشأت والدته في كامبريدج، ماساتشوستس، وكانت تتصرف كما لو كانت تمت بصلة بطريقة ما لـ«مات ديمون» و«بن أفليك»، وتتحدث عنهما باستمرار.

- هل سمعت ما قلته للتو، جاي؟

- ماذا؟ آسف، لقد فقدتكِ هناك للحظة.

- لدي بعض الأنباء بخصوص والدك.

غالبًا ما كان لديها أخبار عن والده، رغم حقيقة أنه تركها منذ أكثر من عشرين عامًا. قال جاي: «أوه، وما هي؟».

- أنت تعلم أنني لا أتابعه على الفيس بوك، لكن صديقتي ستيلا لا تزال تفعل، وقد أخبرتني أنه يحاول بيع مكملات الفيتامينات أو شيء من هذا القبيل. قالت إنها قد بدت وكأنها عملية احتيال كاملة، وجعلني هذا أعتقد أنه بحاجة ماسة إلى المال.

- إنه فاشل يا أمي، أنت تعرفين ذلك.

- ليس لدي مشاعر دافئة تجاه والدك، كما تعلم جاي، لكني لا أحب أن أسمعك تقول ذلك.

- إذن، توقفي عن الإتيان على ذكره.

---

(1) فيلم دراما أمريكي صدر في 1997 من إخراج جس فان سانت وبطولة مات ديمون وبن أفليك وروبين ويليامز.

- حسنًا عزيزي، أسمعك بصوت عالٍ وواضح. لن أتفوه بكلمة أخرى بشأن هذا. ما هي الأفلام التي شاهدتها مؤخرًا؟ لقد شاهدت للتو فيلمًا جيدًا للغاية لــ «برادلي كوبر».

بعد عشرين دقيقة، وبعد عدة محاولات فاشلة، تمكن جاي من إنهاء المكالمة مع والدته. ولتهدئة نفسه، قرر أن يذهب للركض. وبينما كان يربط حذاء الجري الخاص به، ذهب عقله إلى جيريمي إيفانز، أفضل صديق له من المدرسة الابتدائية، وإلى المرة التي حصل فيها جيريمي على زوجين من أحذية «إير جوردانز» الرياضية في عيد ميلاده الثاني عشر. لقد شعر جاي بالغيرة الشديدة من الحذاء الفاخر، لدرجة أنه اقتحم غرفة نوم جيريمي الأرضية عن طريق نافذة مفتوحة خلال ساعات الكنيسة، وسرق زوجي الأحذية الإير جوردانز، وألقى به في مكب نفايات خلف متجر للبقالة. لم يكن قد فكر في ذلك لسنوات، ربما كان اقتران سماع صوت والدته على الهاتف بربط حذائه الرياضي قد جعل تلك الذكرى تثور وتطفو. وجد نفسه يستمتع بالتذكر. لقد كان حزن جيريمي على فقدان تلك الأحذية الرياضية كتجربة بالغة الأهمية لجاي. لقد فعل شيئًا في الخفاء جعل شخصًا آخر يشعر بالسوء وجعله يشعر بالرضا. لقد كانت لحظة تحول.

بعد تجهيز مزيج موسيقى الركض الخاص به، غادر شقته، وهو يفكر بأنه سيركض لثلاثة أميال على الأقل.

***

(5)

الأربعاء 5 أكتوبر، 8:49 مساءً

لا يزال إيثان وكارولين يتراسلان عبر البريد الإلكتروني، لكنهما أمضيا وقتًا أطول على الهاتف مؤخرًا، حتى إنهما استخدما تطبيق (sky p) «سكايب». اعتقد إيثان أحيانًا أن استخدام سكايب هو الطريقة الأكثر أمانًا للمحادثة. لقد افترض أن الشرطة أو مكتب التحقيقات الفيدرالي أو حتى قاتل مجنون ما كانوا يسترقون السمع بانتظام لأي محادثة تجري بين هواتفهم الخلوية. لقد أشعره سكايب بالخصوصية بطريقة ما، حتى لو لم يكن كذلك. كان ذلك يعني أيضًا أن بإمكانه النظر إلى كارولين بدلًا من النظر فقط إلى الكلمات التي تكتبها أو الاستماع إلى صوتها في الهاتف الخلوي. لقد أصبح مفتونًا بوجهها. اعتادت والدته أن تجمع حيوانات خزفية صغيرة كانت ترتدي زيًّا مثل بشر صغار الحجم. كانوا يمتلكون اسمًا، على الرغم من أن إيثان لم يستطع تذكره، ربما مخلوقات الغابات، أو شيء من هذا القبيل، وكانت أمه كلما ضمَّت قطعة جديدة لمجموعتها، كانت تحدق إلى وجوههم الصغيرة وتقول مرارًا وتكرارًا كم كانوا لطفاء.

لقد كان وجه كارولين يذكر إيثان بمخلوق في الغابة، وهو شيء لم يكن قد أخبرها به مطلقًا. كانت تمتلك فمًا وأنفًا صغيرين، لكن كان لديها عينان كبيرتان وجبهة كبيرة، والتي أصبحت أكبر بسبب الشعر البُني الذي كانت تجذبه إلى الخلف دائمًا في صورة كعكة فضفاضة. كانت بشرتها شاحبة

لدرجة أنها بدت عاكسة تقريبًا، كما فعلت عيناها البنيتان الباهتتان. اعتقد إيثان أنها تتناوب في هيئتها بين فتاة صغيرة وسيدة عجوز. ومرة أخرى، كانت هذه أشياء لم يخبرها بها. لكنه قد أخبرها تقريبًا بكل شيء آخر. لقد أخبرها كيف أنه يقتات على العوائد الضئيلة من الأغنية الوحيدة التي باعها منذ أكثر من خمس سنوات، وهي أغنية تم تعديلها لتصبح إعلانًا تجاريًا للجينز. وحول كل علاقاته مع النساء، وعن خوفه من عدم امتلاكه للموهبة، وأنه كان يضيع حياته في السعي وراء حلم بعيد المنال. أخبرها عن علاقته التي استمرت لمدة عام مع فيبي فونسي، مغنية وكاتبة أغانٍ أخرى، وكيف ماتت بسبب جرعة زائدة من الأوكسيكونتين بينما كان يرقد نائمًا بجوارها. بل إنه أخبرها حتى بما فعله به صديق والديه بوب أونيل في الكثبان الرملية بالقرب من مكان مستأجر بـ «كيبكود» الذي تشاركوه جميعًا ذات أسبوع صيفي عندما كان إيثان في الثانية عشرة من عمره. وفي المقابل، تحدثت كارولين باستفاضة عن القوى المحركة لعائلتها وعلى وجه التحديد القسوة الخبيثة لأبيها وكيف أنه عندما واجهت والدتها بشأنه بعد وفاته بعدة سنوات، أخبرتها والدتها أنها قد تزوجت والدها لأنه كان قاسيًا، وليس على الرغم من ذلك.

ولقد تحدثا بشأن القائمة، ووجود الشرطة الذي أصبح جزءًا من حياتيْهما. وذات مرة، تحدثا في وقت متأخر من الليل عن وفاتهما الوشيكة، وما إذا كانا يعتقدان أن الشرطة ستقبض على من قتل فرانك هوبكنز وماثيو بومونت وآرثر كروز.

قال إيثان: «أعتقد أنهم سيمسكون به أو بها».

كان قد وضع عدة وسادات تحت رأسه، وكان مستلقيًا على جنبه، ينظر إلى كارولين وهي تفعل الشيء نفسه من منزلها في ميتشجان.

- حقًا؟

- لا أعلم. لقد توقف الآن لفترة على أي حال.

قالت كارولين: «هذا لأننا جميعًا مراقبون».

- لكنهم لا يستطيعون مراقبتنا إلى الأبد. أعتقد أنه يتحين فرصته فحسب.

- ربما كنتِ محقة. لقد قتل أكبر عدد ممكن منا قبل أن يخرج وجود الشرطة عن السيطرة، والآن هو ينتظر فحسب. ليس هناك داعٍ للعجلة، إلا إذا اكتشفوا من هو.

قالت كارولين: «آمل ذلك».

- لقد قرأت في مكان ما، أن البشر لا يستطيعون في الواقع أن يتصوروا وفاتهم، وأنه إذا كان باستطاعتنا ذلك لشللنا جميعًا من الخوف.

- إنني أدرس الشعر من أجل لقمة العيش، وصدقني، لا بد وأن يكون الشعراء استثناء لتلك القاعدة بالذات. فلديهم الكثير من التصورات عن الموت.

قال إيثان: «ماذا عن طلابك؟».

عبست كارولين، ثم ضحكت.

- أعتقد أنك ترمي لشيء ما هناك. من المؤكد أن طلابي ليس لديهم تصور بأنهم سيموتون يومًا ما، ولهذا السبب على الأرجح يبدو أنهم غير متأثرين بالشعر.

لم يرد إيثان على الفور؛ كان عقله يحاول إماطة اللثام عن فكرة. أصبحت حالات الصمت هذه –الصمت المريح، في أغلب الأحيان– جزءًا من روتينهما، خاصةً عندما يتحدثان عبر سكايب.

قال أخيرًا: «قد يمسكون به؛ من الواضح أن لديهم خيطًا».

- أوه، لقد عدنا إلى ذلك. هل تعني أن والدينا هم الخيط؟

- أها.

قبل عدة أيام، اتصل عملاء فيدراليون مختلفون بكل من إيثان وكارولين، وطرحوا عليهما أسئلة حول والديهما. بعد ذلك بوقت قصير، تم استجواب والديهما أيضًا. تحدث إيثان مع والدته مباشرة بعد أن تم استجوابها، وأخبرته أنهم كانوا يمتلكون قائمة طويلة من الأسماء لأناس كانوا يتساءلون إن كانت تعرفهم.

سأل إيثان: «كارولين جيديس؟ جاي كوتس؟ جيسيكا وينسلو؟».

- لا أعتقد ذلك. تبدو الألقاب مألوفة. لقد سألوني عن واين كوتس، وأخبرتهم أنني أعرف واين تشالفانت، إنك تتذكره، أليس كذلك؟ ذلك الرجل المعاق ذهنيًا اللطيف الذي يعمل في متجر البقالة؟

- إذن لم تعرفي أيًا من الأشخاص الفعليين الذين ذكروهم؟

- كلا، لم أفعل يا عزيزي، لكن ربما أصبحت عجوزًا وكثيرة النسيان. أعني، هذا ما يقوله لي والدك، على أي حال.

قال لها وهو يكذب: «لا أظن أنكِ أصبحت كثيرة النسيان يا أمي. وفي الحقيقة، إن العملاء يتقصون فحسب. ماذا عن ماري لويز جوتيه؟ أو ميج جوتيه؟».

توقفت لفترة وجيزة، ثم قالت: «أجل، أعتقد أنهم سألوني عنها. لماذا؟ هل تعرف كل هؤلاء الأشخاص؟ أتمنى أن تخبرني أكثر يا إيثان، فأنا لا يعجبني ما يحدث لطفلي الصغير».

كان جوتيه هو الاسم الأول لوالدة كارولين قبل الزواج، وقد تحقق إيثان من أن العملاء سألوها عن والدته أيضًا. ولهذا السبب كان من الواضح أن هناك دليلًا يتبعه مكتب التحقيقات الفيدرالي. قد يكون دليلًا خاطئًا -ربما كان دليلًا خاطئًا- لكنهم اعتقدوا أنهم قد وجدوا رابطًا ما يتعلق بوالدي الأشخاص المدرجين في القائمة.

قال إيثان في أثناء محادثته الأخيرة مع والدته «أمي. هذا سؤال غريب، لكن هل يمكن أن يكون هناك أي شخص يرغب بالانتقام منكِ؟ هل سبق وكان لكِ علاقة بإيذاء طفل ما ربما؟ أعني، عن طريق الخطأ فحسب؟».

كان هناك وقفة هي الأدنى، ربما كانت ملحوظة فقط لإيثان لأنه كان على دراية بإيقاعات خطاب والدته، لكنها قالت بعد ذلك: «بالطبع لا. لم أكن لأوذي أحدًا قط».

- كلا، أنا أعرف، أمي. لكن ماذا لو كانت حادثة أو شيئًا ما؟

كانت هناك وقفة طفيفة مجددًا، وللحظة ظن أنها ستقول له شيئًا مهمًا، لكن بدلًا من ذلك، قالت: «لا أعرف لِمَ تطرح عليَّ هذه الأسئلة».

***

كانت كارولين تشعر بالنعاس، وكان بإمكانه معرفة ذلك من الطريقة التي طوت بها وسادتها إلى نصفين للتو، وتركت رأسها يسقط عليها، وقال إيثان: «سوف أدعكِ تذهبين. هل تريدين أن نتحدث عبر سكايب غدًا؟».

تثاءبت، لكنها دعمت نفسها على مرفقها وقالت: «قرأت قصيدة بالأمس وفكرت فينا».

- أوه، حقًا؟

- إنها قصيدة نشرت مؤخرًا لفيليب لاركن، تُدْعَى (التقينا في نهاية الحفل).

- كيف تكون قصيدة نشرت مؤخرًا لفيليب لاركن؟

- نشرت بعد وفاته، كان علي أن أقول ذلك.

- هل ترغبين في قراءتها لي؟

- كلا، ليس الآن. أنت على حق، فأنا متعبة. لقد جعلتني أفكر فينا فحسب، كما لو أننا التقينا ولكن ربما فات الأوان.

- هذا يدعو للكآبة.

ابتسمت كارولين. كان لديها فم صغير ولكن ابتسامتها كانت كبيرة. استطاع رؤية لمعة في لثتها الوردية.

- إنه كذلك، أعرف. لكن لم يسعني سوى الشعور بذلك. ابحث عنها واقرأها.

- حسنًا، سأفعل.

بعد انتهاء المكالمة، نهض إيثان ليستخدم المرحاض، وينظف أسنانه ويحصل على كأس ماء من المطبخ. وفي أثناء مروره بالأبواب الزجاجية المنزلقة التي أدَّت إلى الفناء الخلفي الصغير، اعتقد أنه سمع شيئًا في الخارج. جذب الستارة جانبًا ليرى القطة الوحشية التي أسماها تاونز وهي تتغذى على طعام القطط الذي تركه في الباحة المرصوفة بالقرميد. كان القمر بدرًا، وكان هناك لمعان أصفر عبر الفناء الوعر حيث مقعد الحديقة، وشواية ويبر صدئة.

عندما عاد إلى الفراش، وجد قصيدة لاركن على الإنترنت؛ كانت قد نشرت في مجلة «النيويوركر» قبل بضع سنوات. كان من الواضح أنها عن التقدم

في العمر، والالتقاء بشخص ما والوقوع في الحب عندما لا يتبقى الكثير من الوقت، وقد أزعجه أن كارولين قد فكرت بهما عندما قرأتها. كان على وشك معاودة الاتصال بها، لكنه قرر بدلًا من ذلك أن يدعها تنام. سيكون أول ما يفعله في الصباح هو مراسلتها.



(6)

الخميس، 13 أكتوبر، 11:11 مساءً

لم يكن منزل جوناثان في برمودا كما توقعت أن يكون. لقد تخيَّلت أليسون قصرًا فاخرًا مبنيًا حديثًا في مجمع سكني مغلق، لكن بدلًا من ذلك وجدت نفسها في مستعمرة متداعية تعود إلى القرن التاسع عشر في شارع ضيق ملتوٍ في سانت جورج. كانت هناك حديقة مفرطة النمو، وكانت الغرف ملأى بالأثاث المتعفن والسجاد الشرقي المهترئ. لقد أحبت أليسون المكان هناك. كانت تركب دراجة بخارية صغيرة إلى خليج توباكو كل صباح وتسبح حتى تصاب بالإرهاق، ثم تلقي بنفسها تحت أشعة الشمس غير المحتملة. وفي فترات بعد الظهيرة، كانت لتنسحب إلى برودة المنزل بحجراته ذات السقف المرتفع. كان هناك إنترنت لاسلكي بالطبع، لكن فيما عدا ذلك، لم يكن هناك أي شيء عصري بالبيت على الإطلاق. كان المطبخ على الأرجح هو أحدث غرفة تم تجديدها، وربما حدث ذلك في وقت ما في الخمسينيات من القرن الماضي.

لم يكن البقاء مع جوناثان طوال اليوم هو ما كانت تتوقعه أيضًا. لقد أمضى الكثير من الوقت في مكتبه على حاسوبه المحمول، أو يتلقى مكالمات هاتفية في الحديقة، لكنه كان يتمشى معها كل مساء قرابة الساعة السادسة عندما يكون النهار قد أصبح باردًا. كانا يدوران حول حديقة هادئة تفوح منها رائحة الزهور، وذراعها مرتبطة بذراعه. لقد تغير فيه شيء ما منذ رحيل

زوجته. كان أكثر برودة، وأكثر هدوءًا، لكنه كان عرضة لطرح أسئلة غريبة مفاجئة. هل اعتقدت أليسون أن أي شخص في العالم كان سعيدًا حقًا؟ هل آمنت بتدخلات القدر؟ كان من الممكن أن تكون تلك هي شخصية جوناثان الحقيقية، وهي فقط لم ترها تظهر قط خلال لقاءاتهم الأسبوعية. حتى إنه قد توقف عن رغبته في مطارحتها الغرام، رغم أنه بدا سعيدًا لوجودها معه في فراش بحجم ملكي ذي أربع قوائم. كان ليغفو ويده فوق فخذها وعلى صدره يجثم كتاب ذو غلاف ورقي. في بعض الليالي كانت تراوده أحلام سيئة تجعله يقول كلمات يصعب فهمها. ذات مرة، عندما راح يئنُّ، أيقظته، ونظر إليها كما لو أنه ليس لديه أي فكرة عمن كانت.

كان المنزل ملكًا لوالديه، ولقد كان يذهب إلى هناك منذ أن كان طفلًا صغيرًا. كانت هناك صور عائلية مؤطرة معلقة على طول ردهة الطابق العلوي، وكان هناك لُوح زيتية في غرفة الجلوس الكبرى: واحدة لوالديه، وواحدة لكل من جوناثان وأخته، عندما كان كلاهما طفلًا صغيرًا، على الأرجح في الثامنة والعاشرة. سألته عن عائلته، ولم يكن ليقول الكثير، فقط إن جميعهم قد رحلوا الآن، وإنه ربما كان عليه بيع المنزل عاجلًا وليس آجلًا. كانت هناك امرأة محلية تأتي بعد ظهر كل يوم لتنظيف المنزل، وكان جوناثان يحرص دائمًا على التحدث معها؛ قال إنهما يعرفان بعضهما بعضًا منذ خمسين عامًا، وهي أطول فترة عرف فيها شخصًا ما. كانت تقوم بالقليل من التنظيف، فقط بعض التنفيض والكنس باستخدام المكنسة الكهربائية، لذلك بدأت أليسون عدة مشاريع منزلية بمفردها، وشقّت طريقها في الغالب من خلال الخزائن ومساحات التخزين، تبحث عن الفضة لتلميعها، أو عمل فني جديد لإظهاره. ذات يوم، عثرت على مجموعة من أكواب الكوكتيل المحفورة من الستينيات، وقامت بتنظيفها وقدمت فيها مشروب الروم سويزل لجوناثان عندما حانت ساعة الكوكتيل. لكن أفضل اكتشاف لها كان كاميرا كوداك انستماتيك قديمة، على الأرجح تعود أيضًا إلى الستينيات، بالإضافة إلى صندوق كامل من الأفلام. شرعت في التقاط صور للمنزل وللقرية، دون أن تعرف ما إذا كان الفيلم لا يزال جيدًا. بعد أن أنهت بكرة الفيلم، أحضرتها إلى متجر معالجة صغير في هاميلتون وحَمَّضَتها. فكرت في أن الصور كانت جميلة. والآن كانت تشق طريقها عبر بقية البكرات، وهي تشعر كما لو أن الكاميرا القديمة -ربما

مجتمعة مع المنزل القديم، وهذا الجزء الجديد من العالم- قد أشعلت شغفها بالتصوير الفوتوغرافي.

كان قد مر على وجودهما هناك أسبوع ونصف عندما أخبرها جوناثان أنه بحاجة إلى الذهاب في رحلة عمل إلى الساحل الغربي. وقبل أن ينهي كلماته انتابها شعور بالفزع. فهي لم ترغب في العودة إلى نيويورك. لم تكن ترغب في مغادرة هذا المنزل. لا بد أنه رأى ذلك في وجهها لأنه قال سريعًا: «ابقي هنا إن أردت، سأذهب فقط لمدة أسبوع أو نحو ذلك ثم سأعود إلى هنا مرة أخرى لأكون معك».

قد شعرت بالارتياح، لكن في اليوم الذي غادر فيه ليذهب إلى المطار كان هناك مطر غزير طوال فترة الظهيرة، وعاودها ذلك الشعور البارد المخيف بأن هناك شيئًا ما خطأ في حياتها. لم يكن ذلك كهاجس ما، لكنها شعرت بطاقة سلبية في عظامها. مستلقيةً تلك الليلة على الفراش الهائل ومحدقة إلى شبكة الشقوق على طول السقف المصفر، حاولت قمع ذلك الشعور من خلال تخيل نفسها تسبح في المحيط الأطلسي الدافئ، لكن صورة خليج توباكو ظلت تتحول إلى شيء آخر؛ مياه رمادية باردة تنكزها أمطار ثابتة، مدٌّ متراخٍ، نسور حائمة، صخور داكنة ومهدبة بالأعشاب البحرية.

نهضت من الفراش، وتجولت في الطابق العلوي من المنزل، لتنزلق بالنهاية أسفل ملاءات سرير ذات رائحة عطنة قليلًا في غرفة نوم بالزاوية. كان ورق الحائط منقوشًا بأزهار زرقاء صغيرة.



(7)

الجمعة، 14 أكتوبر، 12:02 مساءً

كان الخريف قد حل بالكامل الآن، الموسم المفضل لكارولين، وكانت القيادة من منزلها الريفي إلى منزل والدتها على الجانب الآخر من آن هاربور هادئة للغاية لدرجة أغرتها بتفويت الغداء مع والدتها ومواصلة القيادة فحسب.

كانت تستمع إلى ألبوم موسيقي لـــ «لوسيندا ويليامز» أوصى به إيثان، وكانت غالبية الأشجار في أوج ألوانها، برتقالية وصفراء وحمراء. تلونت السماء بلون أزرق بارد، وكانت الرياح المستمرة تلفح أوراق الأشجار الميتة في الهواء. شعرت كما لو كان بإمكانها البقاء في هذه اللحظة بالذات إلى الأبد، لكن والدتها كانت تنتظرها، وكان هناك شرطي يراقب كل خطوة من خطواتها. أوقفت سيارتها خلف سيارة والدتها الفورد توروس وسارت عبر حديقة المنزل الملأى بأوراق الأشجار المتناثرة حتى باب المزرعة المفتوح التي ابتاعتها والدتها قبل عامين لتكون أقرب إلى ابنتها.

كان الغداء عبارة عن طاجن منقن من الدجاج وسلطة السبانخ مع المكسرات وبذور الرمان. وكانت تلك علامة على أن والدتها كانت على ما يرام. فعندما كانت تشعر بالاكتئاب، كانت تصف نفسها بكلمة مكتئبة، وكان أحد أول الأشياء التي تتوقف عن القيام بها هو طهي وجبات لذيذة.

تناولا طعامهما في غرفة الطعام، وكلب ميج الأكبر من فصيلة لابرادودل يرقد أسفل الطاولة.

قالت كارولين مفاجئة نفسها: «لقد التقيت شخصًا ما».

قالت ميج وعيناها تتوهجان: «أوه، من يكون؟».

- كان يجب عليَّ التوضيح. لقد التقيت بشخص لطيف، لكنني لم أقابله فعليًا بعد، ليس وجهًا لوجه. إننا نتحدث عبر الهاتف، إنه مغنٍ وكاتب أغانٍ في تكساس.

- هذا مثير للاهتمام. كيف قابلته في المقام الأول؟

فكرت في الكذب، لكن أمها كانت بارعة في اكتشاف الكذب.

- إنه في الحقيقة على تلك القائمة الغبية، مثلي تمامًا. هكذا بدأنا في التحدث مع بعضنا.

أخذت أمها رشفة من نبيذ الريسلينج وقالت: «ألم يلقوا القبض على أحد بعد؟ هل يخبرونكم بأي شيء؟».

- إن كانوا قد ألقوا القبض على شخص ما، فهم لم يخبروني بذلك، ولا يزال رجال الشرطة يتعقبونني، لذلك يبدو الأمر غير مرجح. وأنا لا أعرف أي شيء عن الأمر أكثر مما تعرفينه.

فركت ميج جانب وجهها، ثم نظرت إلى طعامها.

- أعلم أنهم يراقبونك، لكني ما زلت آمل أن تكوني أكثر حذرًا. أنا قلقة للغاية...

- لا أعرف ما الذي بإمكاني فعله أيضًا لأكون أكثر حذرًا. إنني أنتظر فحسب حتى يلقوا القبض على من يفعل ذلك. إنهم لم يعاودوا الاتصال بك، أليس كذلك؟

- من هم الذين لم يعاودوا الاتصال بي؟

- مكتب التحقيقات الفيدرالي، الأشخاص الذين قاموا باستجوابك. لم يتصلوا مرة أخرى، أليس كذلك؟

- هل سيفعلون ذلك؟ لقد قلت لهم كل ما أعرفه، ولم يكن ذلك بالكثير على ما أظن.

كانت كارولين قد استجوبت والدتها بالفعل حول الأسئلة التي طرحها عليها مكتب التحقيقات الفيدرالي، وأقسمت والدتها أنها أجابت بصدق. على الرغم من أنها تصدقها، كانت كارولين تشتبه أيضًا في أن والدتها ربما تقوم بقمع ذكريات مهمة. لن تكون هذه هي المرة الأولى.

- أمي، هل تذكرين عندما انفصلتما أنت وأبي في المرة الأولى، مباشرة بعد مغادرة يوليوس للكلية؟

- أتذكر عندما غادر يوليوس إلى الكلية لأنه كان سعيدًا جدًا بالخروج من المنزل، لقد اعتقدنا أننا لن نراه مرة أخرى.

- لكن هل تذكرين طرد أبي من المنزل؟

- لقد غادر حينها، أليس كذلك؟ أخبرني أنه سيقيم في فندق واتضح أنه كان يقيم مع طالبة الدراسات العليا تلك التي كانت صديقته في ذلك الوقت.

- لقد طردته يا أمي. لقد قمتِ بتغيير الأقفال وألقيتِ كل كتبه من نافذة غرفته. ثم بعد بضعة أعوام سألتكِ عن ذلك، وقلتِ إنكِ لم تتذكري.

أخذت ميج نفسًا عميقًا وركزت عينيها على النافذة العريضة التي تطل على شجر القيقب السكري الذي هيمن على فناء منزلها الخلفي.

- كان لدي طبيب منذ فترة، أعتقد أنها كانت الطبيبة بيني، وأخبرتني أن إحدى مزايا الاكتئاب بالنسبة إلى الكثير من الأشخاص الذين يعانون منه، كانت أننا لا نتذكره دائمًا. هناك أجزاء من حياتي يبدو أنني لا أتذكرها فحسب، ويتضح أن تلك الأجزاء لا تستحق التذكر.

على الرغم من تقلبات والدتها المزاجية، فهي لم ترها تبكي مطلقًا سوى في مناسبة واحدة او اثنتين. لكن ميج بدت على وشك البكاء الآن، لقد أصبح صوتها مَبْحُوحًا وترقرقت إحدى عينيها.

قالت كارولين: «يؤسفني أنني أثرت هذا الموضوع، كل ما في الأمر... إنه من الواضح، بالنسبة إليَّ على الأقل، أن العملاء الذين يتولون التحقيق في هذه

القائمة يعتقدون أن الرابط قد يكون بين والدي الأشخاص الموجودين في القائمة. لهذا السبب اتصلوا بكِ، أليس كذلك؟ هل طرحوا عليك أسئلة بشأن سلسلة من الأسماء؟».

- لقد أخبرتهم أنني لا أعرف أيًا من هذه الأسماء. كارولين، صدقيني، لو كنت أعرف لأخبرتهم.
- أعرف يا أمي. أنا لا أتهمك بإخفاء أي شيء، لكني أتساءل عما إذا كان هناك شيء ما منذ زمن بعيد، ربما حتى عندما كنت طفلة، قد يكون لذلك بعض الأهمية. ربما لا تتذكرين هذا أيضًا، ولكن عندما كنتِ تصبحين مكتئبة للغاية، كنتِ تخبرينني أحيانًا أنكِ تستحقين ذلك، ولقد قلتِ لي ذات مرة أنكِ كنتِ طفلة سيئة، وأنكِ تدفعين الثمن.
- حسنًا، لست متأكدة من أنني كنت طفلة لطيفة جدًا حقًا. على الأقل وفقًا لجدتك.

حركت ميج قطعة دجاج على شوكتها ووضعتها في فمها.

- لكنكِ لا تستطيعين تذكر أي شيء محدد؟
- كان لدينا جيران، وأعتقد أن لقبهم كان لاندري، وعلى الأرجح كان الصبي الصغير أصغر مني بثلاثة أعوام تقريبًا، وكان يأتي كل يوم ليرى ما إذا كنت أرغب في اللعب معه. وهو ما لم أكن أرغب به بالطبع. في البداية، كنت أخبر أمي أن تقول إنني لم أكن هناك، لكن بعد ذلك بدأت أذهب إلى الباب بنفسي عندما يقرع الجرس، وأخبره أن يقابلني في الحديقة في غضون خمس دقائق. وكنت لا أذهب فحسب. كان الأمر المحزن هو أنه استمر في العودة.

سمعت كارولين هذه القصة من قبل كمثال على قسوة طفولة والدتها.

- لم يسألكِ مكتب التحقيقات الفيدرالي عن أي شخص اسمه لاندري، أليس كذلك؟
- أوه، كلا. الاسم الوحيد الذي كان مألوفًا بشكل غامض بالنسبة إليَّ هو جاك راديبو ولكن بعد ذلك أدركت أنه مؤلف كتاب ما أعتقد أن والدك كان قد ابتاعه. كلا يا هولي، لا دجاج من أجلك، ربما بعد أن ننظف.

كان الكلب قد استيقظ.

كانتا عادةً ما تذهبان بعد الغداء في نزهة سيرًا على الأقدام، بخاصةٍ وأن الطقس كان لطيفًا للغاية، لكن الأمر بدا محفوفًا بالمخاطر دون داعٍ، لذلك أعدتا القهوة وجلستا بالخارج في الفناء الحجري. أخذتا تتحدثان عن «جريز أناتومي»، المسلسل المفضل لميج، وتحدثتا عن يوليوس، بالطبع، الذي تعرض لحادث دراجة نارية في منغوليا دون جميع الأماكن، وكان يقيم هناك، يتعافى، في الوقت الحالي. انتقلت السحب الداكنة إلى السماء، واستحالت أطراف أصابع كارولين إلى اللون الأبيض، لكن يبدو أن والدتها لم تلاحظ ذلك. كانت هناك وقفة قصيرة في المحادثة، وكانت كارولين على وشك الوقوف والانتقال بهما إلى الداخل، عندما قالت والدتها: «لقد رأيت حلمًا رهيبًا عندما كنت طفلة، وهو شيء لم أتوقف عن التفكير فيه قط».

قالت كارولين: «أوه، ما هو؟».

- أعلم أن الأمر سيبدو سخيفًا، لكنه كان نابضًا بالحياة للغاية، ولا يزال بإمكاني رؤيته. أعتقد أحيانًا أنني ما زلت أحلم بذلك، بنفس الطريقة التي ما زلت أحلم بها بأنني نسيت الرقم السري للخزانة الخاصة بي في المدرسة.

- ما الذي حلمت به؟

- إنني على الأرجح في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري، وقد هربت من المنزل مع مجموعة من الأطفال الآخرين. أصدقائي، على ما أعتقد، على الرغم من أنني لا أتذكر حقًا من كانوا. لكننا قد فررنا جميعًا، وبطريقة ما تمكنا من سرقة مركب كبير وأبحرنا عبر المحيط. لقد كان له اثنان من الصواري وشراع، وكان عبارة عن قارب خشبي، بإمكانك أن تقولي أنه كان أشبه بسفينة قراصنة قديمة، وكان هناك لوح خشبي بالطبع. وأكثر ما أتذكره من الحلم هو أننا جميعًا قررنا أن على أحدنا -أحد الأطفال- أن يمشي على اللوح الخشبي. وشعرت بالقلق من أن أكون أنا، لكننا نختار فتاة صغيرة أخرى، ونربطها، ونخبرها أنه يتعين عليها السير حتى نهاية اللوح الخشبي وإلا سنموت جميعًا.

حركت هَبّة ريح وشاح والدتها عبر وجهها لوهلة، وقامت بسحبه بعيدًا لتواصل الحديث.

- هذا هو كل شيء. هذا هو الحلم.

- إذن هل عبرت الفتاة اللوح الخشبي؟

- نعم. لقد قيَّدناها وكانت تبكي لكنها ذهبت إلى المحيط ولم تعد. كان الأمر مروعًا. إن مجرد التفكير في الأمر الآن يجعلني أشعر بالمرض.

- لا تتذكرين أسماء؟

قالت ميج: «من الحلم؟ كلا، لقد كانوا مجرد أطفال آخرين مثلي».

- أتساءل ماذا يعني هذا الحلم؟

نهضت ميج واقفة وكذلك فعلت كارولين. سارا معًا عبر الأبواب الزجاجية المنزلقة إلى داخل المنزل الدافئ.

قالت ميج: «هل من الضروري أن يعني شيئًا ما؟ لقد كان مجرد حلم مخيف. إن الأطفال لديهم أحلام مخيفة».



(8)

الجمعة، 14 أكتوبر، 6:09 مساءً

عاد جاك إلى منزله في ويست هارتفورد عند الغسق، وأخذ يتنقَّل من غرفة إلى أخرى ليشعل المصابيح. كان يقود سيارته من مدينة «سوميت»، بـ «نيو جيرسي»، حيث تناول الغداء مع محاميه، ثم زار زوجته لفترة وجيزة جدًا، واقفًا في فناء منزلهم الأمامي، حيث سلمته الأوراق التي طلبها.

قالت: «إنك تبدو نحيفًا».

شكرها، وأخبرته إن تلك لم تكن مجاملة.

لاحقًا، كان يقود سيارته على الطريق السريع المشجر تحت سماء ذات سحب كثيفة، وتمنى لو قال: «هذا أنا في شتاء حياتي». كانت تلك العبارة -شتاء حياتي- تصلصل في ذهنه منذ فترة. كانت لا تزال في ذهنه الآن، بعد أن عاد إلى منزل طفولته في هارتفورد مجددًا، يشعل المصابيح ويزيح الستائر. كان سيبقى هنا لليلة واحدة فقط، لذلك ذهب إلى الثلاجة ليرى ما إذا كانت هناك إمكانية للبحث عن شيء ما من أجل العشاء أو ما إذا كان عليه الذهاب إلى الخارج. لكن بالنظر إلى الخضراوات الذابلة، وبعض الجبن القديم ونصف دزينة من البيض التي قد تكون انتهت صلاحيتها ولم تعد ذات فائدة، أدرك أنه لم يكن جائعًا، بل متقلب المزاج فحسب. ارتدى سترته وذهب في نزهة للخارج سيرًا على الأقدام.

لم يذهب بعيدًا، فقط قام بالسير في دورة كاملة من الشوارع السكنية المجاورة. لقد كان وقتًا ممتعًا للتنزه، فلم يكن الظلام قد حلّ بالكامل بعد، لكن الإضاءات داخل المنازل كانت مشتعلة، والناس يزاولون أعمالهم، والستائر لا تزال مفتوحة. رأى امرأة تسكب كأسًا من النبيذ في مطبخها، ورجلًا على دراجة ثابتة فاخرة تأتي مع شاشة تلفاز خاصة بها، وأطفال يشاهدون الرسوم المتحركة، وحتى إنه رأى زوجين شابين يتعانقان عناقًا طويلًا أمام تلفاز بحجم الجدار يعرض الأخبار. عندما عاد إلى حيه، ألقى نظرة اتجاه منزل جيرانه، متسائلًا عما إذا كانت مارجريت وزوجها السيئ –كان يُدعى إريك– موجودين بالداخل. دون التفكير في الأمر، وجد نفسه يلتف بمحاذاة ممر السيارات الخاص به بجوار منزلهما مباشرة، ثم يقف في الظل الأسود لسياج مرتفع يطل على حجرة السولاريوم المضاءة جيدًا في الجزء الخلفي من منزلهما.

كانت فارغة، ولكن كانت هناك كأس من الماء على طاولة القهوة أمام الأريكة، جنبًا إلى جنب مع كتاب بغلاف مقوى كان قد أُلقي مفتوحًا ووجهه لأسفل. انتظر جاك، وظهرت مارجريت، تحمل كأسًا من النبيذ الأحمر، وتعود لتجلس على الأريكة. دفعت شعرها الطويل للخلف بعيدًا عن جبهتها، وأرجحت إحدى ساقيها تحتها، متكئة على مسند الذراع. كان يعتقد أنها ستلتقط كتابها مرةً أخرى، لكنها جلست هناك فقط، وهي تمسك نبيذها، ولا تحتسيه، وتحدق في الظلام. للحظة مروعة اعتقد أنها كانت تنظر إليه، لكن عينيها كانتا متجهتين إلى الجنب قليلًا، وإلى جانب ذلك، كان الجو مظلمًا جدًا في الخارج لرؤية أي شيء.

فكَّر جاك وليس للمرة الأولى، أن الشيء الفظيع بشأن الشعور بالوحدة، هو أنه لا يتم علاجها دائمًا من قبل الآخرين. كانت تلك هي تجربته على أي حال. إن قضاء الوقت بصحبة أشخاص آخرين، حتى الأشخاص الذين أحبهم، جعله يشعر بالوحدة أكثر مما كان عليه عندما يكون بمفرده. لقد شعر بهذا طوال حياته تقريبًا منذ وفاة شقيقته، طوال تلك الأعوام الماضية، وعدم تعافي والديه أبدًا من تلك الخسارة.

سمع صوت سيارة، ثم جفل بينما ألقت عليه المصابيح الأمامية ضوءها هنيهة. كان إريك قد وصل إلى المنزل، منعطفًا إلى ممر السيارات، ثم أخمد أضواءه سريعًا. وتساءل جاك عما إذا كان قد تم اكتشاف أمره. لم يعتقد ذلك، لكنه وقف ساكنًا قدر الإمكان في الظل المظلم للسياج، محاولًا التفكير في ما سيقوله إذا تم الإمساك به.

لا بد أن مارجريت سمعت صوت السيارة أيضًا وهي تدير رأسها في هذا الاتجاه. كانت لها رقبة طويلة وأنيقة وشيء ما بشأن طريقة تموضعها، رأسها الملتف، وكأس النبيذ في يدها، جعلها تبدو وكأنها لوحة كلاسيكية. وضعت النبيذ من يدها وأخذت نفسًا عميقًا، ورأى جاك كل شيء في وجهها، شيء من الحزن والحذر وربما لمسة حب حقيقي. نهضت وذهبت لملاقاة زوجها، وانتهز جاك الفرصة للسير إلى باب منزله الجانبي. وقبل أن يدخل منزله مرة أخرى، سمع صوت إريك العالي، حيث لاقته زوجته عند الباب.

قال: «يبدو أن صديقكِ قد عاد إلى البلدة»، واستغرق جاك لحظة ليدرك أنه كان يتحدث عنه».



(9)

السبت، 15 أكتوبر، 4:40 مساءً

كانت الرسالة من ماديسون. جملتان لاهثتان: «اتصل بي على الفور. لن تصدق الأخبار التي بحوزتي». وكانت هناك رسالة نصية أيضًا. (اتصل بي) ونوع من الرموز التعبيرية التي لم يفهمها جاي حقًا، وجه متورد بأيدٍ صغيرة أمامه، نوع ما من الاحتفال. للحظة وجيزة، اعتقد جاي في الواقع أنه يشعر بالضيق. فمن الواضح أن ماديسون حصلت على وظيفة، وعلى حد علمه -وهي قد أخبرته بكل شيء- كان إما الإعلان المحلي (لا يستحق الرسالة اللاهثة) وإما ثلاث حلقات متتالية تمثل قصة فرعية من القصة الرئيسية في ذلك المسلسل الكوميدي القصير التافه الذي يعرض على شبكة (FX) والذي تم تجديده للتو للموسم الثاني. لا بد أنه المسلسل الكوميدي القصير، ولم يكن يعرف صدقًا ما إذا كان يمكنه تحمل الحديث مع ماديسون الآن، والتظاهر بأنه متحمسٌ لها، وإخبارها كيف أنها تستحق ذلك. يا إلهي، كان يشعر حقًا بالغثيان.

لقد التقى ماديسون في صف التمثيل في الوادي قبل عامين. كان قد اصطحبها للخارج لتناول الشراب بعد الفصل الدراسي الأخير، ثم أقام معها علاقة حميمية في بَنْغَل[1] صديقه مايكل الذي كان يسكن معه عندما كان في

---

(1) البَنْغَل: منزلٌ صغيرٌ أو كوخٌ من طابق واحد أو له طابق ثان مبنيٌ وسقف مائل (عادة مع نوافذ ناتئة)، وقد تكون محاطة بشرفات واسعة والبنغل مصطلح مشتق من اسم اللغة البنغالية وتعني منزلًا على الطراز البنغالي.

في لندن. كانت ماديسون تتشارك غرفة نوم واحدة مع ممثلة أخرى، والتي كانت في المنزل في تلك الليلة، وكان من المستحيل أن يأخذها جاي إلى منزله ويدعها تعرف أين يقطن، لذلك انتهى بهما الأمر في البنغل. كان يعتقد أنه لن يراها مرةً أخرى، ولكن بعد ذلك التقاها مصادفةً بعد ستة أسابيع في حانة في هوليوود، وتناولا بعض المشروبات معًا. أخبرته بوجه حزين بدرجة مبالغ فيها، أنها بدأت في مواعدة شخص جديد، زميل لها يعد القهوة في ستاربكس حيث كانت تعمل. لقد شعر بالارتياح، حيث لم يكن لديه أي نية في لقاء جنسي متواضع آخر. لكنهما استمتعا بتناول المشروبات. كانت غبية، وهو ما أحبه جاي لأنه يعني أنه يستطيع شرح الأشياء لها. وكانت ممثلة فظيعة، وهو ما أحبه جاي بشكل مضاعف، لأنه كان يعني أنه من المستحيل أن تحصل على وظيفة قبل أن يفعل هو.

والآن ها هو ذا، وهو على وشك أن يهنئها على فوزها بمسلسل كوميدي قصير لعين. لقد كان أمرًا لا يطاق. وبدلًا من تأخيره قرر أن ينجز تلك المهمة سريعًا ويعاود الاتصال بها على الفور.

قال: «هل حصلت على المسلسل الكوميدي القصير؟».

قالت بفتور «آها،» ثم أطلقت صرخة حادة دفعت جاي إلى تحريك الهاتف بعيدًا عن أذنه. تركها تتحدث لمدة دقيقتين تقريبًا، وهي المدة التي استطاع تحملها، ثم قال: «لم أرِدْ إخبارك على الفور، لأنني أردتك أن تحظي بلحظتك، وأنا متحمس جدًا لك، مادس، لكنني تحدثت للتو مع أمي ولديها بعض الأخبار السيئة».

- أوه، لا.

- إنها مصابة بسرطان الرئة في المرحلة الخامسة.

- أوه، كلا.

- أجل. لذلك يجب أن أتعامل مع هذا، كما تعلمين، أن أقرر ماذا سأفعل في المرحلة المقبلة. لذلك إذا لم أتمكن من...

- بالطبع لا. لقد فهمت. اذهب واعتنِ بأمك يا جاي، ولتخبرني إذا كنت بحاجة إلى أي شيء.

- سوف أفعل، أعدك.

بعد المكالمة الهاتفية، تساءل جاي عما إذا كان بإمكانه الإفلات بعدم الحديث مع ماديسون مرة أخرى أبدًا. إن هذا محتمل. لقد تخيل أنها كانت معتادة على تجاهل الرجال لها ببساطة. ومع ذلك، فقد وصفته ذات مرة بأنه «صديقها المفضل الجديد»...

بإمكانه أن يقتلها.

وحتى مجرد وجود هذه الفكرة جعلته في حالة مزاجية أفضل بكثير. من المؤكد أنها ستقصد بعض الحانات الليلة للاحتفال، وإذا كان توقيتها مناسبًا، فقد ينتظرها خارج مجمعها... كلا، لن ينجح الأمر. لقد كان يعرفها برغم كل شيء. ستكون هناك سجلات هاتفية، إن لم يكن هناك شيء آخر. ومع أنها كانت ستصبح لا تطاق تمامًا كلما حصلت على المزيد من الوظائف التمثيلية، إلا أنها لم تكن تستحق عناء سحق رأسها. سيكون الأمر مثل الدعس على طائر صغير. سهل جدًا وبلا معنى.

وضع هاتفه على ذراع أريكته. كانت أصابعه قد استحالت بيضاء من التَشَبّث به بقوة. ذهب إلى المطبخ وأخذ جَرْعَة طويلة من زجاجة فودكا كيتيل وان التي احتفظ بها في البرّاد، ثم قام ببعض حركات التاي تشي في غرفة نومه محاولًا أن يهَدِّئ مِن روعه. بعد ذلك سمح لنفسه ببعض التخيلات، ثم أوقف نفسه. كان بحاجة إلى فعل شيء ما، وليس مجرد التفكير فيه، لقد كانت الطريقة الوحيدة لجعله يشعر بتحسن.

***

في تلك الليلة وجد حانةً غير مرخصة في وسط مدينة لوس أنجلوس، وهو مكان يعرف أنه لن تكون هناك فرصة للالتقاء مصادفة بماديسون أو أي من أصدقائها به. حصل على طاولة ركنية، وشرب الفودكا والمياه الغازية مع اثنتين من الليمون الحامض، وشاهد الفتيات يجئن ويذهبن، وهن يتحدثن عن ليوناردو دي كابريو. الأسوأ حقًا كُنَّ صغيرات السن في الفساتين الصغيرة والكعوب العالية، وهن يضحكن مثل الضباع على كل ما يقوله شاب أكبر سنًا. كنَّ سعيدات للغاية بأنفسهن، معتقداتٍ أنهنَّ بطريقة ما على درجة كافية

من الجاذبية لتحقيق النجاح في هوليوود، يستمعن إلى رجال مدَّعين وهم يخبرونهن عن نصوصهم السينمائية. استغرق الأمر منه بعض الوقت، لكنه اكتشف أخيرًا الفتاة المناسبة. كان لها شعر أحمر باهت، وكانت ترتدي الجينز وصَدْريّة خليعة. ولقد قدمت مع صديقتها، لكن صديقتها الآن كانت تتحدث إلى رجل ما، وكان يعلم أن الفتاة الصهباء قد بدأ يصيبها الضجر. استمرت في تفقد هاتفها، واحتساء رشفات صغيرة من الفودكا والصودا الخاصة بها، وهي تتمنى لصديقتها الغبية بضحكتها المتقطعة الصاخبة أن تصمت. عرف جاي أن بإمكانه إبعادها عن الجمع والانفراد بها في مرحلة ما. لكن عندئذ فُتِحَ الباب الأمامي للداخل، واستدارت الفتاة الصهباء ورصدت شابًا ما كان قادمًا لمقابلتها، وفجأةً كانت تعلو وجهها ابتسامة عريضة، قذفت شعرها في الهواء، وتحركت جانبًا على البار لتسمح لهذا الأحمق ذي الشارب المثير للسخرية بالجلوس.

أنهى جاي مشروبه وغادر الحانة. راح يتجوَّل في وسط المدينة لفترة من الوقت، ووجد مكانًا به مقاعد في فناء تسمح له بمشاهدة الشارع، وتناول مشروبًا آخر. دخلت فتاتان وابتاعتا جعة كورونا لايت وجلستا على الطاولة المجاورة لطاولته. لقد كانتا بالفعل ثملتين، وتتحدثان بصوت عالٍ بلكنات الغرب الأوسط، وتلقيان نظرات خاطفة في اتجاهه في محاولة لتحديد ما إذا كان نجمًا سينمائيًا أم لا. أبقى جاي عينيه على هاتفه، حتى إنه كان يتظاهر بإرسال رسائل نصية مزيفة لجعله يبدو كما لو كان ينتظر شخصًا ما. تساءل كيف سيكون الحال إذا التقط هاتين الفتاتين القبيحتين القادمتين من ويسكونسن أو مينيسوتا أو من حيثما كانتا، وإخبارهما أنه نال للتو دورًا تلفزيونيًا كبيرًا. قد ترغب إحداهما أو كلتاهما في مضاجعته، وهو أمر لا يهتم به مطلقًا. ومع ذلك، إذا كان بإمكانه الحصول على واحدة منهما بمفردها...

- المعذرة، هل أنت ممثل؟

كانت تلك أكبرهما، لها فخذين كبيرين وشعر أشقر مصبوغ.

قال: «كلا. وماذا عنكما، هل أنتما ممثلتان؟».

ضحكت كلتاهما لا إراديًا، وأخبرتاه أنهما كانتا تزوران لوس أنجلوس للمرة الأولى فحسب، وفي ذلك الصباح شاهدتا جوش لوكاس يعبر الشارع ويركب سيارة دفع رباعي.

- إنني لا أعرف من هو.

قالت كلتاهما في نفس الوقت تقريبًا: «كان في سويت هوم ألاباما».

قال: «إنني لا أشاهد الأفلام. ربما لأنني أعمل عليها، وأعلم أنها هراء بالكامل».

- ماذا تعمل؟

- أنا منسق قتال في مواقع تصوير الأفلام. يمكنني أن أخبركِ قصصًا عن جميع نجوم السينما المفضلين لديكِ، لكنكِ لن تحبيهم كثيرًا.

أطلقتا صرخة طويلة حادة، ثم دعتاه للانضمام إليهما. أخبرهما أنه كان في منتصف محادثة نصية مهمة، وربما سينضم إليهما بعد قليل. أخذ يحتسي شرابه، واستمر في التحديق إلى هاتفه، وهو يفكر في ما يجب فعله بعد ذلك. بدأت تجتاحه موجة من الاشمئزاز. الاشمئزاز من الفتاتين الغبيتين على الطاولة المجاورة، والاشمئزاز من المدير المسؤول عن اختيار الممثلين بعد أن منح ماديسون وظيفة تمثيلية احترافية، والاشمئزاز من المدينة الغبية التي عاش فيها، زاحفًا مع الحشرات البشرية. أنهى جاي شرابه، ونهض، وذهب عبر منطقة البار ليخرج من الجانب الآخر. لقد قرر الاستسلام والعودة إلى المنزل وقضاء بعض الوقت على الإنترنت. كان يأمل في المزيد ولكن الليلة لم تكن الليلة المنشودة.

***

توقفت سيارة أوبر عبر الشارع لتخرج منها شقراء ترتدي تنورة صغيرة وقميصًا مثلثًا بلا كمين. تمايلت للحظة على الرصيف، تنظر إلى هاتفها، ثم درست الشارع. كان يعتقد أنها قد تمشي باتجاه الحانة، لكنها استدارت في الاتجاه المعاكس عوضًا عن ذلك، وهي تترنح على طول الرصيف.

هل يمكن أن تكون هذه هي حقًا؟

استدارت إلى شارع متقاطع ولحقها، وأبقى رأسه منخفضًا في حالة وجود أي كاميرات مرورية حوله. لقد كانا في منطقة سكنية، مبانٍ سكنية قديمة على الطراز الإسباني والتي كانت أنيقة في السابق، أما الآن فقد صارت ملأى بالوافدين الجدد من هوليوود ومدمني المخدرات. كانت على بعد عشرين ياردة أمامه، لكنها استمرت في التوقف للتحديق إلى هاتفها، وكان الضوء ينير رأسًا من الشعر الأشقر غير المرتب، ووجهًا وضعت عليه مساحيق الزينة بإفراط. تسارعت دقات قلبه. في جيب سترته الجلدية كان هناك ثقل سكين صيد كان قد ابتاعها منذ أكثر من عام من سوق لبيع المنتجات العتيقة. وضع يده حولها واندفعت إثارة جنسية تقريبًا عبر جسده، وانتابه شعور بالدوار، مثل مخدرات من نوع رائع. كان قد أصبح خلفها الآن على بعد عشر ياردات فقط، بين مصابيح الشارع، وفي ظل صف من أشجار النخيل الجافة. فأسرع في خطواته.

أصابته الضربة الأولى من الهراوة المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ على أذنه اليمنى، مهشمة عظم صدغيه، وطرحته أرضًا. إحساس بالرنين عصف بدماغه، وكان أول ما خطر بباله هو أن الشرطة قد ألقت القبض عليه، على الرغم من أنه لم يكن قد فعل أي شيء بعد، ثم شعر باندفاع الدماء الدافئة بغزارة أسفل رقبته وتحت قميصه، وانتابه الفزع.

أصابته الضربة الثانية من العصا على ارتفاع بوصتين فوق أذنه وبقوة أكبر بكثير. انهار جسده، وارتطم وجهه بالرصيف. لقد كانت الضربة الثانية كفيلة بقتله -كان يحتضر بالفعل- لكن انهالت على رأسه بضع ضربات أخرى، قبل أن يتحرك الجاني مبتعدًا بسرعة، مارًا بفتاة ثملة تتحدث على هاتفها، قائلة: «أنا بالخارج مباشرة، ماذا تعنيه بأن الأوان قد فات؟».

***

أربعة

ماثيو بومونت
جاي كوتس
إيثان دارت
كارولين جيديس
فرانك هوبكنز
اليسون هورن
آرثر كروز
جاك راديبو
جيسيكا وينسلو

(1)

الاثنين 17 أكتوبر، 4:40 مساءً

كان جاي كوتس من ديكاتور، جورجيا، جالسًا في غرفة الاستجواب في مركز الشرطة لأكثر من ساعة. لم يتفقده أحد أو يقدم له الماء، أو حتى يخبره عن سبب وجوده هناك. لقد كان في العمل في وقت سابق، وحضر شرطيان يرتديان الزي الرسمي لاصطحابه إلى المركز. لم يسع جاي سوى أن يتخيل ما كان يفكر فيه زملاؤه في العمل الآن. لم يعرف ما إذا كان يشعر بالضيق أو الإثارة نوعًا ما. لكن في كلتا الحالتين، لم يكن سعيدًا بوجوده هنا الآن، ينتظر، يدرس الغرفة، ويحاول ألا ينظر مباشرة إلى مرآة المراقبة المقابلة له ويتساءل عمن كان على الجانب الآخر.

لتهدئة نفسه، حاول تقدير أبعاد الغرفة، وقرر أنها ثمانية في عشرة بالضبط. كان ذلك سهلًا للغاية، وقرر القيام بتمرين عقلي آخر، ليرى إلى أي مدى يمكنه العد باستخدام متتالية فيبوناتشي[1]. لقد كان ذلك شيئًا اعتاد أن يفعله منذ سنوات، في الكلية، عندما كان يشعر بالتوتر أو الملل بشكل خاص

---

(1) متتالية فيبوناتشي، والتي تنص على أن كل رقم في المتتالية عبارة عن مجموع الرقمين السابقين له في نفس المتتالية، لذلك تكون المتتالية على هذا النحو: 0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، إلخ، وتعتبر هذه المتتالية مهمة لما لها من تطبيقات في الطبيعة؛ كانقسام الخلايا، وتفرعات الأغصان، وتوالد الأرانب، كما يقال إنّ الفراعنة استعانوا بها لبناء أهراماتهم في الجيزة.

في الصف. كان قد وصل للعدد 317، 811 عندما فُتِحَ الباب بقوة ودخل شرطيان يرتديان الزيّ المدني، رجل يرتدي بَدلَة سمراء وله ذراعان طويلتان وحاجب ثقيل وامرأة أصغر سنًا لها قَصة شعر قصيرة جدًا والتي جلست جانبًا. ظل الرجل الذي يرتدي البدلة واقفًا، يسير ذهابًا وإيابًا قليلًا خلف الكرسي المقابل لجاي، حتى قال أخيرًا: «سأمنحك فرصة واحدة، كوتس، وفرصة واحدة فقط. إذا اكتشفت أنك تكذب عليَّ، سوف أوجِّه إليك تهمة عرقلة سير العدالة. هل تفهم؟».

فتح جاي فمه ليقول شيئًا ما، لكن الشرطي استمر في الحديث.

- سأضمن لك شخصيًا أن تقضي زمنًا في السجن بسبب هذا الأمر. زمن حقيقي، هل تفهم؟ وإذا حاولت إخباري بكذبة أخرى في هذه الغرفة اليوم، ساعدني يا إلهي، فلن يكون الأمر لطيفًا. وإذا كنت تتظاهر بأنك لا تفهم ما يحدث هنا...

هز رأسه ببطء ذهابًا وإيابًا. نظر جاي إلى الشرطية التي جلست في كرسيها دون حراك وهي تنظر إليه.

قال الرجل الذي يرتدي البدلة وصوته أكثر ليونة الآن: «أسْدِي لنا جميعًا معروفًا يا كوتس. سأطرح عليك سؤالًا وأريدك أن تخبرني بالحقيقة».

نظر جاي، الذي شعر كما لو أن جسده بأكمله يتجمع تحته، إلى الشرطي، وشعر بأنه يومئ برأسه.

- حسنًا كوتس. ها نحن أولاء. سؤال واحد بسيط: هل تلقيت رسالة يوم الخميس 15 سبتمبر؟ هل احتوت تلك الرسالة على قائمة من تسعة أسماء، بما في ذلك اسمك؟ فكر قبل أن تجيب، لأنني لن أسألك مرتين.

نظر جاي إلى المرأة، لكنها كانت تنظر إلى مؤخرة يدها الآن في كسل، كما لو أن هذه العملية برمتها كانت تُشعرها بالضجر.

قال الرجل: «لماذا تنظر إليها؟».

نظر إليه جاي وقال: «لا. لا، لم أتلقَ رسالة قط». ونظر كلا الشرطيان إلى بعضهما، تقريبًا دون اهتمام، عندما انهار وراح يبكي.

***

(2)

الأربعاء، 19 أكتوبر، 1:15 مساءً

عندما هبطت الطائرة في ساراسوتا، طوى سام هاميلتون، الجالس في الصف الثاني قبل الأخير، صفحة كتابه. لم يكن في عجلة من أمره للوقوف منحنيًا أسفل الأقسام المخصصة للأمتعة في انتظار أن ينزل الجميع أمامه. كان يعيد قراءة «ثم لم يبقَ أحد» للمرة الثانية منذ مقتل فرانك هوبكنز. بعد أن حجز هذه الرحلة إلى فلوريدا من أجل زيارة شقيقة فرانك الباقية على قيد الحياة، عَرَّجَ على متجر الكتب الوحيد في كينويك، وهو عبارة عن حظيرة متداعية ملأى بالكتب المستعملة التي عرفت باسم رنَّان نوعًا ما وهو «كتب المخالب الخشنة» (Ragged Claws Books). عرف سام القصيدة التي جاء منها هذا الاسم في وقت ما، لكنه كان قد نسيها منذ زمن طويل. بعد أن ألقى التحية على تشارلز مونتجمري (المالك) والشخص الوحيد الذي يعمل في المتجر، ذهب سام إلى قسم روايات الغموض، حيث عثر على نسخة كتاب جيب قديمة ورقية من «ثم لم يبقَ أحد». كان يعلم أنه أراد إحضار الكتاب معه إلى فلوريدا وكان يعلم أيضًا أنه لا يريد إحضار نسخته الخاصة.

لم يكن متأكدًا من أن إعادة قراءة الكتاب كانت مفيدة، لكنها بدت وكأنها شيء احترازي للقيام به. وقد أبقت ذهنه على القضية. كان السؤال الذي ظل يطرحه على نفسه، السؤال الذي ربما كان كل شخص مكلَّف بهذه القضية يطرحه على نفسه، هو: ما الرابط بين الأشخاص التسعة المدرجين في

القائمة؟ على النحو الذي كانت عليه أيضًا أحد الأسئلة من «ثم لم يبقَ أحد». عشرة غرباء يتم إحضارهم إلى جزيرة وقتلهم بشكل منهجي. إنهم لا يعرفون بعضهم بعضًا، ولم يلتقوا قط، ومع ذلك يُزَجُّ بهم في موقف مميت معًا. اعتقد سام أن الصلة بينهم كانت واضحة، وأنه تم تزييفها في اللحظة التي وصلوا فيها جميعًا إلى الجزيرة. وقد حدث الأمر نفسه مع قائمة الأشخاص التسعة الذين تلقّوا رسائل، جميعهم الآن مستهدفون بالقتل.

تساءل سام عن سبب تركيزه الشديد على الكتاب. على حد علمه، فإن القاتل لم يقرأه قط، حتى إنه لم يسمع به من قبل. لم يكن الأمر كما لو أن الأسماء التسعة قد أدمجت في أغنية أطفال من نوع ما. وكان هناك اختلاف رئيسي بين ما حدث في الكتاب وما يحدث الآن. كان الاختلاف هو أن الشخصيات قد أدركت في وقت مبكر من الرواية أنه بسبب عدم وجود أحد في الجزيرة سواهم، فلا بد أن يكون القاتل بينهم. لم يكن هذا هو الحال مع قائمة الأسماء التسعة، ولكن مع ذلك، تساءل سام عما إذا كان القاتل قد وضع نفسه أو وضعت نفسها على القائمة. فوفقًا لماري باركنسون من شرطة الولاية، لم ينجح أحد في تحديد موقع أليسون هورن بعد. هل كان ذلك مهمًا؟ سام، معتمدًا على حدسه فحسب، لم يعتقد ذلك.

الشخص الذي كان سام مهتمًا به هو جاك راديبو، فقط بسبب عمره. ستة من الأشخاص المدرجين في القائمة كانوا في الثلاثينيات أو أوائل الأربعينيات من العمر، بينما كان اثنان في السبعينيات. لم يعتقد سام أن ذلك كان مهمًا بشكل خاص باستثناء حقيقة أن فرانك هوبكنز قُتِل بطريقة مختلفة عن الضحايا الأربعة الآخرين. لقد قُتل بطريقة تضمن علمه بحدوث ذلك. لقد شعر بالألم، وربما بالذعر. أما الآخرون فقد تعرضوا إما لإطلاق النار وإما للهجوم من الخلف أو للاختناق في أثناء نومهم. لكن ليس فرانك.

- عذرًا، سيدي.

رفع سام بصره إلى المضيفة التي تحدثت إليه وأدرك أن الطائرة كانت فارغة بالكامل تقريبًا. اعتذر وشقَّ طريقه أسفل الممر.

بعد استلام سيارته المستأجرة والقيادة إلى الفندق الصغير الذي حجزه في مدينة «سيستا كي»، سجَّل سام وصوله، ثم بدل ملابسه إلى زوج من

سراويل تشينو خفيفة الوزن وقميص بولو أزرق فاتح قصير الأكمام. شعر بالارتياح للعودة مؤقتًا إلى الطقس الاستوائي، حيث الهواء الدافئ الثقيل مع عاصفة وشيكة بعد الظهيرة. كان قد تحدث مع سينثيا هوبكنز، الشقيقة الكبرى لفرانك، على الهاتف مرتين، مرة من أجل أن يطرح عليها أسئلة، ومرة من أجل ترتيب هذه الزيارة. وقد أخبرته خلال المكالمتين الهاتفيتين أن لديها مشكلاتٍ في السمع ولم تكن جيدة على الهاتف، وكان هذا هو سبب قيام سام بالرحلة. كان يعلم أنها على الأرجح مضيعة للوقت، لكنه قد أخذ إجازة لمدة يومين على أي حال، وحجز رحلة ذهابًا وإيابًا من بورتلاند إلى ساراسوتا والتي تضمَّنت المبيت. كانت سينثيا تنتظر وصوله في الرابعة بعد الظهر. كانت الساعة الثانية الآن، وكان الفندق الصغير الذي حجزه على مسافة قريبة من منزل سينثيا. قرَّر الذهاب في نزهة نحو الشاطئ سيرًا على الأقدام.

***

في الساعة الرابعة تمامًا، قرع سام جرس باب منزل شقيقة فرانك هوبكنز. كان المنزل بنغل وله انحياز من الجص الوردي، وكانت الساحة الأمامية المتهالكة مكتظة بالأوساخ ومزينة ببضع رقع من العشب الأصفر. فُتِحَ الباب ست بوصات وحدَّقت سينثيا هوبكنز خارجًا. كان وجهها المستدير عبارة عن كتلة من التجاعيد، وبشرتها مُرَقَّعة ناجمة عن ضرر أشعة الشمس.

قال سام وهو غير واثق مما إذا كانت ستتذكر هذه الزيارة المخطط لها: «السيدة هوبكنز، أنا المحقق سام هاميلتون. لقد تحدثنا عبر الهاتف».

قالت وهي تفتح الباب حتى النهاية وتدعوه للداخل: «أتذكر».

- إنني لا أسمع جيدًا كما اعتدت ولكني لست كثيرة النسيان. ليس بعد، على أي حال.

قادته عبر المنزل الدافئ للغاية وإلى فناء مغطى حيث أشارت إلى كرسي من الخيزران ليجلس عليه سام.

سألت: «ماذا يمكن أن أحضر لك؟».

- لا شيء، إلا إذا كنتِ ستحضرين شيئًا لنفسكِ.

- كان يجب أن أطلب منك القدوم في الخامسة لأنني أحب أن أحتسي الجن والتونيك في ذلك الوقت.

- لا تدعيني أوقفكِ. يمكننا التظاهر أنها الساعة الخامسة.

- كلا، سأنتظر. عندما تصبح في عمري من المهم أن يكون لديك طقوس.

جلست أمامه على كرسي متطابق وهي تضع ساقًا فوق الأخرى. كانت ترتدي سروالًا أبيض وبلوزة منقوشة بالزهور تحت سترة صوفية وردية. اعتقد سام أنها لم تكن تشبه كثيرًا فرانك؛ أحد الأسباب، أنها كانت أطول مما كان عليه، ولها بشرة أكثر سفعًا، ووجهها أشبه بالقرد مع كل تجاعيدها.

قال بصوت خشن: «شكرًا لكِ»، وتخيل سام أن الخطوط العميقة على وجهها لم تكن بسبب شمس فلوريدا فحسب، بل بسبب ساعات الكوكتيل والسجائر طوال حياتها.

- هل كنتما مقربين؟

- كلا، لم نكن مقربين قط، لكننا أيضًا لم نتقاتل قط، أو أي شيء من هذا القبيل. كنت الطفلة الهادئة المجتهدة، وكان هو اجتماعيًا، مثل والدينا. لقد أحبوا جميعًا قطاع الفنادق، ولم أستطع التفكير في أي شيء أسوأ. تخيل أن تعيش في مكان ما حيث يوجد ضيوف دائمون. بمجرد أن انتقلت إلى بوسطن وحصلت على وظيفة في «هوتون ميفلين» -إنها شركة نشر- وهذا هو المكان الذي قابلت فيه زوجي. كان مثلي، راضيًا بحياة أقل اجتماعية. لم يكن لدينا أطفال قط، لكننا بالتأكيد قرأنا الكثير من الكتب.

- إن زوجكِ...

- توفي في عام 2003، بعد سنوات قليلة فقط من انتقالنا بشكل دائم إلى هنا في سيستا كي. قام فرانك بزيارته الوحيدة لرؤيتي مباشرة بعد وفاة باتريك. لقد وعد أن يأتي في رحلة أخرى ولكن لم يكن لديه الوقت قط، على ما أعتقد. هذا ما يحدث عندما تدير فندقًا. هل اكتشفت من قتل شقيقي؟

قال سام، متفاجئًا من السؤال المباغت: «كلا. ولكن أيًا كان من قتل أخاكِ فهو يقتل أناسًا آخرين أيضًا. كانت أسماؤهم جميعًا في قائمة معًا».

- يبدو ذلك منطقيًا إلى حد ما، لأنني عانيت من خلال محادثة هاتفية يصعب متابعتها مع شرطي آخر سألني قائمة بأسماء، لم يكن أي منها مألوفًا بالنسبة إليّ.

قال سام: «هل تمانعين إذا سألتكِ مرة أخرى؟».

- ماذا؟ الأسماء؟ لا أمانع ولكني أشك في أن أيًا من إجاباتي قد تغيرت.

تلا سام الأسماء -كان قد حفظها- وبدا أنها تفكر في كل واحد، وأخبرته في النهاية أن الأسماء لم تعنِ لها شيئًا.

قالت: «آمل ألا يكون هذا كل ما جئت إلى هنا لتفعله».

- في الواقع لا. لقد أردت أن أسألكِ عن تاريخ ويندوارد، وأن أسألكِ عما إذا كنتِ تتذكرين أي فضائح حدثت في الماضي، أي شيء خارج عن المألوف.

- عندما تقول الماضي...

- قد يكون شيئًا حدث عندما كنت أنت وفرانك طفلين، أو شيئًا أكثر حداثة على ما أعتقد.

- دعني أفكر في ذلك للحظة. كما تعلم، ربما سأحصل على ذلك الجن والتونيك في وقت أبكر قليلًا، لهذا اليوم فحسب.

- إذا أخبرتِني كيف تحبين ذلك، وأين مكان كل شيء؟ فسأكون سعيدًا لصنعه من أجلك بينما تفكرين.

- ما دمت تصنع واحدًا لنفسك.

قال سام: «سأكون سعيدًا بذلك»، ووجهته إلى المطبخ. عَبَرَ أرضية غرفة المعيشة المصقولة ودخل الكوة المشرقة. فوق سطح المطبخ النظيف، كانت هناك زجاجة من جن «جوردون» وزجاجة من التونيك ماركة «بابليكس». وجد بعض الكؤوس الرائعة وصنع مشروبين، وأحضرهما معه إلى الفناء.

قالت: «إن تلك لمُتْعَة. أن يُقدم لي كوكتيل المساء الخاص بي من قبل رجل».

أسْنَدَ سام ظَهرَهُ إلى كرسيه وأخذ رشفة من الشراب. كان قلقًا من أن يكون قد جعله قويًا للغاية، لكن سينثيا أخذت رشفة أيضًا، وأعلنت أنه جيد جدًا.

قال سام: «أي أفكار؟».

- بشأن تاريخ الفندق؟ أعتقد اثنتان. حدث كلاهما بينما كنت لا أزال أعيش في ويندوارد لذلك نحن نتحدث عن تاريخ قديم في هذه المرحلة.

- لا يهم. أنا مهتم بالأمر.

- حسنًا إذن، لقد حدثت أكبر فضيحة عندما كنت في الثامنة عشر، قبل مغادرتي للجامعة مباشرةً. سيكون هذا صيف عام 1961. كان هناك ضيفان يقيمان لدينا، رجل وامرأة، وبعد ما حدث أتذكر أن الجميع كانوا يتحدثون عن كيف لم يصدقوا قط أنهما كانا زوجًا وزوجة في المقام الأول، على الرغم من أنهما قدما نفسيهما على ما يبدو بهذه الطريقة. إنني لا أتذكر أي شيء عنهما رغم أنني كنت أعمل في مكتب الاستقبال في ذلك الوقت من حين لآخر.

توقفت لتحتسي شرابها، آخذةً وقتها كما لو كانت تحاول جاهدةً أن تتذكَّر.

- لقد كانا زوجين في منتصف العمر، ولكن في اليوم الذي كان من المفترض أن يقوما فيه بتسجيل المغادرة، لم يخرجا من غرفتهما مطلقًا. سمحت عاملة نظافة لنفسها بالدخول ووجدتهما ميتين. مما قاله الناس في ذلك الوقت، بدا الأمر كما لو أنه قتلها بشفرة حادة، ثم دخل حوض الاستحمام وشق معصميه. أتذكر قدوم الشرطة ومجموعة من الصحفيين، وأتذكر أن كل شخص كان لديه رأي مختلف حول ما حدث. لم يكن واضحًا ما إذا كان قد قتلها، ثم انتحر، أو ما إذا كان نوعًا من التعاهد على الانتحار. أتذكر بالفعل أنه قد اتضح أنهما كانا متزوجين من أشخاص آخرين.

- هل تتذكرين اسميهما؟

- كنت أعلم أنك ستسألني ذلك، وأخشى أنني لا أفعل. كل ما أتذكره هو أنهما سجلا الوصول باسمَين كان من الواضح جدًا أنهما مُزيَّفان. شيء

ما مثل جون وجين سميث. لكن، لا، لا أتذكر اسميْهما الحقيقييْن، لكني أتذكر رقم الغرفة؛ اثنان وعشرون، لقد كانت إحدى الغرف في وحدة الفندق الصغير القديم التي تم هدمها في السبعينيات، ولا أعتقد أن هذه الغرفة قد تم تأجيرها مرة أخرى مطلقًا.

- وأنتِ متأكدة من أنه كان عام 1961.

- أجل، أنا متأكدة من هذا الجزء لأنه كان العام الذي غادرت فيه من أجل الكلية.

- قلتِ إنه كانت هناك حادثة أخرى.

- هذه الحادثة ليست مروعة جدًا، وأعتقد أنني أتذكرها فقط لأنني كنت طفلة عندما حدثت.

تناولت رشفة أخرى من مشروبها، وعيناها تنظران إلى الأعلى كما لو كانت تجمع أفكارها:

- ويؤسفني أن أقول إنني لا أتذكر اسم هذه أيضًا، ولكن عندما كنت أبلغ من العمر الثانية عشرة أو الثالثة عشرة تقريبًا، زحفت فتاة كانت تقيم في ويندوارد إلى أحد الشقوق على طول قاعدة الحاجز البحري وغرقت عندما ارتفع المد.

- هل كنتِ تعرفينها؟

- لم أفعل. كان فرانك هو من اعتاد التعرف على جميع الأطفال الذين يأتون ويقيمون في الصيف. لقد كنت أقضي وقتي في القراءة في غرفتي. أوه، يا للسخرية! كنت سأقول للتو إنه ينبغي لك أن تسأل فرانك عن الفتاة الصغيرة، لكن بالطبع لا يمكنك فعل ذلك.

قال سام: «لا»، وتوقف بينما تحركت سينثيا في كرسيها. بعد لحظة، قال سام: «عندما تقولين الحاجز البحري...».

- رصيف الميناء على شاطئ كينويك.

- حيث مات فرانك...

- نعم بالطبع. لم أربط بين الأمور، لكن نعم. لا بد أنه توفي بالقرب من المكان الذي توفيت فيه تلك الفتاة منذ تلك السنوات الماضية، كان الأمر

فظيعًا بالطبع. أسوأ بكثير بطريقة ما من وفاة الزوجين في الغرفة. لأنها كانت فتاة صغيرة وكان حادثًا. في الوقت الحاضر إذا حدث ذلك، فعلى الأرجح سوف يضعون سياجًا متسلسلًا حول رصيف الميناء وتحذيرات في كل مكان. لكن في ذلك الوقت... أفترض أن الحياة استمرت فحسب.

بقي سام طوال فترة تناول الشراب، وتحدث الاثنان أكثر حول ما كانت عليه طفولتها في ويندوارد. كانت لديها ذاكرة جيدة، وقد أحب الاستماع إلى حديثها، لكنه كان جائعًا، وأراد أيضًا العودة إلى حاسوبه المحمول في غرفته بالفندق والبحث عن كلتا الحادثتين اللتين أخبرته بهما، لذلك غادر في أقرب وقت بأسرع ما يمكن. توقف عند مطعم للمأكولات البحرية في مجمع تجاري، وتناول مشروبًا آخر من الجن والتونيك في أثناء انتظارهم لإعداد بعض من الهامور بالتاكو حتى يأخذها ويذهب، ثم عاد إلى الفندق بالطعام، وقام بتغيير درجة حرارة مكيف الهواء ليعمل بقوة، وشرع في البحث على الإنترنت لاكتشاف مدى براعة ذاكرة سينثيا هوبكنز.



(3)

الجمعة 21 أكتوبر، 8:22 مساءً

أرسلت كارولين رسالة تفيد بأن لديها الكثير من العمل للقيام به وربما ينبغي أن يأخذوا الليلة إجازة من التحدث إلى بعضهم بعضًا، وشعر إيثان كما لو أنها مررت سكينًا طويلًا في أحشائه. كتب يرد عليها: «بالتأكيد، اعملي بجد».

ثم أخرج سترة من الجينز وسار إلى كازينو «الكامينو». لقد مر وقت طويل منذ أن كان هناك، وهو بالضبط ما قالته له النادلة لورين وهو يطلب مشروب ميول.

لقد طلب منه الضابط ريسنديز الحد من الوقت الذي يقضيه في الأماكن العامة، لكن لم يُطلب منه صراحة البقاء في المنزل. ولم يكن يكترث الليلة، على الرغم من أنه في اليوم السابق بحث عن اسم جاي كوتس على جوجل، كما كان يفعل كل يوم، واكتشف أن جاي كوتس قد قُتل في مدينة لوس أنجلوس في عطلة نهاية الأسبوع السابقة. أصبحت القائمة أقصر.

عند تناوله ثالث مشروب ميول شاهد إيثان امرأتين في الطاولة الخلفية ولقد بدتا مألوفتين. استغرق الأمر لحظة، لكنه اكتشف أن كلتيهما كانتا خادمتين في نادٍ اعتاد اللعب فيه عندما كان في فرقة قصيرة العمر تدعى «باكتس». أخذ يهيم في الأرجاء ودعتاه للانضمام إليهما؛ ابتاع إبريقًا من مشروب لون ستار وانزلق إلى الطاولة. بعد ساعة من جلوسه، خطر له أنه قد

ضاجع الفتاة الأجمل المكتنزة على الطاولة، منذ نحو عامين بعد أحد عروضه. كان اسمها اليشا، لكنها نطقته بأربعة مقاطع بدلًا من ثلاثة، وبدا أنها تذكرت ليلتهما معًا لأنها استمرت في الضغط على ركبتها مقابل ركبته أسفل الطاولة.

غادروا جميعًا معًا في وقت الإغلاق. كانت جينيفر قد طلبت مسبقًا «ليفت»[1]، فقفزت بداخله بمجرد خروجهم إلى الشارع، تاركةً إياه واليشا معًا. سارا إلى بيته، وأخبرها إيثان عن أغنية جديدة كان قد كتبها لمغنية، وربما كانت ستغني القليل منها من أجله إذا عزفها على جيتاره من أجلها. لقد استخدم هذه الجملة من قبل، وللحظة وجيزة ملأى بالذعر، اعتقد أنه ربما استخدمها مع اليشا من قبل، عندما ضاجعها لأول مرة، لكن إن كان قد فعل، فهي لم تظهر ذلك.

***

عندما عاد إلى مسكنه، قامت اليشا بلف سيجارة حشيش بينما كان يضبط جيتاره ويطبع كلمات الأغنية التي كتبها. كانت تمتلك في الواقع صوتًا جميلًا، وكانت الأغنية أفضل مما يتذكَّر. لقد قاما بتأديتها عدة مرات، ثم تبادلا القبل على الأريكة، سألته اليشا عما إذا كان يتذكر فعل ذلك من قبل.

قال: «لماذا تعتقدين أنني جئت لألقي التحية عليكِ؟».

بعد أن انتقلا إلى الأريكة الفوتون وأطفآ الأنوار، فكَّر إيثان في كارولين لأول مرة منذ عودته إلى الشقة. اعترته رغبة شديدة مفاجئة في أن يكون بمفرده، وأن يفتح حاسوبه المحمول ويعرف ما إذا كانت ستنضم إليه عبر سكايب. نظر إلى اليشا، كانت تبدو واضحةً بما يكفي في ضوء القمر القادم من خلال نافذته ليرى أن عينيها كانتا بالكاد مفتوحتين. كانت أنفاسها تمتلئ بالكحول.

قال: «مرحبًا، اليشا. سأذهب لأضع أسطوانة. أغمضي عينيكِ ولكن لا تنامي وتتركيني، حسنًا؟».

قالت: «بالطبع لا».

---

(1) ليفت هي خدمة مشاركة في الرحلات عبر الهاتف والتي تم إطلاقها في عام 2012 في أمريكا كبديل لخدمات سيارات الأجرة التقليدية وفي منافسة مباشرة مع أوبر.

نهض، ووضع أسطوانة لـ «ريتشيل ياماجاتا»، ثم جلس على الأريكة لمدة أغنيتين. عندما تسلل عائدًا إلى غرفة النوم، كان سعيدًا بالعثور على اليشا مستلقيةً على بطنها، وقد خرجت إحدى ساقيها من تحت الأغطية، وهي تغط برفق.

عاد إلى الأريكة، وفتح حاسوبه المحمول، وبحث عن نقطة في منتصف الطريق بين أوستن بـ «تكساس»، وآن أربور بـ«ميتشجان». كانت هناك بعض الكبائن اللطيفة بالقرب من غابة شاوني الوطنية والتي بدت بقعة جيدة مثل أي بقعة أخرى. أرسل رسالة نصية إلى كارولين:

اشتقت لكِ الليلة. هل تريدين أن نلتقي في كبائن «رولينج بروك كابينز» في ماكاندا بـ«إيلينوي»؟





(4)

الجمعة، 21 أكتوبر، الساعة 11:15 مساءً

نظرت كارولين إلى رسالة إيثان وكتبت: «نعم، متى؟».

كتب: «اختاري موعدًا، إنني متفرغ دومًا».

فتحت كارولين الرُوزنَامَة الخاصة بها، على الرغم من أنها كانت تعلم جدول مواعيدها جيدًا. ستكون متفرغة في عطلة نهاية الأسبوع التالية، وعلى الرغم من أن لديها الكثير من رصد العلامات للقيام به، فقد أنجزت الكثير الليلة، ويمكنها القيام بالفائض طوال الأسبوع. كانت فكرة رؤية إيثان وجهًا لوجه قد جعلت معدتها مضطربة، ولكن ليس بالضرورة بطريقة سيئة. أخبرت نفسها أنه إذا كان الأمر محرجًا، إذا لم يكن لديهما اتصال جسدي، أو شيء من هذا القبيل، فيمكنهما على الأقل البقاء أصدقاء. لقد كان أمرًا مقبولًا بهذا القدر.

كتبت: «نلتقي يوم الجمعة؟».

رد إيثان: «بإمكاني فعل ذلك».

كارولين: «إنها عطلة نهاية الأسبوع لعيد الهالوين».

إيثان: «هل هذه نهاية أسبوع حافلة بالنسبة إليكِ؟ هل علينا أن نلغي؟».

كارولين: «إنها نهاية أسبوع حافلة جدًا لطلابي. الكثير من الملابس المثيرة».

إيثان: «هل أنت مدعوة إلى حفلٍ ما؟».

كارولين: «دومًا. أحد زملائي لديه دائمًا شيء ما في ليلة السبت بحلول عيد الهالوين».

إيثان: «هل يجب أن نجعلها في عطلة نهاية أسبوع أخرى؟».

كارولين: «يا إلهي، كلا. إن رؤيتك تعني أنني لست مضطرة للتفكير في زي».

إيثان: «سيلفيا بلاث العاهرة».

كارولين: «لقد ارتديت ذلك قبل عامين. سيتذكر الناس. ماذا عنك؟ هل هناك حفلة؟».

إيثان: «هناك حفلة يمكنني الذهاب إليها ولكني أفضل الذهاب إلى إيلينوي».

كارولين: «أنا سعيدة. ماذا كان سيصبح زيك؟».

إيثان: «نجم روك مُفْلِس. الزي نفسه كل عام».

أخذا يتراسلان ذهابًا وإيابًا لمدة ساعة أخرى، وبحلول النهاية، حجز إيثان ليلتين في كابينة من أجل ليلتي الجمعة والسبت التاليتين.

ذهبت كارولين إلى الفراش وحاولت ألا تقلق بشأن رؤية إيثان، وما كان يتوقعه، وما قد تشعر به عندما تكون معه. بدلًا من ذلك، كانت قلقة بشأن من ستحضره ليعتني بإستريلا وفيبل، وكانت قلقة حيال مخاطر السفر إلى مكان من شأنه أن يجمعها هي وإيثان معًا، مع الأخذ في الاعتبار أنهما كانا على قائمة قتل لشخص ما. ربما كان من الغباء حتى محاولتهما اللقاء. لكن جزءًا منها لم يكترث، أو على الأقل لم يكترث بما فيه الكفاية. كان الشعور الذي ينتابها حين تتحدث مع إيثان، أو حتى تراسله عن طريق البريد الإلكتروني أو الرسائل النصية، قويًا للغاية، ومحررًا للغاية، لدرجة أنها كانت بحاجة إلى معرفة ما إذا كان هذا الشعور سيستمر عندما يكونان وجهًا لوجه. لقد تساءلت أحيانًا عما إذا كانت قد وقعت في الحب حقًا من قبل. كان صديقها الجاد الوحيد هو أليك جريشام، الذي التقته في أكسفورد، عندما كانت هناك من أجل منحة فولبرايت الخاصة بها. لقد انتقل إلى أمريكا لمدة عامين

ليكون معها حيث أكملت درجة الدكتوراه في مدينة إيثاكا، وبحلول نهاية إقامته، شعرا بأنهما أعز صديقين أكثر من كونهما عاشقين. كلا، لم يكن ذلك صحيحًا، لقد أحبته حينها، وما زالت تحبه بطريقة ما، لكنها لم تشعر نحوه قط بالطريقة التي شعرت بها الآن فجأة تجاه إيثان. استمر اقتباس من رواية «عقل وعاطفة» يدور في رأسها: «ليس الزمن أو الفرصة من يحدد الألفة؛ إنما هي الطباع وحدها. سبع سنوات قد لا تكون كافية لجعل بعض الناس يتآلفون مع بعضهم بعضًا، وسبعة أيام أكثر من كافية للآخرين». هل هذا ما كان لديهما إيثان وهي، طباع؟ أو ربما كان الأمر يتعلق بظروفهما فحسب، لكنها كانت بحاجة إلى معرفة ذلك بطريقة أو بأخرى.

في صباح اليوم التالي تحدثت إلى مايف، وهي أستاذ مساعد وزميلة عاشقة للقطط كانت قد تعرَّفت إليها، وقد وافقت مايف على رعاية قططها خلال عطلة نهاية الأسبوع، «قد أسرقها منك فقط»، ثم تحدثت مع الشرطية هانلي، التي كانت مسؤولة عن فريق حماية الشرطة الخاص بها. أخبرتها الشرطية هانلي أنها سترتب لنشر ضباط شرطة خارج «رولينج بروك كابينز» في إيلينوي، وأنها سوف توافيها بالتفاصيل. في نهاية المحادثة الهاتفية، قالت ليز: «هذا طريق طويل لنقطعه من أجل دعوة للمضاجعة»، وتخللت الجملة، كما كانت تفعل في كثير من الأحيان، ضحكةٌ عاليةٌ.

قالت كارولين: «أجل، إنه كذلك».

قاومت الرغبة في إخبارها أنها لم تكن دعوة للمضاجعة بالضبط، على الرغم من معرفتها بأنها كانت كذلك نوعًا ما.



(5)

الأربعاء 26 أكتوبر، 5:33 مساءً

أجرى جاك راديبو المكالمة الهاتفية من الفراش المريح في غرفته الفندقية الراقية. كانت هناك رنتان، ثم إجابة: «إلين مرسر هنا».

- أيتها العميلة مرسر، مرحبًا. هذا جاك راديبو، لقد تحدثت معكِ بعد...

- أهلًا جاك، أعرف من أنت. كيف حالك؟

- إنني بخير. كل شيء على ما يرام. لكنني تذكرت أنكِ أخبرتني بأنني إذا فكرت في أي شيء، هل هناك أي صلة محتملة...

- صحيح.

- حسنًا، لا تزال الأسماء الأخرى في القائمة غير مألوفة بالنسبة إليَّ، لكنني قمت ببعض البحث في جوجل في الواقع، وقرأت أن فرانك هوبكنز يمتلك منتجع ويندوارد. هل هذا صحيح؟

- أجل.

- حسنًا، ما لم أكن مخطئًا، فأنا متأكد من أنني أقمت في منتجع ويندوارد. كان في كينويك بـ «مين»، أليس كذلك؟

- أجل، هذا صحيح.

- كان هذا منذ آلاف السنين، عندما كنت في الحادية عشرة من عمري. لقد كنت هناك مع عائلتي معظم ذلك الصيف.

قالت العميلة: «إذن هل تتذكر فرانك هوبكنز؟».

- كلا. أعني، بالكاد أعتقد أنه كان يدير المنتجع في عام 1956.

- في الواقع، كان هناك في عام 1956. كان والداه يديران المنتجع قبل أن يفعل، ولقد عاش هناك طوال حياته، على حد علمنا.

- أوه.

- لذلك من المحتمل جدًا أنك قابلته عندما كنت هناك. كان من الممكن أن تكون في نفس العمر تقريبًا.

شرب جاك من زجاجة المياه المعدنية المجانية التي كانت على منضدة سريره.

- ربما كنت قد عرفته، لقد كان هناك الكثير من الأطفال في مثل عمري، ولا أتذكر أسماءهم حقًا.

- بالطبع، إنني أتفهم ذلك.

- انظري، أنا متأكد من أنها مصادفة بحتة، لكنكِ قد أخبرتني...

- كلا. كلا، بالطبع، أنا سعيدة جدًا لأنك اتصلت. أي شيء تفكر فيه، حتى لو كانت مصادفة، يمكن أن يكون مفيدًا. ماذا عن أي من الأسماء الأخرى؟

- للأسف، لا.

- حسنا، إذا فكرت في أي شيء...

- سوف أخبركِ، أعدك.

- وشيء آخر، جاك، كنت أنوي أن أسأل عما إذا كنت ستعيد النظر في الحصول على حماية الشرطة. حتى لو كانت مجرد سيارة غير مميزة من حين لآخر خارج منزلك في ساعات محددة.

- إنني مسافر الآن، لذا فهم سيحرسون منزلًا فارغًا. لكن الجواب هو أنني بخير حقًا من دونها. شكرًا ولكن في الحقيقة لا شكرًا.

كان بإمكانه سماعها تتنهد عبر الخط.

- حسنًا، إذن. شكرًا لك على إعلامنا بمنتجع ويندوارد. ولا تتردد إذا تذكرت شيئًا آخر. أي شيء آخر.

بعد إنهاء المكالمة، تساءل جاك للحظة عما إذا كان الاتصال بمكتب التحقيقات الفيدرالي هو الشيء الصحيح الذي كان ينبغي فعله، وما إذا كان يجب أن يخبرها بما حدث لشقيقته في منتجع ويندوارد.

***

كان هناك طرق على الباب. قبل الاتصال بالعميلة مرسر مباشرةً، كان جاك قد اتصل بخدمة الغرف، لكنه اعتقد أن الوقت كان مبكرًا على وجودهم عند باب غرفته. انزلق بحذر شديد من الفراش -كان دائمًا ما يشعر بالشيخوخة خاصةً عندما يسافر للعمل- وسار باتجاه بابه، وفتحه بما يكفي لرؤية رجل لاتيني قصير يحمل صينية عليها سلطة كوب[1] الخاصة به، بالإضافة إلى نصف زجاجة من النبيذ. أحضر جاك الصينية إلى الطاولة أمام النوافذ الوحيدة للغرفة، وهي عبارة عن ثلاثة ألواح متجاورة والتي تمنح منظر بانوراما لأراضٍ زراعية مسطَّحة لأبعد ما يمكن أن يرى. كان هناك ضوء شمس خافت يضرب نافذته ولكن في مكان ما في المسافة الوسطى كان باستطاعته أن يرى سحابة مظلمة، وتصدعات من أسفلها، وعاصفة ممطرة تضرب بعض النقاط البعيدة. للحظة وجيزة ومخيفة، نسي جاك مكان وجوده تمامًا، ثم تذكر أنه كان في ضواحي «إنديانا بوليس».

جلس ونزع الغلاف البلاستيكي عن سلطته، كانت كل شيء، بما في ذلك الدجاج المشوي ولحم الخنزير المقدد، باردًا كالثلج. لا عجب أنه جاء على الفور، كان من الواضح أنه قد تم إعداده مسبقًا وبقي في الثلاجة. نزع الغطاء عن نبيذه ليفتحه وسكب لنفسه كأسًا.

***

---

(1) هي سلطة حديقة أمريكية رئيسية تقدم عادة مع خضر سلطة مقطعة (خس آيسبرج، جرجير، إنديز، وخس رومين)، طماطم، لحم مقدد هش، صدر دجاج مسلوق، مشوي أو مسلوق (لكن ليس مقليًا)، البيض، الأفوكادو، الثوم المعمر، جبنة روكفور، وخل الخمر الأحمر.

(6)

الجمعة، 28 أكتوبر، 5:47 مساءً

لم تبدُ كبائن رولينجبروك من الخارج بالشيء الكثير، لكنها كانت على حد الفخامة من الداخل. بدت كشيء ما قد تراه في كتالوج «ال ال بين»، حيث المفروشات الخشبية الداكنة، ومطبوعات صيد السمك على الحائط، وكان الفراش مغطى ببطانية بيضاء ذات خطوط حمراء وخضراء وصفراء. كانت هناك مدفأة تعمل، وكرسيان منجدان من طراز كراسي الكوخ، وكان هناك حوض استحمام عميق بالحمام.

وصل إيثان إلى هناك أولًا، ثم أرسل رسالة نصية إلى كارولين ليقول إنه قد سجل الوصول، وأن عليها أن تأتي إلى الكابينة مباشرةً. ردَّت برسالة نصية لتقول إنها كانت على بعد نصف ساعة. أخذ يذرع الكابينة جيئة وذهابًا في توتر، متسائلًا عما إذا كان لديه الوقت للاستحمام بسرعة، ثم قرر أنه لم يفعل. ظل يحوم حول النافذة ويجذب الستار للخلف ليرى ما إذا كانت كارولين قد وصلت. كان بالكاد متنبهًا لوجود دورية الشرطة، على الرغم من أن الشرطي كان قد عرَّف نفسه لإيثان بعد أن سجل الوصول.

ذهب ونظر في الثلاجة. كان هناك زجاجة مجانية من النبيذ الأبيض وطبق فاكهة مغطاة بغلاف بلاستيكي، تركهما حيث كانا. في حقيبة ظهره، كان لديه ضارب واحد، مملوء ببعض القِنَّب الهندي القوي، لكنه أراد أن يكون غير متعاطٍ عندما يرى كارولين لأول مرة. بدا ذلك مهمًّا بطريقة ما.

كان هناك طرق على الباب وخفق قلبه في صدره. ذهب وفتحه، ليجد هناك كارولين، أطول مما كان يعتقد أنها ستكون، وجنتاها متوهجتان، وهناك ابتسامة على وجهها.

قالت: «أنا متوترة».

- أنا متوتر أيضًا. لماذا؟

- صحيح.

دخلت الكابينة، ووضعت حقيبة الرحلات القصيرة الخاصة بها، وتعانقا. كان ذلك شعورًا رائعًا، ولكن أيضًا خياليًا، كما لو أن العالم قد أضاف بُعدًا فجأة وكان إيثان يسارع إلى اللحاق بهذا الشعور.

قالت: «ماذا يجب أن نفعل الآن؟».

- ماذا تريدين أن تفعلي؟

- أنا سألتك أولًا.

قال إيثان: «أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى الفراش معًا. لا يهمني ما إذا كنا سنمارس الجنس أو أي شيء آخر، لكنني أريد أن أستلقي بجانبك وأن أكون قادرًا على لمسكِ وتقبيلكِ».

- هذا ما أرغب في فعله أيضًا.

بعد ساعتين كانا يحتسيان النبيذ ويأكلان الفاكهة في الفراش، وقد شعر كلاهما بارتياح شديد لأنهما شعرا بأنهما قريبان من بعضهما الآن كما كانا يشعران خلال الأسابيع القليلة الماضية. وعلى نحو دوري، كان أحدهما، أو كلاهما، يضحك فجأة.

قالت كارولين: «لو أن أحدًا رآنا...».

- لا يهمني. أنا سعيد جدًا لوجودي هنا معكِ.

- وأنا كذلك.

بعد ساعة، استلقى كلاهما في مواجهة بعضهما، وقد جذبا الشراشف والبطانيات بإحكام حول جسدَيهما العاريين. كانا كلاهما منهكين.

قال إيثان: «التقينا في نهاية الحفل».

بدت كارولين مرتبكة للحظة، ثم ضحكت.

- إنك تقتبس الشعر عني.

- كانت تلك القصيدة التي عثرتِ عليها.

قالت: «أجل. (التقينا في نهاية الحفل، عندما انتهت كل المشروبات)».

- هل تعرفين الباقي؟

- بعض منه، وليس كله، لقد انتهيت من اقتباس الشعر.

قال إيثان: «أنا سعيد لأننا فعلنا ذلك».

- فكر في مدى غرابة الطريقة التي التقينا بها.

- إنني أفكر في ذلك طوال الوقت.

قالت كارولين: «هل تؤمن بأن ذلك كان مُقَدَّرًا بطريقة ما؟».

بعد وقفة قصيرة، قال إيثان: «كلا، أنا لا أفعل. أنا لا أومن برفقاء الروح أو أن هناك شريكًا واحدًا مثاليًا لنا جميعًا. أعتقد أن هناك العديد من الشركاء المثاليين، وأحيانًا لا يجد الناس شريكهم المثالي أبدًا، أو يجدون اثنين أو أكثر. إنه أمر عشوائي».

- إنني أتفق معك. أنا لا أومن برفقاء الروح، لكنني أومن بالطباع.

قال إيثان: «أوه حقًا؟».

- نحن لسنا متشابهين في بعض النواحي، ولكن لدينا نفس الطباع. إنها كل شيء، على ما أعتقد، وأنا سعيدة للغاية لأننا فعلنا ذلك.

- أنا أيضًا. وإن لم يكن هناك شيء آخر، فهذا هو أكثر فراش مريح نمت فيه على الإطلاق.

- قالت كارولين: «ها، إنه هكذا بالفعل، أليس كذلك؟».

***

غطًا في نوم عميق، بمساعدة سائل البنزوديازيبين الذي تم حقنه في النبيذ من خلال سدادة القنينة. لم يستيقظ أي منهما بالحقن التي تلقياها بعد ذلك، أولًا من جرعات أعلى بكثير من نفس البنزوديازيبين، تلتها حقن جرعات قاتلة من المورفين. تشنجت كارولين -التي كانت أخف وزنًا بنحو أربعين رطلًا من الرجل الذي كانت نائمة بين ذراعيه- قليلًا، ودماغها متعطش للأكسجين، ثم ماتت.

***

ثلاثة

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

السبت، 29 أكتوبر، 2:22 صباحًا

بعد عشرين دقيقة، توفي إيثان دارت بنفس الطريقة التي توفيت بها كارولين جيديس.

***

اثنان

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الأحد، 30 أكتوبر، 4:39 مساءً

كانت مباراة فريق سنتيس قد بدأت للتو، وفتح سام هاميلتون علبة من الجعة، على الرغم من أنه لم تكن لديه أي نية في الجلوس أمام التلفاز. كان في مكتبه، وقد رفع صوت التلفاز بالدرجة الكافية التي تمكّنه من سماع حدوث أي شيء بالغ الأهمية. كان سام قد ملأ جدارًا كاملًا بصور وقصاصات الصحف وملاحظاته المكتوبة بخط اليد، وكلها تتعلق بقضية فرانك هوبكنز، أو بالأحرى، كما كان يفكر بها، قائمة القضايا التسع. فمنذ رحلته لزيارة سينثيا، شقيقة فرانك هوبكنز، في فلوريدا، أصبح سام منشغلًا، ليس فقط في الحصول على المستجدات بصفة دورية من ماري باركنسون من شرطة الولاية، ولكن في البحث عن الحادثين اللذين وقعا في منتجع ويندوارد اللذين أخبرته سينثيا عنهما. والآن قد وجد أخيرًا شيئًا يبدو أنه قد يكون مفتاحًا لكل ما كان يحدث.

في البداية، كان قد ركز على القتل (الانتحار) الذي حدث في عام 1961: انتحر رجل يدعى بارت كناب من بورتلاند بولاية مين، في إحدى غرف ويندوارد بعد قتل عشيقته، وهي امرأة تدعى بيتسي ستورنيفان. كان كلاهما متزوجين، وكلاهما يعمل في نفس مكتب المحاسبة في بورتلاند بولاية مين. لم يكن من الصعب العثور على تفاصيل حول هذه القصة بالذات، لأن القضية تصدرت الأخبار المحلية. بسبب أنه لم يكن هناك مُقاوَمة ملحوظة في الغرفة، ولأن كلا

المتوفين قد وُجِدَ في دمائهما المهدئات والكحول، كان الحكم الرسمي انتحارًا مزدوجًا، مبنيًا على افتراض أن بيتسي شقت معصميها في أثناء وجودها في الفراش، ثم ذهب بارت إلى حوض الاستحمام واستخدم الشفرة على نفسه. رفضت عائلة بيتسي ستورنيفان هذا الحكم، مدعية أن بارت لم يقتل بيتسي ستورنيفان فحسب، بل أخذها إلى منتجع ويندوارد ضد إرادتها، وأبقاها مخدرة بالمهدئات. لقد كانت قصة مثيرة، وقد نبش سام عددًا من المقالات ليقرأها، معظمها من صحيفة محلية في ذلك الوقت، «كينويك ستار». لم يكن أي من ضباط الشرطة المعنيين بالقضية على قيد الحياة. لكن كلًا من بارت ناب وبيتسي ستورنيفان كان لديهما أطفال صغار وقت وفاتهما، وكان سام قد أخذ بعين الاعتبار معرفة ما إذا كان بإمكانه العثور عليهم الآن. سيكونون في أوائل الستينيات من عمرهم أو منتصف الستينيات. قد يفعل ذلك باستثناء حقيقة أنه لم يكن قادرًا على العثور على أي صلة على الإطلاق بين أي من العشاق وأي شخص في القائمة. في النهاية، قرر أنه طريق مسدود.

تركه ذلك مع الفتاة الصغيرة التي غرقت بجوار الرصيف الحجري. عندما وضع «منتجع ويندوارد» و«الغرق» في محرك البحث، كان كل ما ظهر هو قصة مراهق يدعى دوان وزنياك الذي غرق في أثناء السباحة بعيدًا عن رصيف الميناء في عام 2000. قرأ ما في وسعه بشأن هذه الواقعة، لكن كان من الواضح أنه كان حادثًا، ولم يتمكن من العثور على أي صلة بين عائلة دوان وزنياك وأي من الأشخاص المدرجين في القائمة. لسبب ما، كان مهتمًا أكثر بالقصة التي أخبرته بها شقيقة فرانك. قالت سينثيا إنها اعتقدت أنها كانت تبلغ من العمر أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا عندما غرقت الفتاة، وبما أنها قالت أيضًا إنها كانت في الثامنة عشرة من عمرها عام 1961، فهذا يعني أن الغرق حدث على الأرجح إما في عام 1957 وإما 1958. بدا منطقيًا بالنسبة إلى سام عدم تمكنه من العثور على أي إشارة إلى الغرق في منتجع ويندوارد في تلك السنوات باستخدام عمليات البحث عبر الإنترنت. إن غرق فتاة صغيرة عرضيًا على أحد الشواطئ في ولاية مين لن يؤدي بالضرورة إلى نشرها في المنشورات المحلية، تلك التي تمت أرشفتها عبر الإنترنت. لكن القصة كانت ستذكر بالتأكيد في الصحف المحلية. لذلك جلس سام في الأيام الثلاثة الماضية بعينين غائمتين في مكتبة كينويك العامة وهو يتفقد

الميكروفيلم لكل من «كينويك ستار» و«ساوثرن مين فوركاستر»، وهما صحيفتان محليتان نشطتا في منتصف خمسينيات القرن الماضي. كان على وشك الاستسلام عندما قرر توسيع الإطار الزمني، والبحث عن المقالات في عامي 1956 و1959 أيضًا. لقد أحرز نجاحًا قبل ثلاث ساعات فقط بعثوره على قصة في ستار عن الغرق المأسوي لفاي جرانت في يوليو من عام 1956. كانت تبلغ من العمر عشر سنوات، وتقيم في ويندوارد فترة الصيف مع والدتها وشقيقها. نُقل عن محقق شرطة اسمه ويليام كيبل قوله إن الغرق كان حادثًا عرضيًا، وأن فاي جرانت قد صعدت على الأرجح إلى الشق عند سفح الرصيف، ثم لم تتمكن من الخروج حين ارتفع المد.

وردت أسماء عائلة فاي المباشرة، في إحدى المقالات. كان الأب هو جون جرانت، مسؤول تنفيذي للتأمين من هارتفورد بـ «كونيتيكت». وعلى الأرجح سُمِّي شقيق فاي الأكبر تيمنًا باسم والده، حيث أشارت إليه الصحيفة باسم «جاك جرانت الصغير»، وكانت الأم ليلي جرانت، ابنة ليلي راديبو، في الأصل من بالتيمور.

عندما قرأ سام هذه الكلمات، سرت رعشة على جلد ذراعيه وظهر عنقه. إن «جاك جرانت الصغير» قد يكون معروفًا باسم جاك راديبو. وإذا كانت فاي شقيقته، فسيكون لقائمة التسعة علاقة بوفاتها. ربما من أجل الثأر. فرانك هوبكنز، الذي كان من الممكن أن يكون في منتجع ويندوارد عندما ماتت فاي، قد غرق قرب رصيف الميناء. الأسماء الأخرى في القائمة، كل الناس أصغر من أن يكونوا حاضرين وقت وفاة فاي... حسنًا، لم يكن لدى سام أي فكرة عن سبب استهدافهم. كان أفضل تخمين عنده أنهم كانوا مرتبطين بطريقة ما بشخص يعتقد جاك أنه مذنب. ربما أحد والديهم. هكذا ستجدي التواريخ نفعًا.

***

بعد إرسال بريد إلكتروني إلى كل من المحققة ماري باركنسون من شرطة الولاية والعميلة روث جاكسون من مكتب التحقيقات الفيدرالي مع

صور بخاصية جيه بي إي جي[1] لجميع المقالات ذات الصلة، كان سام الآن يدرس الملاحظات التي كان قد أخذها على عائلات الضحية. وكانت الأمور قد بدأت تسير في نصابها الصحيح، لقد كان هناك تشابه بين أهل الضحايا أكثر من الضحايا أنفسهم. كانوا جميعًا من ذوي البشرة البيضاء، وجميعهم من الطبقة المتوسطة أو الطبقة المتوسطة الميسورة، وجميعهم متمركزون حول نيو إنجلاند. وكان هناك شيء آخر، شيء لاحظه سام قبل أسبوع. على قائمة الأسماء التسعة كان هناك ستة رجال وثلاث نساء. لقد تساءل عن ذلك. إذا كان جاك راديبو، أو أي شخص آخر (كان ذلك ممكنًا)، يقتل أطفال الأشخاص الذين اعتبرهم متواطئين في وفاة أخته، فلن يحاول فقط جعل وفاتهم غير مؤلمة، ولكن ربما قد يختار أيضًا الأبناء ليقتلهم وليس البنات. لقد تم استهداف جيسيكا وينسلو بالطبع، لكنها كانت طفلة وحيدة. وكارولين جيديس، رغم أنها ليست طفلة وحيدة، كان لديها شقيق واحد يعيش خارج البلاد. بذهن متسارع، ذهب سام وحصل على جعة أخرى من الثلاجة، ولم يكلف نفسه عناء النظر إلى مباراة كرة القدم على التلفاز.

عندما عاد إلى مكتبه، أخذ يفكر في أليسون هورن، التي لم يتم العثور عليها مطلقًا. هل ماتت بالفعل؟ فكر أنها على الأرجح لم تمت، لأنه إن كانت قد قضت نحبها، فسيكون هناك تقرير للشرطة، وإشعار بالوفاة، شيء ما لتنبيه مكتب التحقيقات الفيدرالي. ربما كانت ميتة، ولم يتم اكتشاف جسدها بعد. لكن شخصًا ما بالتأكيد كان ليبلغ عن اختفائها. كلا، افترض سام أنها لا تزال على قيد الحياة، وتساءل عن مكان وجودها، وعما إذا كانت تعرف مدى الخطر المُحْدِق بها.

***

(1) جيه بي اي جي هي طريقة معيارية شائعة لضغط الصور الرقمية مع خسارة في القيمة المعلوماتية للصورة وتستخدم لحفظ ونقل الصور الشمسية على شبكة الويب.

(2)

الإثنين، 31 أكتوبر، 3:03 مساءً

كان جوناثان جرانت في طريقه لإرسال رسالة نصية إلى أليسون من المطار لإعلامها بأنه عاد إلى برمودا وسيكون في المنزل في غضون ثلاثين دقيقة، لكنه قرر ألا يفعل. كان يفكر في أن يفاجئها، على الرغم من حقيقة أنه يعرفها جيدًا بما يكفي ليعرف أنها ليست من هواة المفاجآت.

سمح لنفسه بالدخول إلى المنزل المطل على «كنيسة فولي لين» وصاح «مرحبًا» وهو يمسح حذاءه في ممسحة الباب الداخلية. كان المنزل هادئًا، وتساءل عما إذا كانت أليسون في خليج توباكو أم بالخارج في نزهة على الأقدام. لكنها ظهرت بعد ذلك على الدرج مرتدية قميص نوم أبيض طويل، وللحظة غريبة، شعر جوناثان وكأنه ينظر إلى شبح.

قال: «لقد عدت».

نزلت الدرج واحتضنته قائلةً: «أنا سعيدة»، وتبعتها على الفور: «كان بإمكانك الاتصال أولًا».

- فكرت في أن أفاجئك. تبدين نحيفة.

قالت: «أوه»، ونظرت إلى نفسها في ثوب النوم الشفاف.

- أعيش على الزبادي والفاكهة، على ما أعتقد. إنني سعيدة حقًا بعودتك.

- دعيني أفرغ حقيبتي وأستحم وبعد ذلك يمكننا الخروج لتناول وجبة كبيرة.

***

ذهبا إلى فندق «سويزل إن»، وأخذ جوناثان يتذمر -كما كان يفعل في كل مرة يذهبان فيها هناك- من أنه أصبح الآن فخًا للسياح حيث يبيع القمصان والزجاج المتخصص. لكن مع ذلك، كان لديه طاولة مفضلة والتي تمكنا من الحصول عليها، وطلب حساء السمك كمقبلات ثم الكبد والبصل.

قالت: «أخبرني عن رحلتك».

- لقد انتهيت من كل ذلك الآن.

- ماذا تقصد بذلك؟

- التزامات، أموال، كل ذلك. أخبريني عن برمودا. كيف هو الحال من دوني هنا؟

أخذت أليسون رشفة من نبيذ روزي وقالت: «اعتقدت أنني سأحبها، لكنني لست متأكدة من أنني أفعل. هل أخبرتك يومًا كيف أنه لدي الحاسة السادسة؟».

خفض حاجبيه وقال: «لا، لا أعتقد ذلك».

- ليس أمرًا مهمًا ولكن منذ أن كنت فتاة، كان ينتابني شعور، تقريبًا مثل رعشة باردة تجتاحني، كلما كانت هناك أشياء سيئة على وشك الحدوث، أو في بعض الأحيان عندما تكون قد حدثت.

- أخبريني بالمزيد، أنا مهتم.

أخبرته كيف عرفت أن جدتها ستموت قبل حدوث ذلك، وعن تلك المرة في المدرسة الثانوية عندما مرت بميسي تالبوت في القاعة بعد ظهر يوم الجمعة وشعرت كما لو أن كل الدفء قد امتص منها. توفيت ميسي ليلة السبت تلك، وألقيت من السيارة عندما انحرف صديقها عن طريق بوب وهما عائدان إلى المنزل من حفلة بريان شيرزينجر. لم تخبره أن نفس الشعور بالبرودة قد انتابها في الليلة التي سألها جوناثان عما إذا كانت تريد الحصول على كأس

من النبيذ معه بعد ورديتها. لكنها أخبرته أنه بعد أن غادر برمودا، وكانت بمفردها في منزله، غمرتها مشاعر سيئة، مشاعر باردة.

- لم يكن مثل هاجس بالضبط. في البداية، اعتقدت أنه قد يكون كذلك، لكنني أظن أنه ربما يكون المنزل، أن تكون وحيدًا هناك... ربما كنت ألتقط بعض الأشياء التي حدثت في الماضي...

قال جوناثان: «إنكِ كالذي يبشر الواعظين[1]»، وأخذ رشفة طويلة من مارتيني الجن.

- يوجد بعض التاريخ هناك. ليس فقط عائلتي، ولكن على الأرجح من قبل ذلك.

- أو ربما كنت وحيدة فحسب.

جاءت النادلة لترفع أطباقهما، مناديه جوناثان بـ «هون».

سألته أليسون بعد مغادرة النادلة: «منذ متى وأنت تأتي إلى هنا؟».

- طوال حياتي، منذ أن كنت طفلًا. هذا مطعم قديم. إنه موجود هنا منذ ما يقرب من مئات السنين.

- هل أستطيع أن أسألك سؤالًا شخصيًا؟

- بالتأكيد.

- لقد كنت أتجول في أرجاء المنزل كما تعلم، باحثة في الخزائن، ووجدت المزيد من الصور التي قد تكون مهتمًا بها. ولاحظت، ليس كما لو أن ذلك من شأني، ولكن الصور الوحيدة التي وجدتها لشقيقتك هي عندما كانت صغيرة جدًا.

قال جوناثان: «لقد ماتت صغيرة جدًا. ألم أخبركِ بذلك؟».

- لقد أخبرتني أنها ميتة، لكن لا، لم أكن أعرف متى أو كيف حدث ذلك.

- لقد ماتت عندما كان عمرها عشرة أعوام وكنت أنا في الثانية عشرة. كان هذا منذ زمن طويل.

- مع ذلك، يؤسفني سماع ذلك يا جوناثان. ماذا كان اسمها؟

---

(1) بمعنى أنك تحاول إقناع شخص بشيء هو مقتنع به مسبقًا.

- فاي.
- كيف ماتت؟
- غرقت، في مين. ذهبنا كعائلة لمدة شهر واحد إلى منتجع في كينويك. كان هناك رصيف حجري عند الشاطئ، مثل كاسر الأمواج، وعند انخفاض المد، كانت هناك بِرَك المد والجزر، وكهوف صغيرة حيث لم تلتقِ كتل الجرانيت بشكل مثالي. لقد علقت في واحدة عندما كان المد يعود وهكذا غرقت.
- أوه، هذا فظيع.

قال جوناثان: «لقد كان كذلك».

وشيء ما في صوته جعل أليسون تعتقد أنه انتهى من الحديث عن هذا الموضوع بالذات.

***

عندما عادا إلى المنزل، تجرعا كأسًا أخيرة قبل النوم في غرفة المعيشة، ووقفت أليسون تنظر إلى اللوحات الزيتية لفاي وجوناثان فوق المدفأة.

قالت أليسون تقريبًا لنفسها: «كانت جميلة».

قال جوناثان: «كانت كذلك».

كان يقف بجانب طاولة المشروبات، وهو يمسك إبريقًا من الويسكي في يد واحدة.

- أين وقفتم من أجل تلك الصور؟
- ليس هنا، أنا متأكد تمامًا. في ويست هارتفورد، حيث نشأنا. لا أتذكر الكثير سوى أن والدتي أصرت على ارتداء بدلات البحارة، وكنت كبيرًا بما يكفي لأشعر بالحرج من ذلك.
- حسنًا، كلاكما تبدوان لطيفين في بدلات البحارة الخاصة بكما. جوناثان الصغير، أو جوني الصغير... ماذا كنت تُدعى حينها؟
- جاك، في الغالب.
- أوه. متى تغير ذلك؟

- عندما قمت بتغييره، على ما أظن.

- في أثناء نشأتي كان الجميع ينادونني ألي. الجميع باستثناء والدي، الذي كان يناديني دائمًا أليسون. مما جعلني أشعر بالنضج والرقي. عندما ارتدت الجامعة، أخبرت الجميع أنني أليسون، وهذا ما أنا عليه الآن.

قال: «هذا مشابه لما حدث لي، لكنني في الواقع جعلته قانونيًا. بعد وفاة شقيقتي، لم يتعامل أي من والديَّ مع الأمر بشكل جيد على الإطلاق، لكن والدي -على وجه التحديد- قرر أن أفضل شيء هو التظاهر بأنها لم تكن موجودة قط. لم أسامحه قط على ذلك، على ضعفه، وحالما تسنى لي قمت بالفعل بتغيير كنيتي إلى راديبو، وهو اسم والدتي قبل الزواج. في هذه الأيام، يعرفني بعض الناس باسم جاك راديبو، والبعض الآخر، مثلك، يعرفني باسم جوناثان جرانت. لم أعد أكترث بشأن اسمي بعد الآن. أعتقد أن ما يكفي من الدماء قد مر تحت هذا الجسر[1]».

وضع جوناثان الإبريق على الطاولة. لم يملأ كأسه.

قالت أليسون: «دماء تحت الجسر».

- هاه؟ ماذا؟

- كان هذا شيئًا اعتاد والدي قوله؛ «كل هذا مجرد دماء تحت الجسر».

- حسنًا، لقد كان محقًا. هذا هو كل ما عليه الأمر الآن.

قالت أليسون وعيناها متجهتان إلى الجانب: «هذا الاسم مألوف جدًا بالنسبة إليَّ».

- ماذا، اسمي؟

- أجل ، الكنية. كلا، الاسم بالكامل، جاك راديبو.

- لقد كتبت كتابًا مرة واحدة، وقد نُشر تحت هذا الاسم.

- أي نوع من الكتب؟

- كتاب أعمال، لقد أبلى بلاءً حسنًا، لكن...

(1) تعبير يعني أن ما قد فات مات، أو أن الأمر أصبح في طي النسيان.

- كلا، على الأرجح لم يكن ذلك هو الأمر.

جلست على أقرب كرسي، منجد بقماش أزرق مع ركائز بيضاء صغيرة.

راقبها، متسائلًا عما إذا كانت ستتذكر المكان الذي رأت فيه اسم راديبو، ومتسائلًا عمّا إذا كانت قد تذكرت حتى القائمة التي تلقتها، ولكن بعد تناول رشفة من نبيذها، ابتسمت وقالت: «إنه عيد الهالوين».

- أعرف. هل يعجبكِ زيي؟

- ماذا تكون؟

- رجل في شتاء عمري.

- تدلت شفتها السفلية، وقالت: «الخريف، ربما، ولكن ليس الشتاء. يا إلهي، أنا منهكة. هل يجب أن نذهب إلى الفراش؟».

- نعم، دعينا نذهب إلى الفراش.

***

(3)

الثلاثاء 1 نوفمبر، 1:10 صباحًا

سار جاك راديبو -المعروف من قبل أليسون هورن، وعدد قليل من الأشخاص الآخرين، بـ «جوناثان جرانت»، وهو الاسم الذي أطلق عليه عند ولادته- بحذر عبر القاعة ذات الصرير المزعج إلى غرفة النوم التي اعتادت أن تكون لوالده، منذ سنوات عديدة الآن. دخل إلى الخزانة الضيقة التي تفوح منها رائحة خشب الأرز والغبار ووصل إلى حيث كانت بندقية عيار 0.22 مثبتة في مكانها بواسطة مسمارين. سحب البندقية لأسفل، وفحصها للتأكد من أنها كانت محشوة، ثم عاد إلى غرفة النوم. كانت أليسون نائمة على جنبها ويدها مطوية تحت خدها. وقف فوقها، قلقًا قليلًا من أنه حتى من مسافة قريبة، قد تؤذيها الرصاصة قبل أن تقتلها. لقد سمع عن رصاص يرتد عن الجماجم، لكن هذا كان أمرًا نادرًا بالتأكيد. وشك في أن يحدث ذلك إذا صوب البندقية بشكل صحيح.

فكَّرَ «ربما كان يجب أن أخدر شرابها لأتأكد فحسب من أنها لن تستيقظ فجأة»، بنفس الطريقة التي خدَّر بها كارولين جيديس وإيثان دارت. لكنه أخبر نفسه ألَّا يقلق بشأن ذلك. لقد تسنَّت له معرفة أليسون هورن، والشيء الوحيد الذي كان يعرفه عنها هو أن نومها كان ثقيلًا. ثبَّت نفسه، وفوهة البندقية على بعد بوصتين من أليسون. لم يحبها -لم يكن متأكدًا من أنه

قد أحب أي شخص حقًا. على الأقل لا أحد على قيد الحياة حاليًا على هذا الكوكب- لكنه كان معجبًا بأليسون قليلًا.

عاد بذاكرته إلى العام الماضي، عندما دخل لأول مرة إلى مطعم شرائح اللحم الفظيع الذي كانت تعمل مضيفة فيه، فقط لإلقاء نظرة عليها. في تلك المرحلة، كان قد خطط لكل شيء بالكامل لكنه لم يكن متأكدًا تمامًا من أنه سيستمر في ذلك. كان قد كتب بالفعل قائمة بتسعة أسماء، تسع ضحايا محتملين، غير مدركين أنهم محكومون بالموت. وكان المحقق الخاص الذي استأجره ليزوده بمعلومات عن سيرهم الذاتية قد سلمَّه ملفات شاملة لهم جميعًا. بطريقة ما، كان الذهاب لرؤية أليسون هورن بنفسها وسيلة له لاختبار نفسه، ليرى كيف سيشعر حيال لعب دور القدر. جلس عند البار في أبهى حلته وراقبها وهي تقوم بعملها كمضيفة، محاولًا تخيُّل كيف سيكون شعوره وهو ينهي حياتها. لقد فكر في جريس، طفلته الوحيدة، التي كانت لتصبح في سن أليسون الآن إن لم يصدمها سائق ثمل في العام التالي لتخرجها من الكلية. كانت تقود سيارتها عائدة إلى المنزل بعد انتهائها من وردية العشاء في مطعم فرنسي فاخر. لم تكن بحاجة لأن تعمل نادلة، خاصة بعد أن حصلت على وظيفة في مستوى المبتدئين بـ «صحيفة إيثاكا» التي كانت قد تدربت فيها في عامها الأخير بـ «جامعة كورنيل»، وإلى جانب ذلك، فإذا كانت بحاجة إلى أموال إضافية كان سيسعد جاك منحها إياها. لكنها كانت دائمًا مستقلة، وكانت تحب كونها نادلة منذ أن حصلت على أول وظيفة لها في شركة لإعداد وتقديم الطعام بـ «نيوجيرسي» في عامها الأول في المدرسة الثانوية. وتذكَّرها وهي تخبره بأنها تجني في ليلة واحدة من عملها كنادلة أكثر مما كانت تجني طوال الأسبوع من الصحيفة.

لقد كانت ابنته جميلة إلى حد مفرط، وكان جاك يتخيل الطريقة التي سيلاحظها بها الرجال الذين يتناولون الطعام في مطعم سولت بسترو. وكان قلقًا بشأن مغادرتها المطعم في وقت متأخر من الليل والسير إلى سيارتها. لكن الأشياء التي نقلق بشأنها ليست هي الأشياء التي تحدث في النهاية. لقد تجاوز السائق المخمور الذي اصطدم بها أربع حارات مرورية، مخطئًا سيارات أخرى، ثم مصطدمًا بسيارة جريس الجي تي اي بشدة لدرجة أنها

مرت عبر حاجز الأمان، وانقلبت مرتين، وهبطت رأسًا على عقب في ساحة انتظار السيارات بمركز تجاري. لقد كانت على بعد أقل من دقيقة من مجمعها السكني.

عند مشاهدة أليسون في مطعم شرائح اللحم، تساءل جاك عما إذا كانت مثل ابنته، تحب العمل هناك. وبطريقة ما، ارتاب في ذلك. كانت على مشارف الأربعينيات، ولقد علم ذلك، لكنها لا تزال مثيرة بما يكفي لترتدي القميص العلوي القصير والتنورة الجلدية الضيقة كما يحلو لها. أمسكت به وهو ينظر إليها ومنحته ابتسامة مشرقة. ربما يجب أن يتعرف عليها بشكل وثيق أكثر، إن كان ذلك ممكنًا. فكَّر «إنني أفكر في قتل هذه المرأة، لذا فإن التعرف عليها أولًا سيكون الشيء الصحيح الذي يجب فعله، سواء من الناحية العملية أو الأخلاقية». لقد أدرك بالطبع أنه لم يكن لديه أي نية للتعرف على ضحاياه الآخرين، لكنهم لم يكونوا أمامه مباشرة، لم يكونوا على مرمى ابتسامة.

لقد عاد عدة مرات إلى مطعم شرائح اللحم، وطلب منها في النهاية أن تنضم إليه لتناول كأس من النبيذ. ومن ثم اقترح عليها أن تصبح عشيقته. كان الأمر سهلًا، وباستثناء جمالها ووظيفتها في مطعم، لم يكن هناك شيء آخر يُذكِّر جاك بابنته. لقد كانت مجرد شخصٍ عشوائي وحيد في العالم مثلنا جميعًا. ليست جيدة بشكل خاص، وليست سيئة بشكل خاص. لم يكن يريد أن يؤذيها، لكنه أراد قتلها. لقد كانت قطعة صغيرة من آلة في نظام بالغ التعقيد، وكان بحاجة إلى إجراء تعديل. كان يعيد الكارما[1] إلى الكون.

صوب فوهة البندقية بحذر إلى مؤخرة جمجمتها وسحب الزناد.

***

(1) يُقصَد بها القوّة التي تَنتُج من تصرُّفات الشخص، سواء كانت خيرًا، أو شرًّا وتؤثِّر مُستقبلًا في حياته، كما يُنظَر إليها على أنها الطريقة التي تتم من خلالها مُعاقَبة الفرد أو مُكافأته على أعماله السابقة، السيِّئة بمثلها والجيِّدة بمثلها أيضًا.

واحد

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الثلاثاء، 1 نوفمبر 3:45 مساءً

بدلًا من السفر من مطار سانت جورج في برمودا إلى بورتلاند بـ «مين»، كما كان مخططًا له، غيَّر جاك راديبو تذكرته وكان يهبط الآن في طائرة إير باص A320 نصف ممتلئة باتجاه مطار برادلي الدولي. كان يعلم أنه خطأ كارثيّ محتمل، خاصةً عندما كان قريبًا جدًا من النهاية، لكنه فجأةً لم يعد يهتم. كان قد قرر العودة إلى ويست هارتفورد لمدة ساعة أو اثنتين على الأكثر، ثم التوجه إلى مين. على الأقل بهذه الطريقة سيكون قادرًا على أخذ سيارته الخاصة.

كان عقل جاك هذه الأيام مثل عرض الشرائح[1] لم يكن لديه سيطرة عليه. اجتاحته الصور والأفكار والعادات الراسخة، لكنه تعلم التعايش معها، والسيطرة عليها في معظم الأحيان. كما ساعده معرفة أن تلك الأفكار سرعان ما ستنطفئ وتتلاشى مثل إطفاء الشموع في كعكة عيد ميلاد.

***

(1) عرض الشرائح هو عرض تقديمي لسلسلة من الصور الثابتة على شاشة عرض أو جهاز عرض إلكتروني، عادة في تسلسل يتم ترتيبه مسبقًا. قد تكون التغييرات تلقائية وعلى فترات منتظمة أو قد يتم التحكم فيها يدويًا بواسطة مقدم أو العارض.

نقلته سيارة أجرة من المطار إلى ويست هارتفورد. تحرك بسرعة في منزله، ليبدل ملابسه بحيث يرتدي شيئًا أكثر ملاءمة للطقس البارد العاصف. سحب بعض الأشياء من حقيبة سفره التي أحضرها معه من برمودا، ونزل إلى الطابق السفلي، إلى القبو، حيث أضاف بعض الأشياء الأخرى التي من شأنها أن تساعده في التعامل مع جاره بالمنزل المجاور. كان هذا هو السبب الحقيقي وراء عودته إلى ويست هارتفورد. منذ أن تناول العشاء قبل أكثر من شهر مع جارته اللطيفة مارجريت وزوجها المتعجرف، الوغد، إريك، ظل يتخيل ما يريد فعله بإريك. ربما كان الأمر ببساطة أن مارجريت، بشعرها الطويل وعنقها النحيل، وذكائها الخجول، قد ذكرته بشقيقته. أو ربما كانت ببساطة شخصًا جيدًا، ولم يكن إريك كذلك. وربما بما أنه اقترب الآن من إتمام عمل حياته، فقد اعتقد أنه قد يقدم كذلك خدمة أخيرة لمارجريت. هل كان يعرف حتى كنيتها؟ لم يستطع تذكر سماعها قط. لكنه تذكر رغم ذلك أنه تحدث معها عن عملها بدوام جزئي في المكتبة.

قالت: «أعمل في المساء من الاثنين إلى الأربعاء، وبعد ذلك طوال اليوم في يوم السبت. أسوأ جدول تقريبًا». ربما قد تذكر جدولها الزمني لأنه كان يخطط لذلك طوال الوقت.

***

بعد أن أغلق منزل طفولته للمرة الأخيرة، عبر جاك إلى منزل جاره وقرع جرس الباب. ماذا سيفعل إذا فتحت مارجريت الباب؟ افترض أنه سوف يخبرها ببساطة أنه سيذهب بعيدًا لفترة من الوقت وبأنه قد جاء ليودعها. وبعد ذلك سوف يغادر. سيبدو الأمر غريبًا، لكن ما أهمية ذلك في المخطط الكبير للأشياء؟

وكما كان، فتح إريك الباب. كان يرتدي سروالًا قصيرًا فضفاضًا وقميصًا بلا أكمام. كان جلده يتلألأ بالعرق، كما لو كان يمارس الرياضة، لكنه كان يحمل في يده أيضًا علبة جعة.

- آسف لإزعاجك يا إريك، لكن هل مارجريت في المنزل؟

طرف إريك بعينيه عدة مرات وخمن جاك أن إريك كان يحاول تذكر اسمه. ثم، وهو يتذكر على ما يبدو، قال سريعًا: «آسف، جاك، إنها في العمل، في المكتبة».

قال جاك: «أوه، لا عليك. لقد كنت أود أن أطرح عليها سؤالًا فحسب، لكن...»، توقف، ثم قال: «ربما يمكنك أن تجيب عنه من أجلي، هل تمانع إذا دخلت لبضع دقائق؟».

تردد إريك، وانتظر جاك، دون أن يغير تعابير وجهه أو وضعيته على عتبة الباب، ولم يقدم اعتذارًا، وقال إريك أخيرًا: «تعالَ يا رجل، هل يمكنني أن أحضر لك جعة؟».

قال جاك وهو يدخل البهو: «كلا، شكرًا لك. كما قلت، خمس دقائق من وقتك هو كل ما أحتاجه».

قاد إريك جاك إلى غرفة المعيشة وأشار إلى كرسي. جلس جاك، وأعاد ترتيب سترته حتى يتمكن من الوصول إلى الجيب الأيمن. بعد وضع علبة جعته على طاولة القهوة بينهما، جلس إريك أيضًا، وعلى وجهه تعبير غريب. استغرق جاك لحظة لمعرفة ما يعنيه التعبير، ولكن بعد ذلك فهمه. كان الأمر هو أن إريك لم يعرف كيف يشعر تجاه جاره بعد. هل كان جاك شخصًا عجوزًا منهك القوى، أم أنه لا يزال شخصًا مؤثرًا، أكثر المؤلفين مبيعًا، رجل لا يزال لديه معارف؟ كان إريك يحاول أن يصنفه، حتى يعرف كيف يتصرف معه.

قال جاك: «سأدخل في الموضوع مباشرةً، إريك. لا أريد أن أضيع وقتك، ولا أعرف متى ستعود مارجريت».

قال إريك: «ليس لفترة من الوقت».

- إذن هذا هو السؤال الذي كنت سأطرحه عليها، لكنني سأطرحه عليك بدلًا من ذلك: كيف انتهى الأمر بشخص محترم ولطيف مثل مارجريت مع وغد حقير مثلك؟

جعدت وجه إريك ابتسامة خرقاء كانت تتشكل ببطء، وهو يحاول استيعاب السؤال.

قال أخيرًا: «هل أنت جاد؟».

- هل أنا جاد؟ أجل. أريد أن أعرف. أعني، تخميني هو أنها تذكرك بوالدتك، التي على الأرجح قد تعرضت للتنمر من قبل والدك، والعكس صحيح، وإلا فلن أفهم سبب تحملها هراءك.

تصاعد احمرار شديد اللون من رقبة إريك إلى أعلى باتجاه وجهه.

قال: «مهلًا، جاك. لقد اعتقدت أنه قد يكون لديك نوع من الإعجاب المثير للشفقة بزوجتي، والآن قد بت متأكدًا من ذلك. لم لا تخرج من منزلي، قبل أن ألقيك بنفسي خارجًا».

ابتسم جاك. مد يده إلى جيب سترة معطفه من طراز «جوس داون» وسحب مسدس ماجنوم من طراز توروس عيار 0.44، وهو نفس السلاح الذي استخدمه لقتل ماثيو بومونت، ما يبدو وكأنه منذ سنوات في ضاحية خارج بوسطن. صوب فوهة المسدس إلى صدر إريك.

- ما هي كنيتك، إريك؟ لا أعتقد أنني أعرفها.

تجمد إريك، وعيناه على المسدس، وفكه يتحرك كما لو كان يمضغ شيئًا ما.

قال أخيرًا: «حسنًا».

- سأقتلك يا إريك، ولا يهم ما إذا كنت أعرف كنيتك أم لا، لكنني كنت أشعر بالفضول.

حرك إريك عينيه من المسدس إلى وجه جاك. وقال: «لماذا؟».

- لماذا سأقتلك أم لماذا أريد أن أعرف كنيتك؟ سأقتلك لأنك متنمر وجبان وأنا لا أحبك. ولقد تصادف أيضًا أنك متزوج من شخص يعجبني. لذا فإن قتلك سيجعل حياتها أفضل، وعلى الأرجح سوف يجعل حياة الكثير من الناس أفضل كذلك. سأقتلك أيضًا لأنني أصبحت بارعًا في قتل الناس، لذلك فكرت أن أستخدم هذه المهارة الجديدة التي اكتسبتها في وقت متأخر من حياتي. يمكنني أن أعرف من خلال التعبير المرسوم على وجهك أنك مرتبك، لذلك سأجعل الأمر بسيطًا، ستموت لأنني أريدك أن تموت.

- انظر، جاك. إذا كان لهذا علاقة بمارجريت... إذا كنت مغرمًا بها، أو شيئًا من هذا القبيل، فيمكننا حل هذا الأمر. أعني يا إلهي...

لقد مال جاك لفترة وجيزة إلى تمديد المحادثة، ليخبر هذا الرجل القصة الكاملة عما كان يخطط له خلال العامين الماضيين من حياته. وما الذي حققه. كان التفكير في الأمر مغريًا، مثل شرير خارق في فيلم لجيمس بوند يلقي خطابًا مطولًا عن خطته، لكن إريك لم يكن ليستمع حقًا. كان يحاول بالفعل معرفة كيفية إنقاذ حياته، إن جسده على الأرجح مفعم بالأدرينالين. لذلك أطلق جاك النار عليه في صدره، في نقطة مميتة، وشاهده وهو يتهاوى للخلف على الأريكة البيضاء النقية، وعلى وجهه تعبير بالحيرة والألم.

بعد أن نهض ونظر من النوافذ الناتئة الأمامية ليرى ما إذا كان هناك أي شخص يمشي في الشارع وسمع الطلق الناري، جثم جاك فوق جسد إريك وضغط بإصبعين على رقبته ليتحسس النبض. لم يكن هناك نبض. على الطاولة بجوار علبة جعة إريك كان هناك هاتفه الخلوي. كان مغلقًا لكن لا يهم. فبإمكانك دائمًا الاتصال برقم 911 من هاتف مغلق. وضع الهاتف في جيبه الأمامي، ثم وضع المسدس في حقيبة السفر الخاصة به، وخرج من المنزل، متوقفًا لفترة وجيزة لينظر إلى كومة من البريد غير المفتوح على طاولة بارتفاع الخصر في الردهة. كان الظرف الأول موجهًا إلى مارجريت هاتشينسون، والظرف الموجود أسفله إلى إريك مايلز. تساءل عما إذا كانت مارجريت قد احتفظت باسمها قبل الزواج. سيسهل عليها الأمر إن كانت قد فعلت، فلن يكون عليها تغيير رخصة قيادتها وحساباتها المصرفية.

***

عندما كان على بعد ميل من حيه في ويست هارتفورد، وتوقف عند إشارة حمراء، اتصل جاك برقم 911، وأعطاهم عنوان مارجريت هاتشينسون وإريك مايلز، وقال إن رجلًا قد أُطلق عليه الرصاص هناك. إن أقل ما يمكنه فعله هو تجنيب مارجريت رؤية زوجها الميت عندما تعود إلى المنزل من ورديتها في المكتبة. ألقى هاتف إريك من نافذة سيارته عندما دخل إلى الطريق السريع 84، متجهًا شمالًا.

كان مجرد يوم ثلاثاء عادي في نوفمبر بالنسبة إلى معظم أنحاء العالم. فكَّر في زوجته، متسائلًا عما تفعله الآن؛ تحتسي نبيذ شاردونيه وتشاهد أحد العروض التي تحبها في وقت مبكر من المساء؛ إما (Jeopardy![1]) «المحك» وإما (PBS NewsHour). سيأتون إليها، أليس كذلك، بعد أن يكتشفوا ما فعله؟ سيستجوبونها، ربما حتى يحاولون معرفة ما إذا كانت قد ساعدته بأي وسيلة. على الأقل سيسألونها لماذا قد فعل ذلك. كان يعتقد أنها ربما ستشير إلى إصابته بالورم الأرومي الدبقي[2] وكيف تغيرت شخصيته بعد التشخيص والعلاج. لقد ذكرت ذلك له بما فيه الكفاية، مقتنعة أن شيئًا ما قد تغير فيه. اعتقد أنها ربما كانت على حق. لقد تغيَّر قليلًا بعد تلك المحنة بالذات. لقد أدرك ليس فقط عدم أهميته، ولكن عدم أهمية أي شخص آخر في العالم. ونعم، كان ذلك في الوقت الذي بدأت فيه تراوده خيالات بشأن قتل أطفال جمعية القراصنة، وبشأن جعله العالم مكانًا أفضل.

وتساءل عمّا إذا كانت زوجته ستتذكر ابنتهما الوحيدة، وكيف أنها قضت نحبها في العام الذي تخرجت فيه من الجامعة. لقد تغير حينها أيضًا، لكن هذا كان متوقعًا. كانت هذه هي المرة الثانية التي يعلم فيها أن العالم سوف يسعد بتخليص نفسه من سكانه اليافعين والرائعين. لم يكن هناك نظام، فقط الفوضى وحدها. لقد أنشأ القائمة لإعادة النظام، لكن زوجته لن تتمكن من إيجاد تلك الصلة أبدًا، وكان يشك في أن أي شخص آخر قد يفعل ذلك أيضًا.

***

---

(1) المحك: برنامج مسابقات يتنافس من خلاله المتسابقون في مختلف الميادين كالتاريخ، الأدب.

(2) هو واحدٌ من أكثر السرطانات شراسة ويبدأ في المخ. في البداية، تكون أعراض وعلامات الورم الأرومي الدبقي غير محددة. قد تظهر أعراضه على شكل نوبات صداع، تغيرات في الشخصية، غثيان، وأعراض شبيهة بأعراض الصدمة. عادة ما تسوء الأعراض بشكل سريع. وقد تتطور إلى فقدان الوعي، أكثر شيوعًا في البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين 60 و80 سنة.

كان الوقت متأخرًا عندما أوقف السيارة في ساحة انتظار السيارات نصف الفارغة في منتجع ويندوارد، وخرج إلى الهواء البارد المالح، وقد غمره ثقل الحزن الذي رافق دائمًا رائحة شاطئ البحر.

أخذت المرأة الشابة عند مكتب الاستقبال بياناته وابتسمت له بنظرة خاوية جعلته متأكدًا من أنه لم يُطلب منها أن تراقب أي شخص يسجل الوصول تحت اسم جوناثان جرانت. سألها عما إذا كان لديها جدول المد والجزر، فتشت في درج مكتبها، ووجدت أخيرًا واحدًا.

قالت: «هل أنت ذاهب للصيد، سيد جرانت؟».

- كلا، سأذهب للشاطئ فحسب.

- إنه لطيف في هذا الوقت من العام، وخَالٍ.

كانت تنظر إليه مباشرة، لكنه رصد عينيها تندفعان إلى جانب رأسه كالسهام. عادة ما يمشط شعره بطريقة تغطي الندبة البيضاء المرتفعة الناجمة عن جراحة في دماغه قبل ثلاث سنوات، لكنه نسي القيام بذلك قبل دخول الفندق.

صعد الدرج إلى الطابق الثاني، ونزل من الردهة القذرة إلى غرفته. حين كان طفلًا في هذا المنتجع كان منبهرًا من الرفاهية، أو ربما كانت مجرد الحرية التي حصل عليها في مثل هذه السن المبكرة ليتجول في المكان، حيث غرفة الطعام الكهفية، والصالة المضاءة على نحو قاتم، وممرات لا نهاية لها. الآن يبدو متهالكًا وحزينًا، وتفوح من الممرات رائحة الحساء المعلب ورائحة المطهر.

في غرفته، حيث كانت الرائحة أسوأ، أخذ يدرس جدول المد والجزر، متحققًا من أن الجزر سيكون في الساعة 1:49 صباحًا، وأن المد سيكون في الساعة 7:53 صباحًا. كان هذا مثاليًا. لم يمنحه ذلك الكثير من الوقت لفعل ما جاء إلى هنا للقيام به، لكنه كان كافيًا. كسر الختم على زجاجة ماكالان 25 وسكب بعضًا منها في كوب الماء الذي أخذه من الحمام. ثم جلس على المكتب وكتب رسالته.

بعد منتصف الليل بقليل، سكب ما تبقى من السكوتش في قنينة من الفضة الإسترلينية كانت لديه منذ أن كان في الكلية وغادر المنتجع من المدخل الخلفي المؤدي إلى موقف السيارات الخلفي. كانت الريح الباردة لا تزال تصفر فوق الأسفلت الخاوي. ارتدى جوناثان أحذية مقاومة للماء وبنطال جينز مبطنًا بالفانيلا، بالإضافة إلى سترة صياد سميكة تحت سترته. لطالما كره البرد، وعلى الرغم مما خطط لفعله، فلقد كان متوترًا بشأن درجة الحرارة في الخارج. أخرج القبعة الصوفية من جيبه ووضعها على رأسه، ثم سار بعزم عبر جادة ميكماك ونزولًا باتجاه رصيف الميناء الحجري.

كانت الليلة صافية، وترصعت السماء بالنجوم وثلاثة أرباع قمر. لم يكن لديه أي مشكلة في شق طريقه عبر الشاطئ المظلم، على الرغم من الرياح الرطبة التي جذبت سترته بقوة. عندما وصل إلى الرصيف، خاطر باستخدام مصباحه اليدوي لفترة وجيزة ليحدد المكان الذي اعتقد أن شقيقته تُركت فيه لتموت منذ أكثر من خمسين عامًا. كان قد استكشف البقعة من قبل، في السابق عندما كان ينتظر هنا من أجل فرانك هوبكنز. لم يستطع أن يكون واثقًا بنسبة مائة في المائة من أنه كان الموقع الدقيق، لكنه كان قريبًا بما يكفي، شق في قاعدة الجدار الحجري كبير بما يكفي لينحشر فيه شخص بالغ. درسها الآن، بركة مد وجزر تعكس القمر، شيء ما يندفع بعيدًا وهو يضغط حذائه في الرمال الرطبة. أخرج الأقراص من الجيب الأمامي لبنطاله الجينز وابتلعها ببقية السكوتش. ثم أنزل نفسه على ركبتيه وشق طريقه تحت الصخور المغطاة بالأعشاب البحرية، ليجد موضعًا لم يكن مريحًا تمامًا، لكنه لم يكن مؤلمًا. لقد كان يقبع في الواقع جيدًا في سواد الصخور، حتى عندما بدأت المياه الجليدية في الاندفاع إلى الداخل، ثم إلى الخارج مرة أخرى، وأحيانًا متناثرة على وجهه. استطاع تذوق الماء المالح على شفتيه. كان هناك زئير في أذنيه، والماء يملأ كل تجويف متاح من حوله. شيء ما، ربما سلطعون، لمس مؤخرة رقبته. أغلق عينيه وفكر في فاي. لقد كان متعبًا للغاية في الواقع. كان هناك شيء مريحٌ تقريبًا بشأن صوت تدفق المياه بصمت إلى داخل الكهف، ثم بصمت خارجه مرة أخرى. بصمت في الداخل. بصمت في الخارج.

اعتقد أنه سيكون أكثر برودة، لكنه لم يكن كذلك. ربما كان ذلك لكونه في مأمن عن الريح. أو ربما كانت الأقراص والسكوتش قد بدأت تعطي مفعولها. كان من الغش بالطبع التأكد من أنه سيكون فاقدًا للوعي مع ارتفاع المد. لم يكن لدى فاي تلك الرفاهية. لكنه لم يكن رجلًا مثاليًا. لم يكن كذلك قط.

***

لا أحد

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

أليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الجمعة، 2 ديسمبر، 5:13 مساءً

استقر سام هاميلتون على مقعد في البار في صالة ويندوارد وطلب جعة «شيبياردايبا».

قالت شيلي، وهي تنظر إليه بينما تصب الجعة: «أوه، سام. تسرني رؤية وجه مألوف. إنه الموسم السياحي في ديسمبر هذا العام».

- أوه، حقًا؟

- إن الفضوليين يخرجون في مجموعات.

- ماذا تقولين لهم؟

- يعتمد ذلك على مزاجي. عادةً ما أخبرهم بالحقيقة، أنني لم أره قط في الليلة التي كان فيها هنا. لكن فقط من أجل التسلية، أخبرت بضعة أشخاص أنه كان هنا يشتري المشروبات للحانة بأكملها. أعني، أنت تظن أنه ربما كان ليفعل ذلك، مع الأخذ في الاعتبار أنه كان سيذهب إلى رصيف الميناء ويغرق نفسه.

- لكان ذلك كرمًا منه.

- صحيح. هذا ما أقوله. أنت لا يمكنك أخذها معك حين تموت، فلا مانع من شراء بعض المشروبات لأخيك الإنسان. هل ستبقى لتناول العشاء الليلة؟

قال سام: «لم أقرر بعد».

- حسنًا، لا داعي للعجلة. الطبق المميز هو سمك القاروس ولقد أخبرني توماس أنه لذيذ جدًا.

توجهت شيلي نحو البار وسكبت كأسين من النبيذ لزوجين في منتصف العمر. عندما عادت، قال سام: «شيلي، صححي لي إن كنت مخطئًا، لكن لا يزال هناك مكتبة هنا، أليس كذلك؟».

- مكتبة؟

- أجل، مثل مكتبة إعارة بنظام اخدم نفسك.

- أوه، صحيح. بالطبع. في الطابق الثالث.

أخذ سحبة طويلة من جعته، وفجأة أصبح متلهفًا على الصعود إلى الطابق العلوي والبحث في المكتبة. لقد تذكر للتو وجودها، غرفة بها رفوف كتب من الأرض إلى السقف، جميعها تمتلئ بالكتب المتبرع بها. لقد بدأ الأمر منذ فترة طويلة بواسطة والد فرانك هوبكنز (موراي) المالك الأصلي لمنتجع ويندوارد، كانت هناك لافتة باهتة مصنوعة يدويًا تطلق على المكتبة شيئًا مثل «ركن كتاب العم موراي». لقد علم بشأنها فقط لأنه قبل عامين أو ثلاثة اعتاد أن يقضي ليلة عرضية في ويندوارد مع وكيلة عقارات مطلقة من يورك. لقد رفضت القدوم إلى شقته -لأسباب لم يفهمها قط- لكنها قابلته في الفندق، وبقيت لمدة ساعة فقط، ثم تركته مع غرفة لقضاء الليلة لم يكن بحاجة إليها حقًا. لقد اكتشف مكتبة العم موراي، وهي مجموعة بدأت حين كان ويندوارد أقرب إلى منتجع، عندما كانت العائلات تأتي لمدة شهر، أو صيف كامل.

***

في الليلة الأخيرة من حياة جاك راديبو، بعد أن دخل الغرفة 207، كان من الواضح أنه كتب ملاحظة أو رسالة من نوع ما. كان هناك قلم على المكتب وبضع أوراق فارغة. لكنهم لم يجدوا ما كتبه بعد. اقتضت النظرية الحالية أنه أحضرها معه إلى رصيف الميناء وانجرفت في البحر مع المد. لكن سام أعطى هذه النظرية الكثير من التفكير ولم تكن منطقية بالنسبة إليه. إذا كان قد كتب رسالة من نوع ما -اعترافًا، ربما- إذن لماذا لم يتركها في غرفته بالفندق

فحسب. إلا إذا كان بالطبع مثل القاتل في كتاب «ثم لم يبقَ أحد»، قد شعر بالحاجة إلى كتابة رسالة يوضح فيها لم وكيف فعل ما فعل، لكنه أخفاها بعد ذلك بطريقة ما. في الكتاب يضع القاتل الرسالة في زجاجة ويلقي بها في البحر. هل فعل جاك راديبو الشيء نفسه؟ أم إنه أخفاها بطريقة أخرى؟

***

بعد أن أعاد سام قراءة رواية كريستي مرتين في الأسابيع الأخيرة، تذكر أن القاتل كان ممزقًا بين رغبته في ترك لغز مثالي وراءه وأيضًا رغبته في أن يعترف العالم ببراعته الفنية. كان يفكر في ذلك باستمرار. لقد تعلم الكثير عن جاك راديبو منذ العثور على جثته محصورة في قاعدة رصيف الميناء على شاطئ كينويك. كان جميع ضحاياه، باستثناء فرانك هوبكنز، أبناء لنزلاء سابقين في منتجع ويندوارد، وعلى الرغم من عدم تأكيد التواريخ تمامًا، فلقد كان الأهالي جميعهم نزلاء عندما كانوا أطفالًا في الماضي حين غرقت فاي شقيقة جاك. كان دانيال هورن، والد أليسون هورن، هو من امتلك أفضل ذكرى لغرق فاي. لقد أخبر محققي مكتب التحقيقات الفيدرالي بأنه كان هناك مجموعة من الأطفال قد أطلقوا على أنفسهم اسم «جمعية القراصنة» وأن كلًا من جاك وفاي كانا جزءًا منها.

***

قالت شيلي ويدها على صنبور الجعة: «الشيء نفسه مرة أخرى؟».

- ليس الآن، لكنني سأعود. أحتاج للذهاب والتحقق من المكتبة، هل هي غير مقفلة؟

- يجب أن تكون كذلك. فماذا سيسرق أحدهم؟ كتابًا؟

كان باب المكتبة غير مغلق، واضطر سام إلى البحث في الحائط الموجود داخل الباب مباشرةً عن مفتاح الإضاءة. تلألأت الغرفة بارزة إلى حيز الوجود، كانت عبارة عن مساحة بلا نوافذ ليست أكبر بكثير من غرفة فندق نموذجية. تناثر عدد قليل من كراسي النادي المصنوعة من الفينيل على السجاد عنابي

اللون الذي يمتد من الجدار إلى الجدار. كانت تفوح من الغرفة رائحة الكتب القديمة العطنة والسجاد المتعفن.

قرر العمل في اتجاه عقارب الساعة، وفحص الرفوف. لم يكن متأكدًا تمامًا مما كان يبحث عنه ولكنه كان يأمل أن يعرفه حين يراه. ربما كان كتابًا عن الغرق، أو عن القراصنة. كان يعلم أنه احتمال بعيد، لكن ربما كتب جاك راديبو هذا الاعتراف بالفعل لكنه قرر بعد ذلك إخفاءه في مكان ما من غير المحتمل العثور عليه. كان القسم الأول عبارة عن مجلدات في الأدب، تشير إليه لافتة باهتة مكتوبة بخط اليد. كانت الكتب مرتبة أبجديًا بحسب المؤلف، ومعظمها من الأدب الذي كان شائعًا منذ نحو أربعين أو خمسين عامًا. الكثير من روايات مشنر وليون أوريس. صف كامل من كتب كاثرين كوكسون. هنا وهناك كانت توجد أشياء أكثر حداثة. وكان هناك عدد غير قليل من روايات جون جريشام، وأطنان من مجلدات ستيفن كينج.

انتقل من الأدب إلى التاريخ، ومِن ثَمَّ إلى السيرة الذاتية. ثم كان هناك قسم كبير من الروايات ذات الغلاف الورقي، معظمها من روايات الإثارة والتشويق والروايات الرومانسية. في قسم روس ماكدونالد، رصد كتابًا ورقي الغلاف يُدعى (بركة الغرق) وسحبه للخارج ليقلِّب صفحاته. لم يكن هناك شيء.

ثم فكر في أجاثا كريستي. استغرق الأمر منه بعض الوقت، لكنه وجد رفًا مرتفعًا يحتوي على نحو اثني عشر كتابًا من كتبها. وكان هناك: «عشرة هنود صغار». سحب الكتاب الذي كان بحجم الجيب من الرف. كان له غلافٌ أزرق وأظهر تمثالًا خشبيًا لهندي يُضرَب في عنقه بفأس. نفض الكتاب، ثم قلَّب عبر صفحاته. لا شيء هناك أيضًا.

كان القسم الأخير هو كتب الأطفال، في أدنى الرفوف السفلية. انحنى سام وتفحص العناوين. الكثير من روايات نانسي درو وهاردي بويز، بالإضافة إلى عدة روايات للتوأمين بوبسي. كانت الكتب المصورة لها كعوب كتب ضيقة بحيث كان من الصعب قراءة جميع العناوين، ووجد سام نفسه يتصفحها ببساطة. كانت العديد من الكتب مألوفة له منذ طفولته، بما في ذلك كتاب اينيد بليتون «خمسة في جزيرة الكنز»، الذي أعاده إلى منزل جدته في يوركشاير، والذي كان يحتوي على مجموعة ضخمة من كتب بليتون.

سحبها خارجًا –متسائلًا كيف انتهى بها الأمر في مين– وبدأ في تصفحها، وانغمس في القصة قبل أن يخبر نفسه أنه بحاجة إلى مواصلة البحث في الرفوف. ولسبب ما، اعتقد سام أن فرصه في العثور على الرسالة الآن بعد أن لم يجدها في كتاب كريستي، كانت أفضل هنا في قسم الأطفال. إذا كان غرق فاي جرانت هو الحدث الذي أثار موجة القتل بأكملها، فقد حدث ذلك عندما كان شقيقها جاك يبلغ من العمر اثني عشر عامًا فقط. استمر سام في البحث.

أخرج العديد من الكتب، أي شيء بدا كما لو كان هنا في عام 1956، وكان على وشك الاستسلام، عندما رصد كعب الكتاب كان مألوفًا له. كان يُقرَأ (بيتر بان من والت ديزني). لقد كان يمتلكه أحد أبناء عمومته من الاباما عندما كان طفلًا. كان الكتاب المصاحب لفيلم الرسوم المتحركة، وكان سام يحب أي شيء متعلقًا ببيتر بان عندما كان صغيرًا، وكان عن القراصنة. ليس هذا فحسب، ولكن أحد الأشياء التي يتذكرها سام دائمًا هو الجزء الذي حاول فيه الكابتن هوك قتل تايجر ليلي بإغراقها حين ارتفاع المد. تسارعت دقات قلب سام قليلًا وهو يتذكر تلك التفاصيل.

سحب الكتاب من الرف وفتحه. انزلقت من الكتاب ورقة مطوية ثلاث طيات وسقطت عند قدميه.

إلى من يهمه الأمر،

أفترضُ أن شخصًا ما، يومًا ما، سيقرأُ هذه الرسالة. ربما سيكون ذلك القارئ الأول ضابط شرطة ذكيًا أو عميلًا فيدراليًا، أو ربما سيكون شخصًا ما بعد سنوات عديدة من الآن، ربما، أم التقطت هذا الكتاب في معرض لبيع الأشياء المستعملة ووجدت هذه القطعة من التاريخ المنسي.

أيًا من كنت، أعتذر مقدمًا عن خط يدي وعن الموضوع المطروح. لكنني أردت أن أشرح لماذا فعلت ما فعلته. ربما أريد أن أشرح للمساعدة في الفهم، أو ربما أريد ببساطة أن أشرح ذلك لنفسي كتابةً. أعتقد أنني آمل أن يقرأ شخص ما هذه الكلمات يومًا ما. لكن إن لم يفعل، فلن أعرف بذلك أبدًا.

دعني أبدأ.

في عام 1956، اصطحبتنا والدتي أنا وشقيقتي فاي إلى منتجع ويندوارد لشهري يوليو وأغسطس. كنا نعيش في هارتفورد آنذاك، وكان والدي يأتي في معظم عطلات نهاية الأسبوع للانضمام إلينا. في ذلك الوقت كانت بعض العائلات لا تزال تمارس هذا النوع من الإجازات الممتدة، لكنها كانت عادة سرعان ما أصبحت قديمة الطراز. في الوقت الحاضر، لا يمكنك أخذ إجازة لمدة شهرين إذا كان كلا الوالدين يحاولان الاحتفاظ بوظيفتيهما.

كنا أنا وفاي في الجنة ذلك الصيف. كان المنتجع على الشاطئ مباشرة، وكنا أحرارًا في التجول، ما دمنا سنلتقي بوالدتنا لتناول طعام الغداء ومن ثم لتناول وجبة العشاء. كان هناك العديد من الأطفال الآخرين يقيمون في فترة الصيف أيضًا، وسرعان ما شكلنا مجموعة متماسكة. أتذكر تلك الفترة من حياتي بسبب المشاعر التي أثارتها أكثر من التفاصيل الفعلية اليومية. كنت طفلًا في الثانية عشرة من عمره والذي لم يكن لديه هذا العدد الكبير من الأصدقاء من قبل. الآن كان لدي عشرة منهم تقريبًا.

كنا كالعصابة إلى حد بعيد. لم أكن أتذكر أسماءهم قط، بالطبع، ليس جميعهم، لكن كصبي مولع بالكتب، كنت قد اتجهت إلى الاحتفاظ بمجلة. كانت أقرب إلى دفتر ملاحظات حقًا مملوء بالرسومات والقوائم والمخططات والخطط. وفي ذلك الصيف لا بد أنني أحضرت دفتر الملاحظات معي إلى المكتبة الكائنة بالطابق الثالث في ويندوارد، حيث يلتقي أعضاء جمعية القراصنة المكونة حديثًا بعد العشاء، لأنه كان هناك حيث كُتِبَت جميع أسمائهم تحت عنوان «جمعية قراصنة منتجع ويندوارد».

جاك جرانت

ميج جوتيه

داني هورن

جاري وينسلو

ديبورا ماكريدي

واين كوتس

آرت كروز

بولا شيبرد

فرانك هوبكنز

أسفل قائمة الأسماء تلك، تخطيت سطرًا ثم كتبت اسم شقيقتي، فاي جرانت، متبوعًا بكلمة مبتدئ. لم يكن أعضاء جمعية القراصنة على استعداد تام لمنح طفلة تبلغ من العمر عشر سنوات عضوية كاملة في مجموعتنا. لا أتذكر ما إذا كنا قد أطلقنا على أنفسنا اسم جمعية القراصنة قبل أو بعد أن قام شخص ما بسحب كتاب بيتر بان للنظر إليه. أتذكر أننا جميعًا شعرنا بأننا أكبر سنًا قليلًا من أن نطلق على أنفسنا اسم القراصنة، لذلك أضفنا «جمعية» لجعله يبدو أكثر تعقيدًا. وأتذكر أيضًا حفنة منا تتصفح هذا الكتاب، يكذب واين ويخبرنا أنه شاهد الفيلم في الصيف السابق، على الرغم من أننا كنا نعلم جميعًا أنه لم يتم عرضه في دور السينما لسنوات.

ما لا أتذكره هو من خطرت له فكرة أنه يجب علينا ضم فاي إلى جمعيتنا من خلال ربطها ووضعها في الكهف السري في قاعدة رصيف الميناء في أثناء انخفاض المد.

لا بد أن شخصًا ما توصل إليها بينما كنا ننظر إلى كتاب بيتر بان، لأنها كانت الطريقة التي حاول بها الكابتن هوك قتل تايجر ليلي. لن أنسى أبدًا الرسم التوضيحي لتايجر ليلي وهي بالكاد تحتفظ برأسها فوق الماء بينما يتقاتل بيتر بان والكابتن هوك بالسيوف. إنها صورة متوهجة إلى الأبد في عقلي الباطن.

لكن شخصًا ما توصل إلى الفكرة.

إذا تمكنت فاي من النجاة من ارتفاع المد، كما فعلت تايجر ليلي، فستصبح عضوًا كامل العضوية في جمعية القراصنة.

واتفقنا كلنا، كل واحد منا، على أنها كانت خطة مثالية. أخبرناها بذلك خلال أحد اجتماعاتنا السرية في المكتبة، ووافقت على الفور على إجراء

الاختبار. أعتقد، أو بالأحرى أعلم، أنها كانت ستوافق على أي شيء لتصبح عضوًا كاملًا في مجموعتنا.

في رأيي، حدث كل هذا في بحر يوم واحد، لكن لا يمكنني التأكد من ذلك. ما أعرفه هو أن واين كوتس كان لديه مخطط للمد والجزر وأخبرنا جميعًا أنه سيكون هناك جزر في منتصف فترة ما بعد الظهيرة، عندما كنا جميعًا أحرارًا في الوجود على الشاطئ بين الغداء والعشاء. في ذاكرتي كان يومًا ملبدًا بالغيوم، وكان يهطل رذاذ من المطر، وكنا قد امتلكنا الشاطئ عمليًا لأنفسنا. أحضر داني حبلًا طويلًا وجده متشابكًا في مصيدة جراد البحر نصف المغمورة، لكن فاي رفضت في البداية أن يتم تقييدها. إحدى الفتيات، وأود أن أقول إنها ميج، أخبرت فاي أنه ليس عليها أن تكون مقيدة ولكن من أجل اجتياز اختبار القبول في الجمعية، عليها البقاء في الكهف حتى اللحظة الأخيرة، إلى أن يغمر الماء رأسها، وعندها فقط سيسمح لها بالمغادرة.

«إذا خرجت قبل دقيقة واحدة، فسنعرف ذلك، ولن تصبحي قرصانًا أبدًا».

تلك هي الكلمات التي أتذكرها، وأتذكر أيضًا أننا جميعًا رددناها مرارًا وتكرارًا على مسمع فاي، التي وقفت هناك في ثوب السباحة الفضفاض المكون من قطعة واحدة، عيناها تتسعان في براءة، وأطرافها نحيلة كالعصا، وشعرها طويل ملتصق بكتفيها الهشتين، تومئ بشراسة يائسة لإرضاء الأطفال الأكبر سنًا.

شكلنا دائرة حولها، نردد جميعنا معًا ونخبرها أنها إذا خرجت مبكرًا، إذا أصابها الذعر وغادرت الكهف قبل أن يصل المد إليها، فلن نتحدث معها حتى لبقية الصيف.

لم يقل أحد منا شيئًا مختلفًا.

لم يخبرها أحد أنها كانت مجرد لعبة.

لا أحد -في ذاكرتي- ابتسم لها حتى، أو غمز ليدعها تعرف بأن الأمر ليس حقيقيًا.

لقد شاهدناها جميعًا تزحف إلى داخل الكهف، وقد بدأت المياه بالفعل في ملء الشقوق وبرك المد والجزر عند سفح الجدار. استلقت على ظهرها، ويداها على جانبيها.

وبعد ذلك نسينا أمرها، ورحنا نركض مبتعدين، ضاحكين. كان المطر قد بدأ يهطل حقًا في تلك المرحلة، لذلك ذهبنا إلى غرفة الألعاب في المنتجع ولعبنا ألعاب الطاولة طوال فترة ما بعد الظهيرة.

كان الوقت قرب ساعة الكوكتيل عندما سألتني والدتي عما إذا كنت أعرف مكان فاي. أخبرتها أنني لا أعرف بالطبع، ثم سرعان ما نشرت الأخبار إلى القراصنة الآخرين أنه لا ينبغي لأحد أن يذكر ما فعلناه بشقيقتي. لا بد أنني كنت قلقًا في تلك المرحلة، أعني قلقًا بشأن فاي، لكن لسبب ما اعتقدت أنها ستكون بخير، وأنها ربما كانت تختبئ في مكان آخر لتوقعنا جميعًا في المشكلات.

ذاع الخبر سريعًا بأن فاي كانت مفقودة، وانتشر البالغون عبر أراضي المنتجع والشاطئ للبحث عنها. اجتمعت مجموعتي معًا في غرفة الطعام نصف الممتلئة وتعهدت بعدم قول كلمة واحدة أبدًا.

كان ذلك بعد حلول الظلام عندما وجدوا جثتها، لا تزال في ذلك الكهف الصغير. كان المد قد بدأ ينحسر بالفعل مرة أخرى.

كان ذلك منذ ستين عامًا، ولم أنسَ قط ما فعلته أنا وهؤلاء الأطفال الثمانية الآخرين بها. قد لا نكون قيدنا يديها خلف ظهرها، كما خططنا، لكن كلماتنا قامت بالحيلة على أكمل وجه.

لقد فكرت طوال حياتي في فاي في لحظاتها الأخيرة، وما الذي لا بد أنها شعرت به وهي تموت وحيدة في ارتفاع المد. أتساءل عما إذا كانت قد حاولت الخروج من تحت الصخور، أم أنها كانت عازمة على الانتظار حتى آخر لحظة ممكنة، على أمل إثارة إعجاب الأطفال الأكبر سنًا الذين كانوا قد نسوا أمرها بالفعل. أو ربما أصيبت بالبرد الشديد وهي مستلقية هناك في المياه المتجمدة للمحيط الأطلسي لدرجة أن عضلاتها لم تعد قادرة على الحركة. وأتساءل بمن كانت تفكر عند موتها. بوالدينا، على ما أتصور، بوالدتي، أو

ربما كنت أنا من كانت تفكر به، شقيقها الأكبر الذي كان يعرف مكانها. ربما كانت تنتظرني لأعود وأنقذها.

منذ عامين، استأجرت محققًا خاصًا للعثور على أعضاء جمعية القراصنة. ومن المثير للدهشة أنهم كانوا جميعًا على قيد الحياة، وباستثناء فرانك هوبكنز، كان لديهم جميعًا أطفال. في تلك المرحلة، كنت قد بدأت في تشكيل خطة. كنت كبيرًا بما يكفي لأعرف أنه لا توجد عدالة في العالم. الأشخاص السيئون يفلتون من العقاب طوال الوقت والأبرياء يعانون بشكل صارخ. لم يعد والداي كما كانا قط، ولا حتى من بعيد، بعد وفاة فاي. لقد فقدا الإيمان بالعالم، ولست متأكدًا من أن أيًا منهما قد شعر بالفرح حقًا مرة أخرى. قررت أن أفضل عقوبة –العقوبة الوحيدة– للأشخاص المسؤولين عن وفاة أختي هي فقدان طفل أيضًا.

لم يكن مجرد انتقام. لقد بدا شيئًا أكثر من ذلك بكثير. ربما الكارما. كان لدي المال، وكانت لدي الإرادة، لفعل ما لن يفعله العالم الطبيعي أبدًا. أستطيع أن أجعل العالم مكانًا أفضل، بطريقة بسيطة.

هل كان من العدل أن يفقد هؤلاء الأشخاص طفلًا بسبب تصرف طائش واحد قاموا به في سن العاشرة أو الحادية عشرة؟ بالطبع لا. لكن الحياة نادرًا ما تكون عادلة لأي شخص. لم تكن عادلة لوالديَّ، حين أُخِذت ابنتهما الحبيبة منهما، ولم تكن الحياة عادلة بالنسبة إليَّ أيضًا. لقد فقدت ابنتي عندما كانت على أعتاب حياة سعيدة، والآن انقلب عقلي ضدي بطرق متعددة. أنا متأكد من أن زوجتي السابقة ستخبرك بكل شيء عن ذلك.

لم أحب قتل هؤلاء الأبرياء الثمانية، لكنني قررت أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب القيام به. في التاريخ الطويل للبشر الذين يعيشون على هذا الكوكب، كان تصرفي الانتقامي الصغير ضئيلًا، كما أعلم، لكنه كان شيئًا. وبالنسبة إلى من يقول منكم إن الخطأ لا يصلحه خطأ آخر، إذن فأنا أظن أنك شخص لم يخطئ قط.

إن يديَّ تتشنجان، وقد تجاوز الوقت منتصف الليل، لذلك سأكون سريعًا مع البقية. عندما تجني مليون دولار عدة مرات، تفتح لك الكثير من الأبواب. لن أذكر أسماء، لكن أموالي لم تشترِ لي المعلومات فحسب، بل والمُراقبة

على جميع أهدافي. كنت أعرف أين سيكونون، ومتى سيكونون هناك. كنت أعرف نقاط ضعفهم ونقاط قوتهم. واستطعت أن أبتاع لهم ميتة غير مؤلمة. للجميع ما عدا فرانك هوبكنز. لقد أغرقته بالقرب من قبر فاي المائي، حتى أنني همست باسمها في أذنه وهو يموت.

كان ماثيو بومونت ابن ديبي ماكريدي. لقد كانت خجولة كالفأرة والتي كانت بالكاد تتحدث، على الرغم من أنني أتذكر ضحكتها الهستيرية تقريبًا، خاصة عندما انزلقت فاي تحت الصخرة التي ستكون مثواها الأخير.

كان ماثيو نفسه ثريًا جدًا، مما جعلني أتساءل عما إذا كان سيستأجر فرقة أمنية خاصة لحماية نفسه بعد تلقيه القائمة. لهذا السبب تخلصت منه في وقت مبكر جدًا. كان هذا أنا في الغابة في دارتفورد، أطلق النار عليه في ظهره. بدا هادئًا جدًا على السجادة البرتقالية التي صنعتها أشواك الصنوبر المتساقطة.

كان آرثر كروز جونيور ابن آرت كروز، وسمعت من خلال مصادري أن آرت قد تخلى بالفعل عن ابنه ليس من المستغرب حيث أتذكر آرت الشاب باعتباره الأكثر فاشية بحماسة في جمعية القراصنة. لقد أصيب بخيبة أمل شديدة عندما قررنا كمجموعة عدم تقييد فاي. بدا ابنه آرثر، بكل المقاييس، رجلًا محترمًا. لقد أوشكت أن أقتل الأب وليس الابن، لكن هذا كان سيتعارض مع خطتي. وإذا كان هناك شيء واحد أحبه في حياتي، فهو النظام. ومع ذلك، حرصت على أن يحظى آرثر بميتة رحيمة، أن يموت في أثناء نومه بينما كانت الشرطة تراقب منزله. لقد زودني المصدر الذي سيبقى مجهولًا بعبوة أول أكسيد الكربون وآلية التوقيت البارعة.

بعد مقتل آرثر كروز، سافرت إلى ألباني، حيث خططت لتثبيت عبوة ناسفة بسيارة جيسيكا وينسلو. ولكن بمجرد وصولي إلى هناك، كان من الواضح لي أن منزلها وسيارتها أيضًا يخضعان للمراقبة بعناية شديدة. لقد كانت عميلة في المباحث الفيدرالية بالنهاية. أدركت أنني ارتكبت خطأً وكان يجب أن أقتلها في وقت سابق.

كانت جيسيكا الابنة بالتبني لجاري وينسلو، الذي كان أكبر عضو في جمعية القراصنة، وكثيرًا ما اعتقدت أنه كان يجب أن يكون هو من يمنعنا

من فعل ما فعلناه. إما هو وإما أنا بالطبع. لكننا جميعًا استمعنا إلى جاري، وأتذكره وهو يقول ذات مرة -وربما هذه ذكرى خاطئة- أنه على الرغم من أننا كنا قراصنة، فإننا كنا النوع الصالح من القراصنة.

لقد علمتني حياتي كرجل أعمال ومستشار ناجح العديد من الدروس، أحدها هو أنك لا تستطيع فعل كل شيء بنفسك، وأنك تحتاج أحيانًا إلى تعيين خبراء. هذا ما فعلته من أجل التخلص من جيسيكا. أشعر بالخجل قليلًا من الاعتراف بأنني تعاقدت من الباطن على تلك الوفاة بالذات، لكنني علمت أنها غادرت البلدة، وأن فرصي في العثور عليها وقتلها دون أن يتم إيقافي أو الإمساك بي كانت ضئيلة. لقد أنفقت الكثير من المال ليتم ذلك بشكل صحيح.

بالمقارنة كان قتل جاي كوتس سهلًا، وقد فعلت ذلك بنفسي. لقد علمت عنه ما يكفي لأعرف أنه لم يكن مختلفًا كثيرًا عن والده المختل عقليًا. إنني أتذكر مدى الغبطة التي تملكت واين كوتس في طقوس الانضمام لجعل شقيقتي تنجو من المد. وأتذكر أيضًا أنه ظل سعيدًا حتى في وقت لاحق من ذلك اليوم الرهيب عندما أصبح جليًا لنا جميعًا أن شيئًا ما قد سار بشكل خاطئ للغاية.

لم يحدد مكتب التحقيقات الفيدرالي مكان جاي كوتس الحقيقي قط. أتساءل عما إذا كان قد تلقى حتى القائمة في البريد، لأنني سمعت أن هناك من يُدعى جاي كوتس في جورجيا قد تقدم ليقول إنه تلقى واحدة. لا يهم في كلتا الحالتين، لكنه جعل وفاة جاي واحدة من مهامي الأسهل. لقد تعقبته في جميع أنحاء لوس أنجلوس ليلة السبت، مُتَحَيِّنًا الفرصة فحسب، وما لم أكن أتخيل ذلك، فلقد كان يتعقب شخصًا ما أيضًا. امرأة شابة ثملة تبعها من الحانة. أتساءل عما إذا كان قتلي لجاي قد منع حدوث شيء فظيع لتلك الفتاة. ربما كانت الكارما التي كنت أعيدها إلى العالم تؤتي ثمارها بالفعل!

كانت كارولين جيديس ابنة ميج جوتيه (قبلتي الأولى أيضًا في ذلك الصيف)، وكان إيثان دارت ابن بولا شيبرد، أهدأ مجموعتنا. كم هو غريب أن تجمع القائمة كارولين وإيثان معًا قبل النهاية مباشرة.

لم يكن ترتيب وفاتهما سهلًا. لكنني علمت مسبقًا أنهما سيكونان معًا في ماكاندا، إيلينوي، ومن ثم كانت المسألة مجرد رشوتين كبيرتين جدًا،

واحدة لشرطي محلي وواحدة لموظف في كبائن رولينج بروك الذي منحني مفتاحًا رئيسيًا. كان الجزء الأصعب هو الاستلقاء تحت فراشهما والاستماع إلى لحظاتهما الأخيرة معًا. لكن كما في مقتل آرثر كروز، لقد حرصت على ألا يعاني إيثان ولا كارولين من أي ألم. وأنا أعلم يقينًا كم كانا سعيدين في لحظاتهما الأخيرة. ربما قد أسديت لهما معروفًا، بإنهاء حياتهما حينذاك. أتساءل مما أنقذتهما: انفصال ساحق؟ طلاق مرير؟ فقدان طفل؟ لقد أنقذتهما حتمًا من شيء ما. فالسعادة دائمًا حالة مؤقتة.

وكانت أليسون هورن، بالطبع، ابنة داني هورن. لم يساعد داني في تنظيم وفاة فاي عندما كان في الثانية عشرة من عمره فحسب، بل إنه تخلى في النهاية عن عائلته من أجل علاقة غرامية رخيصة. أتساءل ماذا سيكون رأي داني في كل هذا إذا تبين أن صديق طفولته القديم كان على علاقة مع ابنته قبل مقتلها في برمودا.

شعرت بالسوء تجاه أليسون بالطبع. لقد كان من دواعي سروري قضاء بعض الوقت معها في برمودا. كنت أرغب في العودة إلى هناك لسنوات، وكان من الرائع رؤية المكان القديم المسكون من خلال عينيها. وكان من الرائع أن أكون قادرًا على إخبارها عن شقيقتي، عما حدث لها. أفترض أن علماء النفس هناك سيقولون إن ما كنت أفعله طوال الوقت، وأن خطتي بأكملها كانت طريقة متقنة لإخبار العالم عن شقيقتي. سيقولون إنني أردت أن يتم الإمساك بي، وربما يكون هذا صحيحًا أيضًا.

أعلم أنني تركت بعض الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها في هذه الرسالة. مثل لماذا كلفت نفسي عناء إرسال الرسالة بالبريد الإلكتروني إلى نفسي ومن ثم أعطيت مكتب التحقيقات الفيدرالي معلومات حول منتجع ويندوارد؟ أنا لا أمتلك حقًا الإجابة عن هذا السؤال باستثناء أنه قد بدا الأمر الصحيح للقيام به. أنا مذنب أيضًا بوفاة شقيقتي، واستحققت أن أكون على القائمة، تمامًا كما أستحق ما هو على وشك الحدوث لي.

ربما تتساءل لماذا كتبت القائمة حتى في المقام الأول، وأرسلتها إلى الضحايا. لقد جعل ذلك مهمتي أصعب، وجعل لحظاتهم الأخيرة ملأى بالرهبة، لكن -مرةً أخرى- كل ما يمكنني قوله هو أنه بدا الأمر الصحيح الذي

يجب القيام به. كانت وفاتهم محاولة لإعادة النظام إلى عالم فوضوي، وكانت القائمة نفسها مجرد جزء من هذا النظام. وكوني على تلك القائمة أخبرهم فقط بشيء كان يجب أن يعرفوه بالفعل، بأن الموت قادمٌ من أجلنا جميعًا.

وماذا عن إريك مايلز، جاري في هارتفورد؟ كل ما سأقوله عنه هو أنه استحق الموت أكثر من معظمنا. فكر بي كرجل جمع القمامة، أقوم بعملي فحسب في التقاط القمامة المعبأة المتروكة على جانب الطريق. كان إريك مجرد قطعة قمامة طفت في طريقي بشكل عشوائي. لم يكن مجهودًا كبيرًا بالنسبة إليَّ أن ألقي به في شاحنتي أيضًا.

لقد انتهى وقتي، على ما أعتقد، ولن أثقل عليك بعد الآن بتأملاتي الذاتية. سوف أخفي هذه الرسالة في مكان مناسب، ثم آخذ ما تبقَّى من الويسكي الخاص بي معي إلى رصيف الميناء. سوف أنضم إلى فاي قريبًا. لا أعني في الجنة، لأنني لا أؤمن بأن مثل هذا المكان له وجود. أعني ذلك المكان الآخر. العدم البارد الذي ينتظرنا جميعًا عندما نغادر هذا العالم في النهاية.

ليتغمد إِلَهُكُمُ أرواحكم جميعًا برحمته.

المخلص

جاك راديبو ابن جوناثان بورلاند جرانت

21 يونيو 1944 – 2 نوفمبر 2014

***

واحد

ماثيو بومونت

جاي كوتس

إيثان دارت

كارولين جيديس

فرانك هوبكنز

اليسون هورن

آرثر كروز

جاك راديبو

جيسيكا وينسلو

(1)

الأحد، 19 مارس، 5:14 صباحًا

كانت تسمع أصواتًا لفترة طويلة -بعضها تعرَّفت عليه والبعض الآخر لم تعرفه- لدرجة أنها بدأت لا تعني لها شيئًا. ولكن بعد ذلك بدأت بعض الأصوات تخترق مسامعها، وقال أحدهم: «لقد فتحت عيناها للتو».

أو ربما كانت تحلم بذلك.

كانت في الظلام مجددًا، لكن كان هناك وميض من الضوء.

أحد الأشياء التي أحبتها في الظلام هو أنه لم يكن هناك ألم.

لكنها سمعت بعد ذلك صوتًا تعرفت عليه -صوت والدتها- أخذت الكلمات تطفو في رأسها، وتذكرت أنها فتحت عينيها ذات مرة. لذلك حاولت أن تفتحهما مرة أخرى، وهذه المرة لم يكن هناك شيء سوى الظلام، وصوت الآلات. صوت الغرفة التي كانت فيها، تقوم بكل ما تقوم به تلك الغرف.

عندما سمعت بعد ذلك أصواتًا، وشعرت بيد على ذراعها، فتحت عينيها مجددًا وهذه المرة التفت وجه إليها. لم تتعرف عليه، لكنه ابتسم. وجه امرأة، له نمش غامق بمحاذاة خط الشعر، وندبة رفيعة ناجمة عن شفرة على ذقنها.

قالت: «عجبًا، مرحبًا بك».

لاحقًا، كان هناك الكثير من الوجوه حول سريرها في المشفى لدرجة أن مجرد النظر إليها جعلها سعيدة ومتعبة في آن واحد. كانت والدتها بجانبها، ممسكة بيدها.

سألت: «هل أنا ميتة».

كان صوتها خشنًا ولم يبدُ وكأنه صوتها. ضحك جميع من بالغرفة، رغم أن البعض أيضًا كان يبكي.

كان هذا من طبيبها: «حسنًا، لقد كنتِ قريبة من الموت. ماذا تتذكرين عن ذلك؟».

هزت رأسها ببطء ذهابًا وإيابًا، في محاولة للعثور على الكلمات التي توضح ذاكرتها. في النهاية، قالت: «أنا أعمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي».

قالت والدتها: «هذا صحيح يا عزيزتي».

بعد ذلك بكثير، جاء شخصان تذكرتهما من العمل في مكتب التحقيقات الفيدرالي لزيارتها.

كان ظهرًا لطيفًا، أخذ عقلها يسبح مع الذكريات، وامتد شعاع من ضوء الصيف على ساقيها ليدفئهما.

كان اسم المرأة روث جاكسون وكان لها وجه مستدير وصوت عميق. وكان اسم الرجل آرون برلين، وظل يثب لأعلى ولأسفل على أصابع قدميه. كانت تعلم أنها والرجل كانا أكثر من مجرد زملاء عمل. استمرت ذكرياتها في إلقاء بضع شرائح عشوائية عليها، حيث الاثنان يحلان نفسيهما من ملاءات الفراش ويضحكان بصخب؛ الرجل خارج بابها، يطرقه بعنف، في محاولة للسماح له بالدخول.

قالت روث جاكسون: «تبدين رائعة».

دارت في رأسها بعض الأفكار الساخرة، لكنها طردتها وقالت: «شكرًا لك، وأنت كذلك، تعجبني بدلتك».

ابتسمت روث، وإلى جوارها صعد آرون وهبط على أصابع قدميه ويداه في جيوبه.

- يخبرنا طبيبكِ أنكِ تتذكرين أكثر فأكثر هذه الأيام.

- هذا الصباح فقط تذكرت الصف السابع بأكمله على عجل. كان الأمر فظيعًا.

ضحكت روث، وتذكرت كم كانت تحب جعل الآخرين يضحكون.

قالت روث: «أنا آسفة لذلك. هل كل ذكرياتك قديمة؟».

قالت: «هل يمكنكما الجلوس؟ أنا سعيدة بالتحدث، لكن آرون، أنت تقودني للجنون وأنت تثب لأعلى ولأسفل هكذا».

ضحك كلا العميلين، واعتقدت أن جزءًا من ضحكهما كان مريحًا. ثم جلس كلاهما على كراسي بلاستيكية مقولبة، حيث لا تزال روث الأقرب إليها.

- ماذا تتذكرين بخصوص وجودكِ هنا؟

- أعلم أنني تعرضت لإطلاق نار. لا أعرف لماذا.
- آهاه.

عبست روث وصوبت عينيها تجاه السقف، كما لو كانت تقرر ماذا ستسأل بعد ذلك.

- هل تتذكرين أي شيء بخصوص القائمة؟
- أتذكر أنني سُئلت عن قائمة، لكن هذا كان هنا في هذا الفراش. سألني شخص آخر، لكنني الآن لا أتذكر من كان.
- على الأرجح أنا، ربما سألتك عن ذلك عندما لم تكوني مستعدة. لكن القائمة لها علاقة بسبب وجودك هنا.
- أوه، إذن من فضلك أخبريني. لا أحد يقول أي شيء. أظل أفكر أنني فعلت شيئًا خاطئًا بشكل فظيع.
- لم تفعلي أي شيء خاطئ.

دفعت نفسها للأعلى قليلًا في فراشها، جعلتها الحركة تطرف بعينيها سريعًا.

- إذن أخبريني قصة القائمة، ولماذا أنا هنا. أريد أن أسمع ذلك.
- هل أنتِ متأكدة؟
- أجل، أنا متأكدة.
- حسنًا. سأخبرك بالأساسيات، وأرجو أن تخبريني إن شعرتِ بالتعب، أو إذا كان الأمر أكثر من اللازم بالنسبة إليكِ.

وخزتها ذراعيها، وأخذت نفسًا عميقًا.

- فقط ابدئي. فأنا بحاجة لسماع ذلك. أي نوع من القصص تلك؟
- قالت روث: «ليست جيدة، على ما أعتقد».

قال آرون من دون تفكير، مندفعًا إلى الأمام على كرسيه: «ليست سيئة تمامًا».

انتقلت عيناها ذهابًا وإيابًا بينهما، راغبة في سماع القصة، ولكن أيضًا غير راغبة في سماعها.

قالت روث: «صحيح. إنها ليست سيئة تمامًا، لكنني سأتوقف عن الحديث عن ذلك، وأقصُّها فحسب، حسنًا جيسيكا؟ وبهذه الطريقة، يمكنكِ أن تكوني أنتِ الحَكَم».

***

تسع أرواح
NINE LIVES

إذا كنت على القائمة، فهناك مَن يريد موتك!

يتلقى تسعة غرباء قائمة بأسمائهم في البريد. لا شيءَ آخر، مجرد قائمة بالأسماء على ورقة واحدة. لا أحدَ من الأشخاص التسعة يعرف أو التقى الآخرين الموجودين في القائمة. إنهم يرفضونها على أنها بريد غير مرغوب فيه، حتى تبدأ أشياء شديدة السوء في الحدوث للأشخاص الموجودين في القائمة.

أولًا، غرق رجل عجوز محبوب على شاطئ في بلدة كينويك الصغيرة بولاية مين. بعد ذلك، أصيب أبٌ برصاصة في ظهره في أثناء الركض في حيِّه الهادئ في ضواحي ماساتشوستس. يظهر نمطٌ مخيفٌ، ولكن ما هو القاسم المشترك بين هؤلاء الأشخاص التسعة؟ تتراوح مِهنهم ما بين ممرض الأورام إلى الممثل الطموح، وهم يقيمون في جميع أنحاء البلاد. إذن فلماذا هم جميعًا على القائمة ومَن أرسلها؟



غلاف: عبد الرحمن الصواف







aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb